

الطبعة الثالثة



نعمَةُ الْخَالِد

Nema Al-Khalid

عَزِلَّان

# مَحْفُوظٌ جَمِيعُ الْحَقُوقِ

1446هـ - 2024م

اسم المؤلف: نعمة الخالد.

اسم الكتاب: عُزْلتان.

التجنيس: نصوص مفتوحة.

الطبعة: الثالثة.

رقم الإيداع: 2024/25855

الردمك: 5-840-998-977-978

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيه حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون إذن خطوي من الناشر.

# عَزِلَان

السلوكيَّة الأُخْفِيَّة كأنَّه بِهَا يَتَّمِمُ جُمِيعَهُ  
بِالنَّسْبَةِ لِيَ

نَعْمَةُ الظَّالِم

الطبعة الثالثة

1446هـ- 2024م



# — گُزلَان —

وحدي، أراود نفسي الشكلي فتأبى أن تساعدنى على نفسي.

— محمود درويش



وقلت له: أظنتني ساجن يا صديقي، إياك أن تفلتني حين يحدث هذا.

فقال: لن أفلتك لأننا سنجن معاً.

## العزلة الأولى

لم يكن سبعة أبريل مجرّد تاريخ عابر، إنه ذكرى مخلدة في ذاكرة  
الأيام

لحظة ما زالت ممتدة في جميع اللحظات..

# — عَزَلَان —

أَمَّا الْآن

الْحِيطَانُ الْأَرْبَعَةُ!

تَقْرَبُ روِيدًا روِيدًا..

الْأَنْوَارُ تُطْفِئُ نَفْسَهَا..

الرِّيحُ تَسْحَدُ،

النَّاسُ نِيَامُ،

عَلَى قِيدِ الْاسْتِيقَاظِ أَنَا

بِرُوحٍ شَبِهِ نَائِمَةٍ:

أَمْدَدُ فَوْقَ سَرِيرِ الضَّيَاعِ

"بِصَمَتٍ"

السَّقْفُ يَهِطُ..

إِنَّهُ سَقْفُ الذَّاِكِرَةِ أَوِ الْقَلْبِ

"لَا أَدْرِي" ...

هَذَا اللَّيْلُ خَيْفٌ!





## تنوير

مليء بالتناقضات كثيراً. بإمكانك أن تُغلق هذا الكتاب إن تذمرت من تحدي المستمر عن آلامي.. أنا أهنا أحاول تصميم جراحى بالكتابة.. عائد من حربى مع نفسي مهزوماً جريحاً.. ربما قتيلاإ...!

قد أستطيع التحدُث معك يا أنا..

لكنني في صراعٍ كبيرٍ

وتفكيرٍ لا متناهٍ..

شُتاتٍ لا حصر له!

لذا لا تُحزنني حينما أُسْرِح بعِدًا عنك..

فأنا حينها أحَاوُل لملمة ما تبَقَّى مِنِّي..

\*\*\*

تعلَّمنَا كَيْفَ نُصْبِح هادئين..

لَكُنَّا لَم نُتَعَلَّم بَعْد!

كيف نُخْرِسُ الضُّوْضَاء التي تُصْدِر في الدَّاخِل..

\*\*\*



تشبّثنا بأحلامٍ تدلّت على حذافيرٍ تنوره الهاوية!

حالوا بيننا وإياها.. كما حالوا بين عبلة وعترة..

\*\*\*

فصل المطر، لا يغيب عن بعضنا.. فغيوم قلوبنا تسبل رذاذها بغزاره،

ثم تنبت كل دمعة نبته من ألم!

\*\*\*

## ـ مَجْهُول ـ

غادرتهم لأعقد صلحاً مع جدران شرفتي، أوصّد الباب جيداً  
متوكلاً إحداث زقزقة وأشلائي تركض بلهفة جراء قلم وأوراق. هكذا  
بغتة وجدت بأن دموعي قد سبقتني إلى المنضدة تتضرر موسمياً يتزامن  
مع قصتها، أغمضت عيون نوافذني بستار الإلهاق، تعانق أنا ملي قلم  
مرتجف بعد إطفاء الأنوار، وإشعال شمعة خافتة! في تلك اللحظة  
الساكنة كنت أبتهل هدوءاً فقط، لا أرغب سماع أي شيء.. وعلى رأس  
أول صفحة وثقتُ تاريخ خيتي (سبعة أبريل) بعد شتات طويل شعرتُ  
بالاختناق: كنص حزين.. كقصيدة باكية!

توَجَّتْ سؤالي الأول لحضررة الجدار، أو لحضررة الظلّ اللصيق بخدي  
الجدار: أيجدرُ بك معانقة العدم والعالم في جوفك يختنق بالدموع وعندما  
يتوه البوح بين دفتي فاهك ثم تموتُ الحروف دون عاشق يعزّيها، أهناك  
أيام للحداد معدودة فيتهي الحزن وتعايش الملك؟ يبدو أن مدة حداد  
كهذه سوف ترتدي الروح المتهاكلة، وهذا يعني بأن المشاعر سوف  
ترتقي بين أحضان العزلة طويلاً!!

أجابني بصوت مشفق: أنت تعاني حمّي الحزن كثيراً.. غدرك صديق  
لك.. وفاجئتك الحياة بمرارة لم تكن في حسبانك أبداً.. أنا أفهم عليك..  
لذا سأظل معك لأفهم عليك حتى تفهم نفسك.. وأغادر!!

قلت: "متى يستريح الإنسان في هذا العالم الحافل بالمعاناة، والآلام  
وجفاء المشاعر؟"

قال: عندما نحمل الأفلام، فنكتب مشاعر بعضنا..

## خَيْيَةٌ

قد تلعلتم حروفك المقاومة لففة النداء ليترجم تلعلتمها خاء عابرة،  
ياءٌ ممحومة بالحنين، باءٌ تحاكي اليأس، وهاء تفقد رغبة الانتظار. كفيلةٌ في  
هزنك، نقلك إلى عالم اللاشيء، طحنك وانتزاع أملك من بين أحضانك،  
نفيك من أرضٍ هي وطنك، قسمك على حياةٍ سالبة، شدّك من خصلة  
بجتك، خلعك من جدار حلمك، ردعك بالقصوة، وصدّك عن فرصة  
نيل ازدهار السعادات.. خيبة، بعد خيبة، كفى بالله فقد رثت  
أحباب أحلامنا الوردية، علمينا أيتها الحياة دروساً ولكن لا تهديننا السقم  
ميكراً، فما هم إلا عبارة عن هدايا وطيفٍ من وعثاء بؤس. خذلان هم  
اختباوا بين جحور أغصان انتشلتها الأيام من جذور الهيام، وتلك  
الخذور حينما تلتتصق بالقلب ما أقسى نزعها والقلب الذي يصبح  
منهمكاً بين الأسى والشعور بالخذلان ينطفئ بعدهما كان يتوهج!.. من  
المؤلم وضع كفيك على صفة سياجٍ صنع من صدأ الفراق، تهاويك ملامح  
السفر البائسة إلى معالم الرجاء لاستعادتك وضحكتك وقلبك الواقع في  
حبّ الحياة. تغفو على صوت المياه التي تواسيك فوّاجة بأسرار التائهين  
بين الأمس وعجز اليوم، تُعلن حينها رغبتك في معرفة نهايتك حتمية  
الوداع، أم مؤكّدة البقاء.. ترّحّج الأولى غالباً ليبقى السوق حكاية  
ترويتك مدى رحلة العمر الطويلة.. غيمّةٌ هم من غيوم الزيف الملولُ  
بالخداع، بينما أنت في قحل الوجع كالمنبود ملقيٌ، سيأتونك بغية تعقيم

لقلبك بود مُستعار لا يتوارى، أو لمقاومة الآه الطويلة التي التحتمت  
بأحشائِك.. وبعدهما تُقضى حاجات في أنفسهم، سينسون هوبيتك، لقبك،  
واسمك ورقم هاتفك سينبتون في قلبك بدلاً عن الآه.. آهات.. فخيّة  
أن تشق بهم.. بإفراط جداً لا داعي له، بينما لا يضاهون الثقة ثقةً ولا  
الإخلاص إخلاصاً.. أن تعلن بحبهم فيرحلون بتجاهلي دون مبالاة  
لاعترافك.. أن تُفصح عيونهم أسراراً ركناها خلف ملامح الخلط الذي  
أعدّوه لإيقاعك في نبرته الشائبة بعنایة ودقةٍ كي تسقط بإحكام كما  
يتخيّلون تماماً، أن تضعهم في الجزء الأجل من قلبك، يمزّقونه بمخالبِ  
لؤمهم، يزرعون الألم في أرض أشجارك، وتحصد أنت دموعك، لتسقيك  
في زمنِ الأسى.. أن تظنّ بصفائهم مع أن بعض الظن إثم، يؤذونك  
برحيلهم، يباغتونك بكلم ذاكرتك بعبورهم المؤبد! أن تعتقد بأن الحياة  
قد انتهت لأنهم قرروا هجرانك و مناساتك كما لو أنهم لم يعرفوك يوماً..  
وخيّة أن يهجووك قليلاً وللحظة يغادرونك باكيّاً على مقعد قد تقابلتم  
وتتبادلتم ذات الأفكار والمشاعر سوياً، ولطالمما وددت لو أن تنبس إلى  
مالكِه قبل اندلاع غصتك ليحطمّه كي لا ترى تفاصيلها كل يوم.. ثم  
تعايش أيامك تحت وطأة العزلة وحيداً بعد ذلك، وتهرب من كل شيء  
يذكرك بهم، وتتفق مع دوستويفيكي عندما قال: (لقد أمضيت حياتي  
كلها في الدفاع عن أشياء لن أحظى بها أبداً. أجلس الآن وحيداً أمشّط  
شعر الخيبة وأغنىّ لها)

سوف تتعلم بعدها كيف تستل سيف فهمك من غمد بلاهتك التي تخبّطت في وحلها معهم دون إدراكك كونك مُطلق العفوية والسماحة مع الآخرين لا أكثر من ذلك ولا أقل، تغوص في عمق همجيّتها بأي صفحه كانت وبأي سطر، والأهم من كل ذلك من كان مدونها لترصد ضيمه وما تم اكتراشه فيك من قبله، كي تستثمرها لصالح قلبك، وتصبح حذراً من الآخريات المُقبلة في طريقها إليك..

وكما قال إميل سيوران: الطريقة الوحيدة لمواجهة الخيبات المتواتلة، هي أن يعيش المرء فكرة الخيبة نفسها، إذا أفلح المرء في ذلك، لا يعود يفاجئه شيء، يسمى فوق كل ما يحدث، يصبح الضحية التي لا تُتّهَر.

p. m 11:11

ابقَ لطيفاً مع خيباتك.. أشعّرها بسذاجتها، حتّى لا تحوّل قلبك إلى مقبرة مليئة بالكثير من المشاعر المتّحرة..

\*\*\*

مازلتُ أنتظر صدفة لقاء أخرى كالتي التقىتك فيها أول مرة، ليس لعقد الصدقة من جديد.. بل لأجتازك دون أن أسمح لتلك الصدفة أن تعرفني بك..



## انتظار لا منه جدوى..

ننتظر انقضاء الثانية الخامسة والستين، والدقيقة المليون، الساعة السادسة والستون من اليوم الثامن والثلاثين نهاية الشهر السابع عشر من السنة المائة.. ننتظر عودة عام مضى لنركل لحظة أو جعلتنا ثم نعود مرففين رايات نصرنا على مأساة قلوبنا. أمام النافذة المهشة ننتظر الكثير من الأشياء التي لا يمكن أن تحدث.. هكذا هذيان القلب مع جنون المساء، وهوس القمر الشقىّ...!

\*\*\*

أكتبني.. فأجدني بالية كالليل وعنة الليل، أدس مشاعري بين أحضان كلمات قد اقتحمت بشتات لا يستطيع القلب ترجمته.. الكون داخلي صغير يتضور جوع الأمان بين أزقة روح تفيف بؤساً، يودّ لو أن يتناول جرعة حب من بئر سلام أبديّ بين شوارع مدینتي ذات الأحاديث المتممة بالألم! أكتبني، وكلما عانقت هذا القلم وجدت قلبي يبكي كثيراً، وشهقاتي كطفلٍ أوشك الانتهاء من دوامة بكائه، ثمّ أجد معضلة الشهيف تتحقق على وديان شيء ما مفتوح يهرب بتمايل بين أرصفة دمعتي.. أكتبني، فأجد الشعور يتماهى على سطح تنهيدة.. ولو أن ما بهذا القلب يصل إليك في هذه اللحظة، لأدركت شعور المرض المحسّر، إذ يرى أحد مرضاه يموت أمامه دون استطاعة على فعل شيء، ولكنني أُنفِي الآن إلى عوالم المدوع المثالي، وكلما خطوت عدة خطى استدررتُ إلى تلك الذكرى، ألوح إليك بابتسامة صامدة تلتبس المدوع وتعترى بالجمود المزيف.. ما ضررك تصرخ عن بعد ثم تقول: (انتظر)، وترفض أن تحكم الأيام علينا بالعذاب الأبدى، أو تركض قبل تلاشى، تقول: بعثر هذه الضجة التي تُخفيها خلف قناعك الذي لم تخبرني يوماً عن سماكته، أنا بالية للغاية.. ولا شيء بإمكانه أن يُعيد إليّ سلامي.. خائف، وقلق، لا أدرى ما الشعور الذي يراودني به أيضاً.. إنني هنا لستُ أكتب قصة بدايتها سيئة ونهايتها مليئة بالمسرات، إنني هنا أكتبني، أخونني على الأحرى،

فَحِينَ يَكْتُبُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ إِلَى الْآخَرِينَ، يَكُونُ قَدْ انتَهَىَ حَقُّهُ مِنْ حَقُوقِهِ  
الشَّاعُورِيَّةِ، يَكُونُ قَدْ أَفْشَىَ أَسْرَارَ صَمْتِهِ وَمُبَالَاتِهِ الْبَارِدَةِ بَيْنَ الْجَمْعَوْعِ،  
يَكُونُ قَدْ أَخْبَرَ الْجَمِيعَ بِأَنَّهُ عَاجِزٌ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي لَا يُسْتَطِعُ فَعْلُ شَيْءٍ  
سَوْيَ أَنْ يَخْضُعَ لِلْقَلْمَنْ، الْقَلْمَنُ الَّذِي نَافَسَ النَّفْسَانِيَّينَ، وَأَخْذَ مِنْ دُوَالِنَا  
مَا أَخْذَ بِاسْتِدْرَاجٍ بارِعٍ، يَا صَاحِلَّا بِأَسْ في ذَلِكَ، فَلِيَقْرَأُ الْبَقِيَّةَ حُزْنِي،  
وَلِيَكْتَشِفُوا مَضَامِنَ وَعُكْتِيَّ مَعَ أَمِيِّ، أَنَا أَتَيْتُ إِلَى هُنَا مَجْثُومَةً بِالضِيقِ،  
هَرَبْتُ لِأَكْتَبُنِي.. لِأَنْيِ بِالْيَةِ..

\*\*\*

a. m 02:5

أَهَرَبْتُ دون هروب، وأَعُود دون عودة، وأَنْسَى دون نسيان،  
وَأَضْحَكْ دون ضحكة، أَخْرَرَ من سجن الذكريات دون حُرْيَّة، وأَفْقَرَ  
مِنْ نَافْذِي الْمُرْتَفَعَةِ دون قفزة، وأَبْكَى دون بُكاء، وأَضْحَكْ دون ضحكة،  
وَأَصْرَخَ دون صرخة، وأَنْاجَى دون مناجاة، وأَمْضَى دون وجهة.. مَقْيُدُ  
فِي يَا أَمِيِّ، مَا الْعَمَلِ!!!

\*\*\*

## خيولي عن هذه الموضوعات..

سُئل عن أمنيته بينما ينظران إلى السماء المرصّعة بالنجوم في ليلة هادئة: ماذا تتنمّى في هذه اللحظة؟! أجابه بلهفةٍ شديدة: أن أسجن لأعوام طائلة.. ثم أتحاشرى هذه الضجة والأيام الفارغة.. وأنت تأتيني بكمية هائلة من الكتب في كل زيارة تزورني بها، وأقلام وأوراق فارغة أرصد عليها أحلامي التي ستبقى مجرد أحلامٍ على ما يبدو.. أنا بحاجةٍ إلى هدوءٍ ثقيل يا صاح، سكينة مفرطة جداً.. هذه الموضوعات باتت تميت رغبتي في كل شيء... أصابتني بالتعاسة حتى من نفسي..

- ولكنك تعاني من ضجّتك النفسيّة لا البشرية، وإن سُجنت وإيّاها معًا سوف تجعلك تتمنّى الانغماس في حجرة الموت.. تعاني جداً من تراكماتك، عالج نفسك!

- هذه الأيام مليئة بالفراغ، الأحزان المتكرّرة، تُنجب التعاسات كل يومٍ، وتجهض السعادات كل ساعة، أعلم جيداً، سوف تقول بأننيُّ أبالغ، وبأن وليام شكسبير قد قال: (لا شيء يستحق الحزن، دع الحزن للحمقى) لا بأس أنا أحمق، نعم أحمق، وليس من المعيب أن أكون أحمقاً، فحُلمي الذي مات يستحق أن أحزن عليه، وتحيّلاتي التي رسمتها على زجاج نافذة قلبي ثم ساحتها أمطار الاستحالة تستحق أن أحزن عليها، والأشخاص الذين اعتنوا بي ففرطت بهم لأجل أشخاص فرطوا بي

يستحقون أحزن عليهم، ومشاعري التي أراها تختضر كل يوم بينما أنا عاجزٌ عن إسداء أي معروف لأجلها تستحق أن أحزن عليها، دعني أحزن على كل شيء يخصني قبل أن أموت، أحزن على ما دمُتْ حيًّا، أعلم بأنك سوف تبكي بعد موتي وتحزن كثيراً، لكنك مع الأيام تنساني، وستبدلني بآخرين، تماماً حيزك بمن هم أفضل مني ربّا، لذا دعني أقدم تعزיתי لنفسي، وأفرغ ما أشعر به دون تقييد.. فليس العيب ألاً تحزن، العيب والحقيقة هو أن ترفض أن تحزن، لأنك لم تحب نفسك حينها، فمن أحب نفسه سيحزن لأجل ما تفقد، بينما الذي لا يقدرها، لن يبالي لأي شيء، لأنه أناني السعادات دائمةً.. نفسي تستحق أن أواسيها بما تشعر.. لذا أنا لست مريضاً كي تقول عالج نفسك، أنت المريض لأنك لم تكتشف نوع مرضي !

\*\*\*



## خُذلان

أنا شخصٌ يقدّرُ من يقدّرُ مشاعري، وأحترم من يحترم قراري، وأنّزهُ  
كُلَّ من يكون معي نقِيًّا صادقاً وصريحاً.. إلا أنني أرفض أن أُخذل، لا  
فالخذلان مُرُّ بل جريمةٌ لا تُغْتَفِر، لا تبقَ معي طالما لم تِرِد ذلك، لا  
تحادثني قسراً عَنْك، لا تحاول المُهْرُوب كثيراً، فقط قُلْ أريد الذهاب، دون  
خجلٍ قُلْ أريد الذهاب مؤبّداً دون عودة.. أنا أكره الخُذلان، وأمقت أن  
يمحاول قلبي على محاربة حقيقة التهميش لأتُوَلَّ كسره، فهل تعلم عن  
أي خُذلان أتحدّث: عن العبور الذي تأوي إليه عندما أُزْهَد بالعناء  
وتتركني أشكّي أحزاني لجدراني..

## الثُرْبُوك

جِينَمًا يَتَضَرَّجْ تَفْكِيرُكِ بِدَمَاءِ الشَّتَّاتِ، وَكُلُّمَا سُبِّلَتْ دَمَوْعُكِ عَلَى وَجْنَاتِ قَلْبِكِ الْمُحْرَقَةِ، أَوْ سَيَطَرَتْ جَاذِبَيْهِ الْحَزَنِ عَلَى مَشَاعِرِكِ الْجَيَاشَةِ، كُلُّمَا بَقِيَتْ بِمَفْرَدَكِ وَحِيدًا.. هَجَرَكِ مِنْ أَحَبِّتِ، غَادَرَكِ مِنْ قَدْسَتِهِ حَوَاسِكِ وَشَعَرْتَ بِأَنَّهُ مَرَأَتِكِ الَّتِي تَشَرِّ إِلَيْهَا حَبْكِ، تَسْلِسِلَ أَمَامَهَا تَفَاصِيلَ عَشْقِكِ وَتَرَنُو بِابْتِسَامَاتِكِ الْوَتَرِيَّةِ دُونْ زِيفِ! بَعْثَرْهُ عَنْدَمَا يَمُوتُ الْكَلَامُ عَلَى لِسَانِكِ الْمُرْتَجَفِ، وَتَنْطَفِئُ قَدْرَتِكِ عَلَى فَهْمِ مَشَاعِرِكِ الَّتِي تَكَادُ مَعْرِكَتَهَا تَقْضِي عَلَى أَحْشَاءِ عَقْلِكِ، وَكُلُّمَا ابْتَسَمَتْ فَالْتَحْقِيقُ تَهْتَنِهَا الْمُتَدْرِجُ دَمْعَةً تَحْرُقُ بَسْتَانَ قَلْبِكِ وَبَعْدَمَا يَخْذُلُكِ مِنْ وَثَقَتْ بِهِ، وَرَحِبَ بِهِ قَلْبُكِ فَتَرِبَّعَ عَلَى ضَفَفِهِ، فَهَاجَ بِأَمْوَاجِهِ دَاخِلَكِ دُونْ رَحْمَةِ مِنْهِ حَتَّى الْأَقْلَاكِ مُنْكَسِرًا يَتَابُكِ الْأَسَى، وَيَسْتَحْوِذُ الضَّيَاعُ عَلَيْكِ فَيَرْحُلُ بِابْتِسَامَتِهِ السَّاحِرَةِ مَهْلَلًا أَغَانِيَ اِنْتِصَارِهِ عَلَيْكِ، أَقْصَدُ عَلَى عَفْوِيَّتِكِ الْمُفْرَطَةِ فِي الْحَيْنِ الَّذِي أَوْدَعْتَهُ قَلْبَكِ وَمَا بِقَلْبِكِ وَمَا يَنْبَضُ بِهِ قَلْبُكِ ثُمَّ لِيَقْتَلُكِ وَقَلْبُكِ وَيَعْبُرُ دُونْ مَبَالَةٍ لِحَسَافَاتِكِ.. وَلَأَنَّكِ وَفِيَاً سَتَطْحَنُكِ خَيَانَاتِهِمْ، وَلَأَنَّكِ عَفْوِيَاً سَيْؤَلُكِ خَذْلَانَهُمْ.. لَا تَخْجُلْ مِنْ كَرَاسِكِ تَدَلَّلُ وَأَفْرَغْ مَا بِدَاخِلِكِ كُلُّمَا بَقِيَتْ وَحِيدًا مَنْزُوِيَاً بَيْنَ أَحْضَانِ ظَلَامِكِ. تَحَدُّثُ إِلَى أُورَاقِكِ عَنْدَمَا تَعْلَمْ ثَقْتَكِ بِنَفْسِكِ فَقَطْ تَفَهَّمْ دَرْسًا عَلِمْتَ إِيَاهُ صَانُعُ الْخَيَانَاتِ لِيَظْلِمْ بِمَذْكُورَتِكِ كُلُّمَا حَاوَلْتَ الْذَّاكرَةَ نَسِيَانَهُ عَدْتَ إِلَى حِرْوَفِهِ وَتَفَاصِيلِهِ وَالْوَصَايَا الَّتِي تَدْسِ نَفْسَهَا بَيْنَ نَصْوَصِهِ بِخَيَانَةٍ؛ لِتَقْرَأُهُ. تَقْرَأُهُ.

كي تفهمه مرة أخرى كي لا تقرف الخطأ ذاته.. ثم قل لقلبك: أفهمت الدرس، أم أعيد شرحه؟! انثره عندما يخونك تعبير لسانك، تُبَهِّت لغتك، تُتَسَنَّى للتحرُّر مشاعرك التي تعاتبك بحيرتها وحسرتها وبضيق: (لقد أهدرت بي مَنْ لا يستحقون) إلا أنها تترافق دموعاً تائهاً، والحرروف تشعر بارتعاش حنين، تُوَدُّلُو بِإِمْكَانِهَا معانقة بعضها، أي عناق وعواصف الشوق ساحقة بل ترغُّبُ العثور على ملاذ يحتويها، فيتبلور الملاذ في صرخة احتواء قد ياغتك بها قلبك. قلبك الذي لم يبق سواه حوزتك، لم يرحل كما فعلوا، لم يهيمن ألمه على أسطورة أَنَّاتِك التي قد أصبحت رفاتاً تحت رحمة الدموع.. أعلن أَلْكَ، حزنك، وآهاتك الراقصة على مسرح الصفحات بكبرياء وألم عاصف، اكتبهم واحفظهم رموزاً موسيقية مقطوعة يستحال نسيانها، أما الموسيقى كالهروب الأمثل! ذعراً.. لا نوْدَ رؤيتهم آونة أخرى. الأخرى التي قد ربيها تهدينا المنية حتى نبكي جثثاً ثقيلة تعبير في الحياة بلا روح.. أخرج ما يضايقك، أطلت في ذلك أم لم تطِلْ كُور تلك الكلمات، بل تلك الأسماء والذكريات، وعوْل بقية الأمر للرياح كي تجُرُّها إلى صفة النسيان.. ارْصُدْكَ جيداً.. كلما عجزوا عن ترجمتك، تصمت فيتسائلون تعليلاً صمتك، ولم الكلام طالما لم تفهموا؟ أو ليس الصمت خير ترجمان؟! أو لم تقصّ عيناي الذابلتان أحِدَاثَ الْأَلْمِ؟! أو لم تفصح آهاتي عن الأسرار التي تفَتَّشُونَ عنها؟! ألم أحبركم من قبل أنني أَعْنَى؟! حزينٌ، مكسورٌ،

خنذولٌ، بائسٌ جداً.. نعم هذا صحيح.. لم أعد أرغب التحدث، لا المجاملات، لا التجاوز، لا مزيد من الاستمرار، لا مزيد من خطة إغماض العينين لتفادي الصراخ أنا فيضانٌ مشبعٌ بالبكاء يا سادة.. غادروني كي لا أغرقكم معي بعدهما أنفجر.. لطفاً!! مهلاً أعتذر.. جوفي مصابٌ بصداع الشتات قلبي يخفق بشراسة، تغادرهم فتلوذ إلى شاطئ يسمعك، يصغي إليك، يواسيك ويعانقك، يخلخل فؤادك المتبول بالهرم.

تسائل الدموع: تسرف بي لماذا، ويعاتب القمر بانعكاس ائتلاقه على عوارض بحر تعلوه السكينة: لا يليق بك السكوت.. وكأنه مرآة عكست جلماً بالفؤاد من كلام، وكأنه مكيرات صوت تشنل نبضات قلبك باحتفال الأمواج، حيث ترى أذالق المياه تأتي وتعود، تشكو إليها: آه كم تشبهين حظي.. تغمر قدميك ببرودة غارقة في التحسف، تشبه تعasse الحكايات التي قصتها هواجس العاشقين العالقين في مأزق مشاعرهم ذات ليلة مجنونة محاكة بالهزل! لعلها تطفئ هليب قلبك المشتعل، بينما الصداع حوزتك يتناول قهوة الاستفهام، وبخار شفقتها على بؤسك يتعالى فيتبرخ ورائحة البحر كباقة وردي، تتذكره ذات يومٍ أهدي إليك (منهم) عجباً كيف أصبحوا من أولي الضمائر الغائبة، لذا اكتبهم ثم مرق تفاصيلهم واجعلهم غائبين لغةً وجوداً كما فعلوا، وارم بهم من صفة نهر سقمك، ثم غادر شرفتك، ولكن في طريقك: إياك ونسيان ارتداء عامة اللامبالاة، أزرار الانكسار إياك وتركتها مؤاربة، إياك تنسى مظلة

النسيان مغلقة بين كفيك المرتعشين، بل واربها واحمِ قلبك من غرق الألم  
والشوق كي لا تصلهم أخباراً عنك بأنّك قد هُزِمت، بل ما زلت صامداً،  
ولم يكسرك شيئاً قطّ..

p. m 59 : 10

لا عناق كعناقات الحروف لبعضها، أقصد الحروف المتناثرة من أين  
قلب إلى آخر، أقصد التنهيدات التي يدسها المرء بين أصلاب الكلمة،  
وما أدرك مالكلمة: حرفان مشاغبان في شرح الأسى.. حاءٌ تاءٌ وتبكي،  
باءٌ تهّنٌ وتشكي ثم تقافي حيرتها بحسرة قصوى. لكنها كأضعافها إن كان  
القلب يزفرها بكلفة وما أدرك ما الكلفة: بكاءٌ يدُسُّ أسراره بين جحور  
الكتهان. الكتهان: ثاقب الروح.. هالكُ الذكرة.

\*\*\*

لن تجد غير العُزلة كمهرِبٍ، كمأوى لا مثيل له.. وحدها العُزلة  
تصعي إلينا، لأننا حينها نختلي بصوتنا، بناهيتنا، بأنفسنا، لا نختلطُ  
بالسَّاذجين، ولا نُرغمُ على تحمل الكثير من اللاشيء، أو تغاضي الكثير  
من ارتكاب ما يؤذينا ويتسرب في إضافة وجمع إلى أو جاعنا!!



## رِبْعَهُ الْأَكْتَفَاءِ دَوَاءٌ ..

يقول شارلز بووكوفسكي: تعود أن تكتفي بنفسك، إنك في زمن المزاجية والاستغناء بسهولة!

وللحظة تجد بأنك سوف تجيد الهروب عنهم بعدهما تشتبّث بهم كثيراً وخشيت صافرة الفراق، تجتاز ما يخصهم من حديث، وما يتلّعّق بهم من تفاصيل، وما يناسب إليهم من عناوين لم تعد تعني لك شيئاً.. وترفض أن تصبح في آخر الرفّ ككتاب مهمّش لا أهمية له في حياتهم. فتكتفي بعلاقة واحدة تكون مع القمر، وتكتفي بحب واحد يكون مع القهوة، وتكتفي بحديث خاص يكون مع القلم وتكتفي بعناقٍ فريد تجده في حضن جزء من قصيدة أو نصّ من كتاب!.. إن آخر ما ستاوي له هو اكتفائك بنفسك، بدموعك، بعزلك بحروفك، بأوراقك، بقهوتك، بعتمتك، بسريرك، بشتاتك، وأينيك، وتيهك بين أروقة حزنك. ستدرك أخيراً بأنّ أشيائك التي تكرّث الحزن في قلبك هي الأصدقاء الذين لم يكونوا ليتركوك وحيداً قطّ. ستدرك أن الانتظار لقدومهم ذلّاً، والانتظار لأن يفكروا بك ذلّاً أعظم. ستؤمن في آخر مشوارك المُبهم أنّ ذلك هو الوحيد الذي بقي معك حتى وأنت في عالمك البعيد الفارغ. ستكتفي بناذتك، وحيطانك، وقمرك، ونجومك، وشمسك، ورياحك

و شمعتك، ومنضدتك، وقلمك، وتنهيداتك، ودموعك بعد أن تصبح  
موسمًا من المطول المتدقق دفعة واحدة!

ستغایر شعورك بالحاجة القصوى إليهم، وتحاول فعل ماتمناه  
بمفردك، رافضاً لجؤك لملامحة هاتفية أو توجّهك إلى كتابة رسالة ورقية  
ليأتيك من يعينك.. ستعاتبُ ساعي البريد بعد تفتحك وإدراكك، لمْ كان  
يأخذ رسائلك الألف إليهم، لمْ لم يخبرك يوماً بأن الوقت لم يعد يسعهم  
لقراءة العتابات والتوصيات للإيتان والنداءات الغارقة بالدموع.. فكن  
مكتفيًاً بنفسك، مشاعرهم شفافة حدّ الخيانة، سيموّلونك يوماً حبّاً،  
ويلّحّونك يوماً مقطوعة عابرة! تعلّم كيف تكتفي بنفسك فلا أحد يدوم  
لأحد، فإن اكتفيت بها لن يؤملك رحيل العابرين، ولن يطعنك غدر  
الخائنين، ولن يخذلك اعتراف الكاذبين، ولن تهزّك تلوّحة الرّاحلين..  
الاكتفاء بك يعني: أن تبتلع غصتك، وتعتابك دون أن يكتشفوا مدى  
تأثيرك بقوتهم بك، ألا تخشى عبور أحد، أو يهشمك غياب أحد، وألا  
تبالي لامبالاتهم لك، أو تخلد طويلاً بين متأهات الانطواء والهرب  
بسبيهم.. أومئ لهم باكتفائكم وودع انكساركم معهم خلسة، أومئ لهم  
بتضاؤل حزنك، أخبرهم أن رحيلهم وعودتهم سواء، فلا رحيل  
سيكسرك، ولا عودة ستغيّر من وقارك شيئاً.. أن تخبئك بقلبك،  
وتواجههم قائلاً: أني نكتفي، وأني بالاكتفاء اكتفينا.. سيكتفون عنك،

## — عَزَّلَانَ —

فيعبرون، فيلوّحون بالر حيل، وعندما يكتفون عنهم أولئك الذين اكتفوا  
بهم عنك، يعودون:

– إِنَّا عُذْنَا..

– وَإِنَّا اكتفينا..

– كِمَا فَعَلْنَا؟

– تَمَامًاً فَأَكْثَر

## الله فقط

سيسمع ما لم تستطع التحدث به، ويفهم ما لم يفهمه الآخرون عنك،  
ويربّت على قلبك إن ضاقت بها الدنيا، وهزّها حزن لا يذر في القلب ركناً  
إلاّ وأوجعه.. وحين تصرخُ المآسي دفعةً وحدة، يحذّلك الله من خلاها  
كم هو: يحبّك؛ لأنّه إذا أحبّ عبداً ابتلاه، لأنّك عبده الضعيف وهو ربك  
القويّ، لأنّك عبده الفقير وهو ربك الغنيّ، لأنّك البائس وهو الرحمن  
الرحيم.. ولا تنسَ بأنّ الله يحبّ سماع كلمة (يا رب) فكررها دائمًا، في  
لحظات بهجتك وتعاستك، حزنك أو سعادتك، حذاري أن تنساه كي لا  
ينسيك نفسك كما قال جل جلاله في سورة الحشر ﴿وَلَا تَكُونُ أَكَلَّ الَّذِينَ  
لَسُوْلَهَ فَإِنَّهُمْ أَنفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيقُونَ﴾.. وحده رب العالمين  
سيبدّد أحزانك، فبُثّها إليه شاكياً متضرّعاً حتى تجهش انشراحًا مطلقاً..  
إلى ربك فقط: اشرح ضيقتك فقد اكتفى يعقوب بربه، حينها حنّ إلى  
يوسف وأكل قلبه الاشتياق واللهفة لرائحة فلانة كبده، وحينما ابتلع  
الحوت يونس أنجاه الله من ظلمةٍ أخافت قلبه وهيمنت عليه بالكثير من  
الارتعاب، وحينما أحيط بموسى بين البحر وفرعون ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِي  
رَبِّي سَيَهْدِيَنِ﴾.. وهب لزكرياً يحيى وقد بلغ من العمر عتيّاً، أنجا من  
البحر لوطاً ومن آمن مع لوط وأغرق الفاسقين فقط.. إنّ الله لن ينساك  
يوماً إن نسيك البشر وإن اكتفيت بمحبه في قلبك لن يؤلمك من عبر

مكتفيًا.. لا تقنط من رحمته، حتى وإن اعتصرتك أحزانك بقسوة فالله أقرب من كل شيء. أنا عبدك الذي يخشى أن ينساك وقت الرخاء ولا يبع إليك إلَّا في الشدائِد يا الله..

## صاحب التعasse..

في هذه القرية أنا الكائن الرمادي، صاحب التعasse وقائد التائبين..  
أستعيد بشاشتي، كيف؟ أشعر بالوحدة، لماذا؟ أجتاز مطبات الحنين،  
متى؟ خلاصي من البوس، أين؟ سبب انطفائي، من؟ عجلة  
الاستفهامات تبرحني فيهاً، ورحلة اختناقٍ تبدو شاقة وطويلة المدى،  
هذه الأماكن لم تعد تتسع لأنفاسي، وهذه القرية تضيق عليّ، أصدقاؤنا،  
عجبًاكم أو جعلتنا خياراتكم، نتقد نحن في مدفأة الحسراط.. هل نستحق  
الخذلان.. لماذا؟ فعلنا بحقكم.. ماذا؟ بالله لا تنبتوا الضياع في أرض  
الذاكرة، أعيدوا إلينا قلوبنا، مشاعرنا، وأحاسيسنا، أحلامنا وما تخيلنا!  
حيرتني تراود انشراحٍ، تراود لفتي للوصول إلى شقّ اعتراف، محض  
نهيّدة قد تداعب عنوقي.. يا الله، كيف أستطيع الانتشال: من هذه الأيام  
الثقال.. مشاعري في هذه اللحظة، تقنعني بأنه لا مفرّ من العبرة التي  
قالها إميل سيوران: الحزن شهية لا تشبعها أي مصيبة.



الحزن هو أن تحزن مع حزنك وتبقيا بمفردكما دون مواساة من طرفِ ثالث، وتحاول في إقناعه بأنك على مايرام هو فقط المُصاب بفيروس الأسى، وتحدّثه عن ماضيك وأنت تضحك ودموعك الأدلة المُبرهنة كم أنك تبدو أشد منه حزناً، تنام على إحدى فخذيه مستسلماً بارق، مُعرضاً بأنك متعباً، تشعر بالوحدة تارة والحرية تارة أخرى.. بالأولى لأنك مازلت ملوءاً بالبكاء، والثانية لأنك انتشلت نفسك من عناء المشاق التي اقتربها بحقك أقرب أحبتك.

\*\*\*

لم يعاقبونا يوماً عندما كُنا صغاراً كُلُّما أسانا إلى أنفسنا، لم يحثونا كثيراً على حبّ أنفسنا، لم يخبرونا أننا جواهُرٌ ثمينةٌ للغاية، لم يمنعونا من بعض الأشياء لنكف عن الاستيء، لم يقولوا: كونوا على استعدادٍ لتلقي ضربات الحياة، لم يصوّبوا ما اقتربناه غالباً من أخطاء بل كانوا يبرحونا ضرباً، وكلما تذكرتُ بأننا كنا نُخَرِّس كي نكفّ عن البكاء في اللحظة التي نُبَرِّح فيها ضرباً، شعرتُ بأن هذا العالم يضيق علىّ من شرقه حتى غربه، من الجنوب حتى الشمال، وتساءلتُ باستياءٍ تُرِى كيف قاومنا كل تلك الآلام دون بكاء.. ربما لهذا نحن نجيد مقاومة أو جاعنا هذه بصمت..

\*\*\*

## عَنْدَهَا لَا نِبَالٍ..

سوف نستطيع اجتياز كل شيء، ونسيان الذكريات إلى الأزل، وتجاوز المواقف اللامتناغمين معها بهدوء. الحياة لا تخلو من الحمقى، وأيضاً هي لا تخلو من العباقرة الذي يستطيعون التعلم من صُدف تلك الحماقات، وإذا أوقف فريدرريك نيتشه عندما قال: اللامبالاة هي شكل من أشكال القوة، وقال أيضاً: لا تبالي، فاللامبالاة تغريك عن كثير من المتابع.

لذا فالحياة بحاجة إلى الكثير منها للعيش بنجاحٍ روحيٍ لا تلوّثه نقطة ألمٍ عابر.. بحاجة إلى التفكير في القادر ليصبح الأمس مذكرة قديمة.. كي نستطيع وضعه في ملف المهملات.. ويصبح من أسفخ ما قد نفّكر به!

\*\*\*

## اعتراف (١)

نسيت بعضي على مرسى الحكاية، وحين أيقنتُ بأن جزءاً تبقى على  
قيد الحديث، عبرتُ دون العودة إلى ذلك البعض المثادي، وذدتُ أن  
ينتهي كل شيء على صفة بكاء، ولكن حكايات أخرى بدأت تتلو  
ماسيها!

ما كنتُ أعتقد بأن الحياة تجيد تقمص القسوة أحياناً كحييناً تحاول أن تنسى فلا تستطيع، ثم تصبح أسوة لأولي الحزن، والضيق، والانهيار.. تتأودُ بين تراكمات الماضي، ومذكرات ذاكرة هشة يتصالق هرمها بين الحين والآخر. تخشى الحنين، تخشى الشوق، تخشى اللقاء، تخشى كل شيء، وتتغرك طويلاً عمّاذا لو عدت طفلاً لأن تعيش دور الطفولة من جديد، تتارجح وقهقهاتك تعم المكان، وسنابل من الحياة البهية خلفك تداعب تياراً رناناً، لا أن تتارجح فوق أرجوحة من الخيبة، وصوتها وحيد، ومبسمها غريب بمدينة غريبة لا يسكنها الأوفياء! تكون بحاجة قصوى إلى شيء من السكون، من الهدوء، من الشعور بالحياة حتى الشعور، بحاجة إلى جميع تلك الأشياء من أجل قلب يصرخ كطفل بمتتصف الليل، وذاكرة تئن كمتسلول بين أرصفة الاستثناء مساماً.. هادئ هذا المساء، مليء بالكثير من العبرات، يعتريه الذبول كبستان وسط مدينة مهجورة توسد سكانها داء الاختناق، وترفرف راية المستحيل فوق هامة صمتك، بعد معركة شتّتها ذاكرتك ضد قلب لا يفكر بالنسيان. تقول في آخر مطافك بمناهمة متقدّرة: ما أمرّها لحظة الخنوع لنداءات القلب.. ما أقسى عتاب الذاكرة كلما نامت مكتظة بالكثير من الدموع، ما أثقل التنهيادات كلّما تسرّب المساء!

## عِنْدَهَا تَبْتَسِمْ!

ترديها فقط كقناع مُستعار، وما خلف ذلك القناع قصص بأئسته رصدها أو جاعك القديمة التي رافقتك حتى هذه اللحظة المحفوظة بدعابات الألم، تدليها على ضفة ملامحك التي ماتت منذ زمن دون أن يعزيها أحد، تبتسم وكأنها صخرة على شفاهك وضعها مجھول عابر. أفهم عليك جيداً، لا يوجد ما هو أقسى من أن تبتسم وقلبك في الداخل قد قصمه البؤس إلى شطرين: شطر يروي قصة الانكسار، وشطر يدونها بمرارة. معنى أن تجس كل آلامك في تمويهات محاملاتك وتجاوزك، أن تحاول في إقناع قلبك: سوف يكون يوم الغد أفضل والماضي ريح ستمضي.. ثم ليتذمر منك، ويتخلص منك، ويتابه اليأس منك لتتأوي إلى ركن آخر كالعقل "ربما" ... هنالك قصص لم يقرأها عنك أحد، لأنك ربما خبأتها بين دفتي قلبك فقط، خبأتها بين نصوصك الحزينة جيداً الحزينة التي قد تحاول جاهداً بآلاً تبديها للأخرين خلسة، وهنالك مواقف قد تتفاداها منسحجاً بعدما تختتم حوارها بابتسامة صفراء، مواقف لطالما أنجحتك كثيراً وغرقت في صقيعها بمفردهك طيلة الأمسيات التي مرت مروراً مؤذياً.. وهنالك أشياء قد تود البوح بها لكنك سرعان ما تعيدها إلى داخلك كلما هم لسانك في إفشاءها تراجع إلى الوراء فتغادر بهدوء ثقيل.. هناك اعترافات قد تجول بشتات بين الحين والآخر في قلبك، لكنها فقط تجول في الداخل.. مقيدة بأغلال أفكارك! قد تجد نفسك

أحياناً مرغماً بالكثير من الضحك وأنت منهمك بالكثير من البكاء في الداخل، تضحك؛ كي لا يتصر عليك أعداؤك لأن يسرقوا من خارطة وجهك دليلاً صغيراً يوحى بأنك حزين، أو قد تجد نفسك تتسمّ وقلبك قد اعتبرته جُلَّ ملامح اليأس ثم لا تدرى هل أنت ترتدي هذا القناع المستعار خشيةً من شهادة الحياة، أم أهل الحياة.. قد تُعد هدية مرتبة أنيقة، ترتدي ملابساً كروتك، ثم تذهب متحفظاً الكثير من الجمل كالآم التي تحفظُ ابنها قاعدة في اللغة العربية، وما أصعب قواعد الحياة وأقسى من تعامل معهم خلاها، تعامل معهم بالقواعد يتعاملون معنا بهمشية لا تعرف بالقواعد! تصعقنا اكتراثهم التي لم نتوقعها يوماً، لم يخبرونا عنها بالأحرى.. تماماً كما قال زيج زيجل: (تذكر دائماً، أنت لا تعرف عن الآخرين غير الذي سمحوا لك بمعرفته عنهم). تسلسل لقلبك الكثير من الكلمات الندية، تشتري باقة ورد وتنتظر بحماس وخوف، بشوق وقلق.. ليأتيك لامباليًّاً: لورودك، لعطرك، لهندامك، يستفتح حديثه ويختمه بين ثمة أحرف گ: انتهى كل شيء.. ثم ليغادرك: باكياً، أو باليًا، أو لا مباليًّا يأتيك بقسوة، يغادرك بقسوة. الجدير بأنك سوف تبرح لوهلة غير مستوعب لما ححدث قبل دقيقة مرت كعام مر.. تغادر أنت أيضاً جثة بلا روح ربما بقيت تلك الروح على نفس المقعد ورائك بعدها غادرته أو أنها قد ركضت خلف من تسبب في بكاء قلبك لتسأله: أنت على حق، أم تمنزح! وثم توشمُ الابتسامة المزيفة على فاهك، تمحو المشاعر من

قلبك، تواصل بقية العمر شخصاً هادئاً لم يعد يستدر للخلف أبداً، تمضي هادئاً مصارعاً تلك الذكريات، الأحداث والأحزان بمفردك، لا شيء آخر سوف يشاطرك مراتتها، سوى الصراع الذي سوف يحُل بينك ونفسك.

p. m 30:9

عِنْدَمَا تَرَى شَخْصاً يُضْحِكُ بِإِفْرَاطٍ، تَأْكُدُ بِأَنَّ الْحَيَاةَ قَدْ أَوْجَعَتْ قَلْبَهُ كَثِيرًا، إِذَا حَوَلَ إِلَيْهِ كَبْرِيَّاهُ أَمَامَ سُخْرِيَّتِهَا لَكِيَّا يَتَابُهُ أَمَامَهَا ذُلُّاً، أَعْلَمَ حِينَهَا بِأَنَّهُ يَعْانِي كَثِيرًا، لَكِنَّ كَبْرِيَّاهُ لَا يُسْمِحُ لَهُ أَنْ يَشْرَحَ قَصْةَ مَعَانَاهِ..

\*\*\*

العزلة ليست أن تكون وحيداً بين جدران أربعة، إنما هي أن تشعر بذلك ما إن تغادر تلك الجدران الأربع، وترتطم بالكثير من الأكتاف بين الجموع، الكثير من الأصوات، الضحكات الصاخبة، الأنفاس المتهالكة، والوجوه البائسة. هل كنت تظن بأنك يجب أن تكون لوحدهك كي تشعر بالعزلة؟!



## ما تَبْقَى مِنْ بَقَايَا..

للأوراق لحن في جزء من قصيدة ترنسَت بها أنغام مكسوة بالكثير من الأفكار والتراثات، ومن يحمل بين يديه قلماً فكأنما يملك مشاعر العالم وأسراره التي يخفيها بين دهاليز العبور، لذا قد نلوذ إليها كلما سئمنا من محاولات التعبير لمن هم حولنا، ثم لا يدركون مدى غرقنا في دواخلنا، فنضجت في النهاية، وكما قال غسان كنفاني: (الصمت لا يعني القبول دائمًا، أحياناً يعني بأننا قد تعينا من التفسير) .. للأوراق لحن: ندشّ بين أحضانها ما تبقى من بقايا..

## أنت ملكة!

مرحباً، يا نجمة تحبوب في روح السماء، قمر اثنى عشر أنت، حورية تحجل منها الحروف الثمانية والعشرين.. هيا معي تحت الربع، نصادف الفصول، ونعزف تحت عناقات المطر اجلبي الأحلام معك، سنهرب إلى عالم الدفء الجميل، سنرقد تحت سقية الحكاية، سنغفو والأغنية: على متن الشفاه.. إياك يوماً تحزني أو تشعري بالبلاء من هذا الزمان، كل اللوالي كتب الرجال إليهن، تراقصن على عفر الوجع ولا تكدرك إهداءات الكتب في أول الصفحات، فتلك أقنعة الذئاب، أو تعقدني حاجبيك أسفأً حين تبسط الورود أجنحتها فتطير إلى نوافذ العاشقين فتلك أيام ستبلغها مواسم عجاف، وإياك تنتظرين حباً من أحد فلتحبّيك بها فيك.. أحلامك حذار تتخلي عنها منها صفتوك اكتراثات الحياة، بما فيك من أملٍ اسحقي اليأس وافتري المأسى، وحين تخشو المشاعر خائبة عانقها بودٌ منك لا يميته بؤساً، وغنى الحلم بصوت عالٍ، وأخرسي الأحزان إجحافاً، وحين تغزوك الدموع لوذى إلى خطّ العبور، وحين تهمّشين عمداً غادري دون عودة يسيرة، وحين تركلك الحياة: انهضي رافضة مهزلة الضعف. قوية أنت كصخرة أنجبتها قسوة الحياة، لديك الحصى فأبرحي الأحزان عنفاً، لا تعقدني معها صلح الولاء، قوية، لا شوق سيهزمك، ولا حنين سيرغماك البكاء، لا حبّ سيضعفك، ولا فراق سيكتثر العناء، جورية ياللزكاء في رحيلك كيف يقتلع الشقاء.

حلّقى على صفحة الأحلام، فتلك أجنحتك سترصد حكايات من القوة ترويها الأجيال على منبر الفخر بك، لا تطأي بقدميك على عقب الرمال قبل أن تصبحي غيمة تطر بالنجاحداث، وتغزو قحط الحياة، فتملاً الأماكن بالمعنى الأجل للحياة.. بما فيك من الحبّ الرقيق أنجبي الود فالعالم بحاجة إلى ودك ليعيش سلام.. سلامٌ عليك ورقتك وصمتك وقلبك، وشكراً لأنك في الحياة، وشكراً لأنك معنى الحياة، وشكراً لأنك كل الحياة، فكيف الحياة ستعدو دون جلالتك، يخيل إلى: قصة هزلية مثيرة للملل.. للتعاسة والخمول! ومن قال بأنك عبء على عاتق الحياة فالحياة في خطر لأنها فيها. ما أروعك حين تستيقظين صباحاً تعانقين خفة الطيور بدفعه ابتسامة وتروين قصة نجاح أمام رغوة قهوة ثم تشعر بالتفاخر كثيراً أن عانقت شفاهك، ما أروعك يا ابنة الجمال وأوتنة الرّبّي، محبوكه بفixin حبّ، فيا لفخر أبيك بك أميرته المدللة، يا لعشق أمك لك كيف يكبر كل يوم! وعن حكاية النغم في صوتك، فلا نكهة في الصباح دونها.. الله! كم أنت عظيمة قارئة كتب، تغوصين بين أعماق الاطلاع، وتذكري بأن المستقبل أصبح لا ينكر إلا عليك فالرجال باتوا على حافة الانقراض! ابتسمي، فأنت عبق النهار، ضوء المساء، وتحفة الأماكن.. أرأيت هذا العالم بوسعه، مظلوم دونك سخيفٌ لا قيمة له فابتسمي.. أنت ملكة!

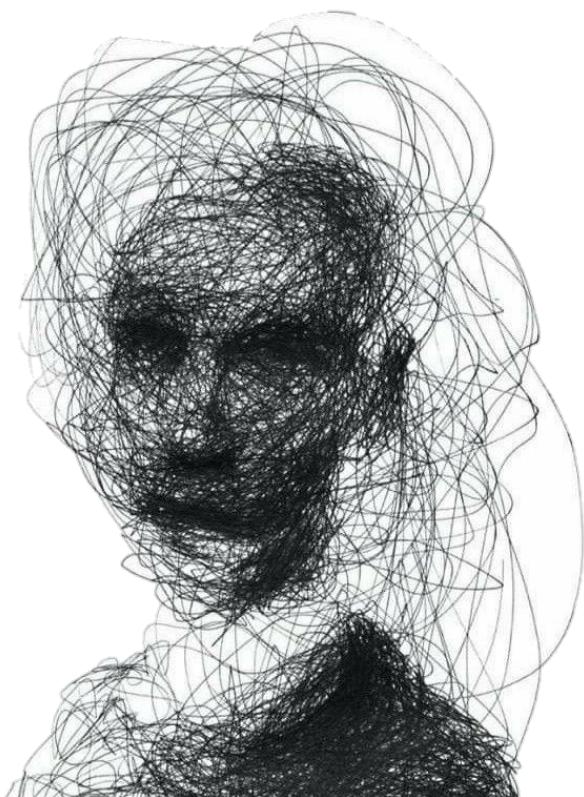
تشبه الحرب لعبة الغُمِيظة، بمجرد أن تغمض عينيك على خُضرة الأرض ورُزقة السماء، تفتحها على هُرة الأرض وسُواد السماء.. تتهيأً للموت المُفترس بأي لحظةٍ، وتركتض من هنا إلى هُنَاك لتحقيق حلمك وكأنه يومك الأخير، إذا وضعت رأسك على الوسادة تقول قد أستيقظ وأنا تحت الأنفاس وربما قد تخنقني الأعمدة التي ستنهال فوقي ولا أستيقظ، وحين تُشرق الشمس تقول قد تمر شظية وتبتر عمري، وتحرقني، وتنسفني قبل مجيء الليل.. نحن نختضر كل يوم لأنها حربٌ، وال الحرب عزائيل.. تُلاحق الروح حتى تقبض عليها!

\*\*\*

محملٌ بالكثير من الوحدة، أشعر بأنني مهزومٌ لا أقوى على المحاربة ونيل الانتصار.. أينهم عندما قالوا ذات لقاء: إن حاولت الحياة أن توقعك نحن عصاك فلتتكئ علينا، وإن حلَّ على قلبك موسم الأوجاع نحن مناديل دموعك فابك حتى تستكن، وإن التهمتك مآسيك بشراهة، نحن من سنداتهم شعورك بالوحدة ونستأصلك من بقاع تيهك.. نحن فقط.. ربما تحقق ما قرأته لماكس لوكاندو عندما قال: (سيشعر أقرب الناس إليك بالملل من إظهارك لمشاعر الحزن والتعاسة بصورة مستمرة، وسيتركونك وحيداً حتى وإن وعدوك بأنهم لن يفعلوا ذلك يوماً).

## أحاديث المكتومة

ونصوصنا المختبأة بين أدراج المطر، خواطرنا الشابة، ومقاعدنا الهاشة  
في بستان القلب الذي مات من يسقيه إن توغل في العطش، أمانينا النائمة  
تحت الأسرّة بخوف، وضحكاتنا الرنانة الملفوفة في خرقه من حرب،  
جيعها عُلقت على مشنقة القصاص، توالت المصطبة التي تدلّت عليها  
بتدرج لنقصَّ كمن أحكمو من قبل ظلّماً.. لم يأتِ من يثبت براءتها..



## عَقُوقُ ذَاكِرَةٍ

عندما قلتِ عزيزتي غادة السَّمَانِ: إِنَّ الْذَاكِرَةَ وَالْأَلْمَ تَوَأْمَانَ، لَا  
تُسْتَطِعُ قَتْلَ الْأَلْمِ دُونَ سَحْقِ الْذَاكِرَةِ.

كيف بإمكانني تنفيذ الشأنة طالما الأولى تشرّحني ما بين كل عشيّة  
وضحاها. أنا أيضًا أريد أن تصبح لدّي ذاكرة طائعة، والمؤسف أنها عاقةٌ  
لهذا القلب المُتّعب يومًا تلو يوم.. حيث أقول: يجب أن تنسى فتّابي، يجب  
أن تتجاوزي فتّابي، يجب أن تتناسي فتّابي، أريد أن أصبح حرة فتّابي،  
أريد أن أستيقظ من بين ظلمات الذكريات وهمّات الماضي فتّابي.. تأبى  
كل شيء دائِمًا. أنا أيضًا أيتها الأمهات أريد ذاكرة طائعة كما تردن أولادًا  
طائعين، أريد ذاكرة جديدة، قلباً جديداً، مشاعرًاً جديدة.. سئمت من  
جيع الأشياء المرتبطة بالماضي، حتى أنا الماضي لم أعد أريدها أبدًا، مللتُ  
مني للغاية حد الاستغناء، إلَّا أنّ ملي ساذج فهو لم يستغنِ عني يومًا!  
وأئمّها يوسف إدريس حين قال: أبغى أنواع الملل. الملل من شيء لا  
تُسْتَطِعُ الاستغناء عنه كأنّ ملّ من نفسك.

p. m 19:11

مساء اللّا وعد لأشيائنا الداخلية وأحاديثنا الخجولة، مساء اللّاتناسق  
واللاتناغم مع ثرثرات الحياة، مساء الخير أئمّها البعيد الذي لم تفجّر في  
الإليان يوماً حتى وإن كنت كعابر كوني مريض أصارع حرقتي هنا  
وحدي، أخبرتني يوماً بأن ذلك مستحيلاً أن أبقى وحيداً طالما أنت على  
قيد الحياة، وهذه إحدى أكذوباتك التي خدعت بها كالعادة وصنعت  
عهدها بصفاء مطلق.. لا أدرى إن كان هناك ما أماتك فأباقاك مهوى على  
حافة الحياة لا أنت من الأحياء ولا أنت من الأموات، كان عليك أن تأتي  
وتخبرني عن كل شيء أهان قلبك وأوجعك كي نبسط أكفنا وندعو الله  
معاً.. أن تبكي بصوت عال وتبعثر كل ما تشعر به دون خشية من أي  
شيء في الحياة، أنسىت ماقلناه لبعضنا يوماً(لا خشية من شيء ونحن معاً)  
انفصلت من ضمير نحن، أنا لوحدي، أنت لوحرك غادرت بمفردك  
تصارع خشياتك وحيداً، لا تعيل لانسحابك الجامد، ولا مبرهن  
لهروبك المباغت.. إنني وإياك تحت سماء واحدة الآن، فانظر إلى ذلك  
القمر الذي أوصيه فيك، وأنوسل إليه أن ينير وجهتك المعتمة، ويبلغك  
مأمنك وانشراحك.. عمت سلاماً..

\*\*\*

اعتنى بي يا أنا، فلستُ على ما يرام، ابقي هنا بجانبي، ضعي الكِمَادات  
على فؤادي الذي يتقد حزناً، قولي: (ستُمرُّ كالعادة)، حدّثيني عِمَّا سأفعله  
في مقبل الأيام، لا تُشعرني بالتعب، أو تقولي حالتك تزداد سوءاً، أو أنت  
على وشك الاحتضار، بل عانقيني بدفء، وقدّمي الكثير من النُّصح  
والإرشادات التي يجب عليَّ تنفيذها بعد مرور هذه الساعات الثقيلة..  
هل أنتِ تسمعيني يا أنا، أم أنكِ نائمة؟

\*\*\*

## مرحلة النَّجَّحُ بعد وعَكَاتِ الضَّربَاتِ

يقول الفيلسوف الروسي دوستويفيكي: ستصل يوماً للنَّضج الذي  
يجعلك ترفض التعلق بعلاقة مؤقتة، أو صدقة بإرادة، أو جدال أحمق، أو  
التعلق بالزائفين.

تعرَّضنا للكثير من الآلام قبل أن نستسلم لتلك المرحلة قاتلنا  
مشاعرنا، وُحَسِّرنا في زاوية تغدق بالوحشة، أتقنّا لعبة المهروب، وفشلنا  
في مهمة النسيان أكثر من مرة، أعثرتنا تشوشات الماضي كلما غنَّتها  
الذاكرة، وقامت بابتلاع هواجسنا إلى عمق السراب، حفرت الدَّمْوع  
الكثير من الخنادق تحت عيوننا، وُخضنا حروباً لا نقوى عليها، وتلقّينا  
للكثير من اللَّكمات حتى تضاءلت قدرتنا على المقاومة.. لقد أوجعونا  
أولئك الزائفين كثيراً ولكننا بفضلهم قفزنا إلى غيمة بعيدة، لنرى كل من  
حولنا بعين المنطق لا بعين العاطفة. يجدر بي القول بأننا ممتنون لهم كثيراً..

## مِيَّا لِنْبِكِ

أن تبكي فذلك يعني هناك ضمير حيٌّ في داخلك، شهم الأصالة وفعمُ المشاعر الرقيقة أنت، كيابض الثلج ومبسم اللؤلؤ قلبك. إنَّ الأشخاص الذين ي يكون لأي موقف، وحدهم قلوبهم جميلة، نقية، رقيقة لا تحب فقدان أحد ولا قهر أحد. الأحد الذين قهرواها ثم انتابها منهم الحزن، فغادرتهم بهدوء كيلا يقدرون ثمنها الباهض إلا بعدما تغلق الأبواب في وجوههم. فابك عندما تخلد إلى التوبة فتبتهل مغفرة الغفور ليغفر لك، لتطفِّع دموعك نار قلبك.. فابك كي تخوي كل شيء يبني في قلبك الكثير من الاستياء والشعور بالأسى، تخلق بأجنبة الواقار بين غيوم الانسراح. اذرف، فاذرف، فاذرف، لا تكتبت الحزن داخلك فيتضخم وتفقد كل ما تحلمه، وتود الوصول إليه. اجهش كثيراً لكن بمفردك ليس أمامهم سيرفعون رايات الانتصار مكتوب عليها (غلبه الانكسار)، أرأيت (غلبه الانكسار) كل من حولك سيحاولون محو دموعك بأناملهم الكاذبة. الكاذبة التي أفسدت كل شيء (ربما).. عندما نبكي فإنَّ الدموع وحدها تربت على أكتاف شهيقنا، لأن البكاء وحده يجرنا شطر مداخل الاختفاء لنعبر والسمسم ولن لا يفكر في الزوال.. هناك وديان اعتدنا عليهم في إسقائها، لكنها يبست بعد رحيلهم وأصبحت للاجيئين ملاداً في الهروب. الهروب من أماكن الذكرى وتفاصيل اللقاء التي ستفتقد لها كثيراً (أعلم ذلك) ولكنَّ البكاء وحده يستطيع قتل مرارة

ذلك الافتقاد! نبكي كطفلٍ راودته أحلامٌ مُستحيلة التقبيل من قِبَل الحياة،  
يَتَمَنَّى كِسْرَة من رغيف أو شيءٍ من مأوى أو سعادة أو عنانِ أمّ راحلة،  
تعصر قلبه عبراتٌ خانقة، بل جالبة للدمار النفسي. وأمنيات في جوفه  
ماتت حديثاً بعد انتظار طويلاً، يتسلل برد البكاء إلى جوفه المليء بالكثير  
من الأمانيات المستحيلة في زمن حرب فتاكَة، فلا معطف للأمان لديه ولا  
مظلة تقيه قطرات خوف يبعثُرها الظلام على أرصفة الشتاء.. البكاء  
لا يعني ضعفاً، فنحنُ نبكي كي نطمئن، تنهيدة عميقَة عبرت كنصلٍ  
انغرس في الفؤاد وقد صادفت عازفًا بالمساء، والمارة التائهيون وحدهم  
يضعون التقدُّد نصب عينيه لأنّهم وحدهم نبشت تلك المقطوعة ما  
بمشاعرهم.. شرحت كل شيء "مخنوقي" ..

فهل خُضْتَ تجربة التنهيدة التي وكأنّها جرفت كلَّ همومك خارج  
بلدة قلبك!! (أنت تحيا بعد كل مرة تميتك فيها آلامك) فهياً لنبك..  
وننطلق أحراراً غير مُنْقلين بالتراثِ!

\*\*\*



a. m 55:11

ذات مرّة حين عثرتَ علي، أسردُ همومي، وأسلسل أسباب ضيقتي، حينها رفعت يديك إلى السماء تدعوا على من تسبب في ذلك .. مؤسفُ أن أبقى اليوم بمفردي، وأنت غائبُ لأنك لا تستطيع أن تدعوا على من تسبب في اكتراش التعasse لي .. لأن المرأة لا يدعوا على نفسه يا صديقي ..

\*\*\*

يستطيع الإنسان أن يكتم قهره في كل شيء إلاً عندما يكذب عليه أحد (في المشاعر خاصةً) .. هنا يبدأ تدريجياً في خلع قناع العفووية، يتسلله بقسوة غير معهودة، لا يحبُ بسهولة، ولا يصدق بسهولة ولا يتغاضي بسهولة أو يقع في حُفر الكاذبين بسهولة بعد ذلك. يستتتج من كذبةٍ اقترفت بحقه الكثير من الاستنتاجات أولها ليس الجميع صادقين وليس كل الألسنة تقول الحق !!

\*\*\*

## هَرَوْغَات..

للمرة المليون، توجنا بصرنا إلى الحائط كي لا يلاحظون دمعة سقطت بتسلي. انسحبنا من بين أحاديث الجموع بهدوء لنهرب إلى الشرفات بحثاً عن مناديل تقوى على مقاومة دموعنا المتدافئة! وحين تسأءلوا عن سبب احمرار عيوننا فاوضنا بجزعٍ من تلك الأسئلة ليعلموا بأننا متعين فقط، ونرثبُ البقاء بمفردنا.. راودتنا الكثير من التناقضات وتغلب البكاء علينا حتى أثقلنا الوسائل بالدموع، ووددنا لو أن يكتبنا أحد، أو يقرأنا ويسرّحنا لأنفسنا التي فشلنا في فهمها.. لكنَّ أحداً لم يفعل ذلك أبداً، تركونا في ذاكرة التيه، نتوه لوحدينا..

## ذات هدوء!

بين حيطان أربعة، دموع جارفة، ذكريات تعبّر باستمرارية في الركن من شرفتك تعدّ خيباتك خيبةً خيبةً! ومحاولاتك في حمو الكثير من الدموع تبوء بالفشل، أو الكثير من الذكريات والشهقات. هدوء في الشرفة وضوضاء في القلب. يحتويك السرير ويعانقك اللحاف وتشرب الوسادة من عينيك دموع كالمطر! في الحين الذي أصبحت هامدة لا تشعر بالحياة جراء الدموع الماحلة! حتى الوجنتين باتت موشومة بالترهل. الكثير من القصائد قد تدونها روحك الرثة، والحزن من أعمق القصائد، بينما تحسّر الأوزان والقوافي في المنحدر. أوزان الماضي، وقوافي الذكريات، تجدها بين المفردات العميقه.. تجدها طويلاً، والقلب يعرق في الصقيع، والذاكرة تتلف، والروح تتهالك، والنوم ملادُ المتسكعين بي أزقة قلوبهم وعقولهم.. في الركن من شرفتك التي يجوبها الظلام، تلتّهم مرارتك، وتبلع غصتك وتصفع وجنتك كرّة تلو كرّة.. وحيداً انفرض أصدقاؤك بُترت علاقاتك وتضاءلت قدرتك على مجاملة الحياة أو أهل الحياة أو قسوة الحياة، وبحوزتك، فتيل لا يشعل سراجه سوى صديق الصديق الذي لا يُضاهى: جمالاً، أناقةً، عمقاً وغموضاً، إنه المسمى "قلماً" بينما يلتحف بستره الجميلة المسمّاة "كراسة" تروي لها قصصك ذات الفصول الطويلة وتتجدّف من مشاعرك ما استطاع لسانك المتشاءب تحريره.. صمت طويل وهدوء غريب ونذر من النسمات الباردة تعبّر

و جنتيك محاولة في مداعبة الصمت الذي يتاتي فاهك (قلبك أحرى)،  
تزدحم الكلمات أمام نافذة النشيج وتنتظر شهقة واحدة كي تتحرر من  
زنزانة الحنجرة. وما أدرك ما السجن، وما أدرك بعثته، وحيطانه ذات  
الشروخ، وفرانه المسنة، والسكون الذي يذبحك وينحرزك دون أن  
يستوجب لك سجانك! تخاطبك أربعة حيطان منذ السبعينات وقيودك  
عزف مجانون وصراخك لذة يتلذذ بها جلادك وأنينك قهوته، وبكاؤك  
كعكته ودموعك ماوه العذب ودمك شرابه الطازج وتوسلاتك لذيدة  
بالنسبة إليه كقطعة من لحم ضأن لم يرتو من لبن أمه إذ سلبوه منها كما  
سلبواك من أيامك التي كان من المفترض أن تعيشها.. فوضيًّا تغتليك،  
وأصوات في داخلك لا تعلم أي صنف من الهمميات التي تهمسها  
وتصرخ بها.. هل حقاً كل تلك الأصوات بين أركان هذا القلب  
الصغير؟ الصغير الذي لا يقوى على أثقال الحياة، رحماكم بي أيها الصغار  
الذين تصرخون في ساحة هشاشة، اهدأوا.. تربوا في حديثكم،  
أخبروني ما الذي تودون وتريدون قوله!! (هكذا تعاتب الأصوات في  
داخلك) في شرفتك قد تشعر بالنعجة. بعيدٌ عن الضوضاء والعالم، تعيش  
من الروقان مع القهوة المرة حوزة القلم المخذول والكراسة الأرمدة  
روايات من التراجيديا الطويلة، تخوض مأساتها بمفردك دون أن تشاركها  
الآخرين، فالآحزان لا يتشاركونها كالآفراح غالباً. هكذا هم، يحبونك  
إن توهجت، يهجرونك عندما تصبح معتماً..

يقول أنطون تشيخوف (يجب أن تشعر بأنك وحيد في الغرفة، السعادة الحقيقية مستحيلة بدون الوحدة).

تعيش مع نفسك.. تتبادل معها أحاديثك، تفهم ما تود، ترتب فوضاها، أو تحاول صقلها، شحذها وإعادة هيئتها، مواساتها، ردم جدرانها المهايلة بالأنهيار لعلها تكف عن الميل إلى وجهات الذكريات. قد تركل قلبك في لحظة نفاذ طاقة كتمانك، وتمزق ملابسك، وتحطم اقتناءات الشرفة، وتتصفع الحيطان بالزهريات والتحف، وتتصفع نفسك أيضاً، ثم تستسلم للبكاء كطفل أضاع لعبته..

كلما تقدمت في العمر كلما أصبحت بحثك أكثر عبئاً على عاتق الحنجرة، والاختناق ما أسوأه عندما نكابر فنسجن البكاء! والبكاء ما أقساه كلما انتقم من صمتنا..

\*\*\*

# — گزستان —



p. m 45 : 4

في حقيقة الأمر جمعنا لدينا ذلك الاعتياد الراسخ منذ زمن، على  
أشياء نربط بها تفاصيلنا دوماً، اعтиادنا على احتسائ قهوتنا في قدر مُعين،  
القراءة في وقت مُعين، الكتابة في أوقات مُعينة، جرس الساعة  
الاعتيادي، الإضاءة الاعتيادية، المعطف الاعتيادي، الزاوية الاعتيادية،  
أشياء نعتاد وجودها ويكون لها الأثر الكبير في أداء مهامنا كما يحب، وما  
إن يغيب أحدها حتى نشعر بخلل مّا، كما لو أن أمّاً فقدت إحدى  
صغارها في الزحام، الأهم من كل ذلك، اعтиادنا على تراصف كتبنا على  
الرف بالشكل الذي تعودنا، ثم ما إن يغيب أحدها مع صديق  
استعارها، شعرنا بنقص هائل حتى يعود، ليس الجميع لديهم تشبع  
بالأشخاص، هناك أشياء غيابها يؤثر سلباً على طريقة مارستنا لها مهانا..  
أشياء لا أشخاص!

في الرُّكْنِ صورتنا الخرساء واجمة

والروح من ألمِ الأحزان مقهورة

هَلَّا أَفَقْتِ على ألحان قافيتني

يا مَنْ تلاهينها بالشوق محصورة

كم قد رسمتُ على رمل الحياة بما

شاءت حروفِي في النفس مطمورة

أَمَاهُ لَا تتركيني خلفَ ساقيةٍ

أَرْعى الحنين على أنغام عصفورة

\*\*\*

لقد أصبحت شخصاً واهياً، حساساً، تثببني أبسط الكلمات، أتوتر من لا شيء، وتزعجني أتفه الأشياء، وتسحق مزاجي أسفخ المواقف، وتدمرني أدق التفاصيل، وتشيرني أصغر التلميحات بالكثير من الاستياء!

أهكذا أردت أن أجبيك عندما سألتني ذات قلق؟

\*\*\*

## ما يجول في داخلي، لن يفهمه أحد

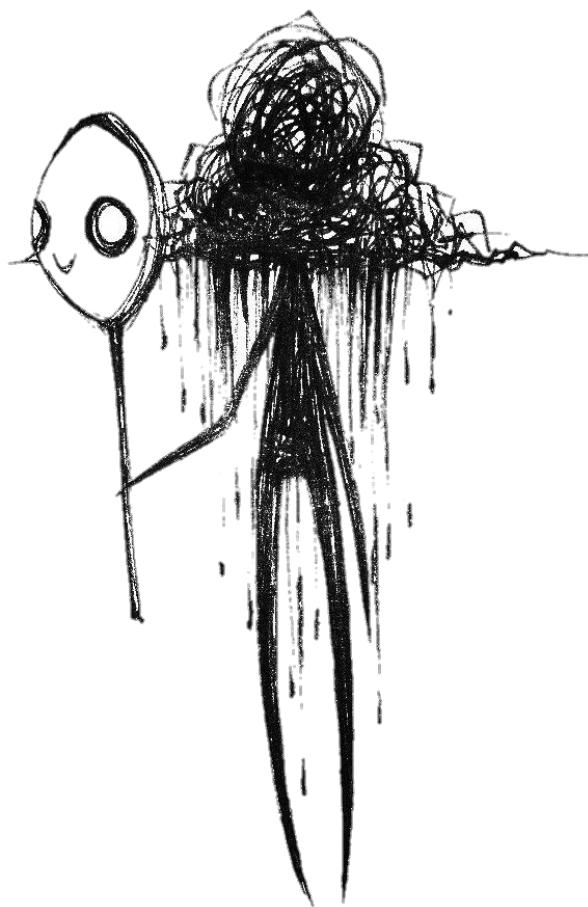
كل ما أشعر به هو أن كياني يتربّس، تتبخّر أنفاسي الساخنة بفضل تفكيراتي عقيمة الحلول إذ بلغتُ من الحزن عتيّاً. تراودني رغبات عدّة لا أقوى على تنفيذها كرغبة البكاء بعلن أو الضحك بعلنٍ، أو التحدث دون أن تقاطعني دمعة أسف، لا أدرى، لكنها أشياء غير مشروعة الحدوث معى.. ماتت قدرتي على التشبيث بمن منحهم كامل إخلاصي.. تهالكت أنا ملؤ وديٍ، وأصبحت خائب الملامح، مكسور الفؤاد، مقفّع الحديث.. متبلور في دوّامة أوهامي وتساؤلاتي اللازائلة من غبش التناقض! ما كنتُ أدرى بأن الماضي يجيد كل هذه الرومانسية ليبقى معانقاً أحضان ذاكري إلى الأبد..

## اعتراف (2)

في هدوء هذه المدينة أغرق مزوجة برغبة الرحيل أو البقاء، وأفكر ملياً كيف نستطيع إقناع هذا العالم بأن الأُنثى التي تحذل لمرة واحدة، تصبح قوية كألف رجل، وفي الحقيقة أن الرجل ليس معياراً للقوة. إنها لا تتحني لقصوة الأيام، ولا تخنخ لعصف مشاعرها البائسة، هي تحزن كثيراً، تلوم نفسها كثيراً، تتمزّق روحها بشدة، لكنها كلما تذوقت المرارة والألم كلما ازدادت قوة وكبراء، وعليها فإنها لا تخشى من الحياة أو من أهل الحياة، لأن الحياة هي التي تخشى صلابتها وصراحتها، وقوتها وثباتها الذي أينع بغلظة.. حين تخيب آمال أي امرأة فيك، فإنك تعرض نفسك للذل، لأنك لن تتمتع كثيراً بضعفها ولحظات سقوطها، في الحين الذي ستسقطك قبل أن تسقطها !!

وقد تهرب منهم، وأحاديثهم، وزيفهم، وأقنعتهم، وهذيانهم كلما حلَّ مساءً أحفاد ابن سلول. إذ يسردون أمامك شيئاً، ويضمرون أشياء مضادة. تغادرهم حين لا يعود لوجودك الفائدة القصوى، طالما تبقى بينهم مكتوف اللسان، يتيم الشعور بالدهشة، وشفتيك مهجورة من أي ضحك، لا مبسم لديك ليتعالى، لا أحاديث في قلبك يمكنك التحدث بها. تشعر بأن قافلة الحروف ثقيلة، وجوفك مُرْضيَّ في قرية لا يملك أهلها سوى الفوانيس فقط.. يضيئ عمرك، وتنصرِّه أيامك الجميلة على موقد رحيلهم المفاجئ الذي لم تكن تتهيأ له يوماً. تحضرُ بينهم، وتموتُ وأنت تصرخ من الداخل، تدفن نفسك وتقيم حدادك بنفسك، وتتوتد خيمة عزائك بنفسك، وتعزيك بنفسك.. تطحنك حقيقة الأقنعة، وتصدق لفرانس كافكا إذ قال: (خجلتُ من نفسي عندما أدركتُ أن الحياة حفلة تنكُرية، وأنا حضرتها بوجهي الحقيقى).. تخنقك مشاعرك والكثير من هم حولك لا يدركون ما بال وجهك تعترى به المأسى، تخرس صوتك كلما اندفع في عشرة الكلام، وتنجاوز مشاركة البقية في التفاهات، وتُعلن قلَّة تحمّلك في إتمام الاستماع إلى بقية التراثات الليلية، والترهات المجنونة، واللحاقات المستمرة.. تغادر بعدما تروي لهم قصة عاشت هزلية، وتتسخر من نفسك بينما تلتبس دور الأحق في تلك القصة.. تغادرهم وأنت ترتطم بين وجهات دموعك، وتتسكع بين أرصفة هَمَّك،

وتطيح بك الأفكار أرضاً، ثم تقتات عجزك بين شوارع الشوق القارسة.  
لا قمر، لا نجوم، لا قلب، كان يعتني بقلبك (كل العالم أحلكته  
الأحزان).. تجثو وقلبك يتحطم من الداخل، ورئتك تختنق بغبرة  
اللأنسيان، ودموعك تبلل أهداب جيبيك الذي ما يزال مخبياً رسالة  
الوداع بين زواياه، وبواطن كفيك تعانق ورودهم بشدة.. تذرف السماء  
مربربة على أكتاف ضيقتك السحرية الكاوية أطراف إحساسك، والجريئة  
في نشر أوجاعك دون استئناف. تبللوك، ووشاحك، وقلبك، وتحاول  
غسل ذاكرتك من بقاياهم ...



قالوا: أنتم أجمل صدفة في الحياة، علقونا بهم فرحلوا، لا رسالة وداع، لا خبر عن رحيلهم، لا علم إلى أين غادروا. أنانية ذواتهم وارت الإخلاص، أولئك الأصدقاء جعلونا نتعلق بهم، ننتظر الوقت الذي نلتقي بهم بمرير صبرنا. رحلوا دون أن يقولوا: وداعاً، دون أن يدركوا ما حل بنا من انكسار وضيق مؤخراً.. دون أن يعولوا لاكتراشهم الذي اكترثوه بقلوبنا بعدهم، ثم تركونا في تيهٍ ولم يسألوا عنا ولم نسمع لهم أي صوت قطّ، فربما قد أصبحت أسماؤنا في لائحة القدماء يغومها غبار النسيان أو ربما عُلقت صورنا على حبل ذاكراتهم فرثوه لنكون فقط من الماضي. الماضي الذي لا تزال رائحته تراودنا في كل طقوسنا تصوّعها الرياح ويخمدّها المطر تهبّها الرياح مرة أخرى لتعيد الذكريات وتضع على الجرح ملحةً! لا بأس بالرحيل ولكن ياليت لو أعلنا بذلك الرحيل؛ كي لا نشتاق ونعتاب ونلتّمس لهم أعداراً للغياب. العتاب الذي فقط ندونه على أوراقنا بحبر دموعنا. الدموع التي لا نستطيع حتى إرسالها إليهم عبر بريد الآه الطويلة بينما تُنذر ثقيلة.. رحلوا، معهم الله إن نسونا وأصبحنا أسماء عابرة بالنسبة إليهم، إن أصبحنا لديهم أشخاصاً من الماضي، إن تكوننا دون أن يعيروا الاهتمام للتفكير بنا.. معهم الله!

إنّي أُفْكِرُ في هذه اللحظة بينما أتَمَّلَ غروب الشمس كيف تختفي  
بهدوء كأنَّها الطَّيِّبُونَ. الطَّيِّبُونَ الَّذِينَ يَشْعُرُونَ بِالْحَيَاةِ فَقْطَ عِنْدَمَا يَقْدِمُونَ  
لِلآخَرِينَ مَا يَسْعُدُهُمْ، وَيَزِيْحُونَ بَعْضًا مِّنْ أَوْجَاعِهِمْ وَلَوْ بِالْتَّرْبِيَّةِ  
الْقَلِيلِ، وَيَضْرِبُونَ الْبَاكِينَ الَّذِينَ سَمِّوْا اسْتِقْبَالَ أَوْجَاعَ أُخْرَى..  
انْهَمَكْتُ فِي حَدِيثِي عَنْ أَوْلَئِكَ الطَّيِّبِينَ الَّذِينَ كُنْتَ مَثْلَهُمْ يَوْمًا.. حَتَّى  
أَدْرَكْتُ الْآنَ بَأْنَ بَعْدَ كُلِّ شَرْوَقٍ غَرْبَ حَتَّى إِلَّا أَنَّ الشَّرْوَقَ بَعْدَ ذَلِكَ  
الْغَرْبَ آتٍ لَا حَالَةَ. مُجَرَّدٌ تِسَاوِقٌ زَمْنِيٌّ وَتِعَاقِبٌ اعْتَدْنَاهُ جَمِيعًا بَيْنَ الْلَّيْلِ  
وَالنَّهَارِ.. لَكَنَّكَ شَمْسِيَّ الَّتِي غَرَبَتْ وَلَمْ تُشْرِقْ حَتَّى الْآنَ، انتَظَرْتَكَ عَلَى  
مَقْعَدِنَا، بَيْنَ الظَّلَامِ تَرْقَبًا لِمَجِيئِكَ وَلَمْ تُشْرِقْ بَعْدَ.. أَخْشَى أَنْ أَفْقَدَكَ باكِرًا  
لَأَنَّكَ مِنَ الطَّيِّبِينَ..

\*\*\*

وَلِمَا يَدْرِفُ الْقَلْبُ لِرَحِيلِهِمْ وَقَدْ رَحَلُوا مَلْوَحِينَ بِالْكَثِيرِ مِنْ  
الْتَّجَاهِلِ! يَدْرِفُ رَبِّيَا لِأَنَّهُ لَمْ يُسْتَطِعْ إِعَادَةِ ذَاتِ الْأَيَّامِ وَالسَّعَادَةِ وَالْأَمْلِ..  
هُوَ اعْتَادَ أَنْ يَحْتَكِرَ سَعَادَتَهُ بِوُجُودِ شَخْصٍ اعْتَقَدَ بِأَنَّهُ النَّهَرُ الَّذِي يَنْهَلُ  
مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ تَرْيَاقَ مَسْرَّتِهِ.. رَبِّيَا يَبْكِي لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ مِنْ يَوْاسِيْهِ بَمَا يَشْعُرُ عَلَى  
الرَّغْمِ مِنْ تَوَاجِدِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ حَوْلَهُ يَحَاوِلُونَ مَوَاسِيَّهُ.. رَبِّيَا يَبْكِي لِأَنَّ  
الشَّخْصَ الَّذِي كَانَ يَمْحُو دَمْوعَهُ هُوَ الَّذِي جَعَلَهُ يَبْكِي الْيَوْمِ..!

## أحلام نيسان

تمر الأيام وكأنها يطاردها قطبيعاً بينما نرقص في الفراغ نتمايل بين جدران اللهفة والبعض من الاشتياق والقليل من الأمل المبهج للقاء مَا! إلا أنَّ بعضَ من اللحظات الجميلة قد تمر كالنسمة العابرة، رقيقة التفاصيل وحلوة المعنى. لذلك قد نحتفظ بذكريات منسوبة لتاريخ مَا، كأحلام نيسان عندما ولدتْ شفافة. كما أرى بعضهم يتذكر عيد ميلاده بحماس، عجباً! لم يذكرني به يوماً أحد لذا قد نسيته منذ زمن. أحلام نيسان أسمها قلبي الراكد على مرسي خذلانه بالأحلام المؤودة.. أيام الجاهلية يعيدها الزمن (أظن ذلك) الأحلام البريئة كابتسامة طفل رُسمت على فاهه الضحكة گ: الرقص تحت المطر، التجول بين الورود، الجلوس أمام البحر، قراءة كتاب مَا بينما تتكئ على جذع شجرة حنونة، كتابة نص مَا بقرب من تكتب النص عنه، تنظيم قصيدة شعرية بلحظة قد تم اللقاء فيها، لكنها تلاشت تلك الأحلام. ماتت أحلام نيسان ليتم سجن المتظر لها في شرفة العزلة وحيداً هو وشمعة خجلة، ودموع كثيرة، وابتسامة بكماء، وقلم يتعثر بين خطوط الأسطر تارة تلو أخرى.. هو فقط، لن يأتي أحد ليحمل عبء جوارحه..

a. m 49:10

أَلَدِيكُمْ عِيدٌ مِيلَادٌ! لَدِيْ عِيدٌ خَيْيَةٌ يَرْثِي حَزَنًاً.. نِيَسَانٌ، مَاتَتْ فِيهِ جَمِيع  
الْأَمْنِيَاتِ الْجَمِيلَةِ!

\*\*\*

ثُمَّ تَفْكُرُ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَبْخُرْتُ دُونَ سَابِقِ إِذْنٍ، كَيْفَ بِإِمْكَانِكَ تَرْمِيم  
قَلْبِكَ الْبَرِيءِ بَعْدَمَا ثَقَبْتَهُ بِاِخْتِفَائِهَا...!



## لا عنوان ..

يُبَيَّنُ شَيْءٌ مِّن التَّفْكِيرِ وَخَفْقَانِ الرَّصِيدِ الْمُبَهِّمِ الْلَّامِعِرُ وَسَطِ ذَاكِرَةِ  
الضَّيْعَ، تَهُوِي إِلَى زَوْيَةِ تَعْانِقِ الْأَرْوَاحِ مَعْجُونَةَ بِالْعَدْمِ، تَجُولُ بَيْنَ مَآرِبِ  
تَفْكِيرِكَ الْمُفْرَطِ، وَاللَّيلُ يَسْهُبُ مِنْكَ نُورٌ أَهْدَاهُ إِلَيْكَ الْقَمَرِ ذَاتِ مَسَاءِ  
غَنِّيَّ قَصِيَّةَ الصُّصَمِيِّ وَنَجْوَمُ عَاتِبِ الزَّمْنِ عَمَّا اكْتَرَثَ بِحَقِّ عَلِيَّاءِ بَحْقِ  
الْمُتَنَبِّيِّ الَّذِي كَانَ يَحْنَ إِلَيْهَا، تَهْبُكُ السَّوَاكِنُ الَّتِي تَحْشِرُ جَهَّاً رِيَاحَ تَشَبِّهُ  
الْغَائِبِيْنِ فِي التَّسْلِلِ، تَنْظَرُ إِلَى النَّافِذَةِ وَنَدِيَ اللَّيلِ يَتَهَلَّكُ وَمِبِسْمِكَ  
وَجْهَكَ وَتَلُوِيْحَكَ. تَتَرَقَّبُ طَرَقَ أَحَدَ بِرْؤُوسِ أَنَامِلِ كَالْرَّقَّةِ، تَغْلِقُ  
هَاتِفَكَ فَتَسْتَمِعُ إِلَى الْمَطَرِ، وَزَخَاتِ الْمَطَرِ وَأَحَادِيثِ الْمَطَرِ، وَدَمْوعِ الْمَطَرِ.  
تَعُودُ لِفَتْحِ الْهَاتِفِ الْمَرْمِيِّ فِي الرَّكْنِ مِنْ شَرْفَتِكَ خَلْفَ مَقْعِدِكَ الْمَسْؤُومِ،  
أَوْ تَحْتَ وَسَادِتِكَ الشَّارِبَةِ أَيَّامِكَ الطَّوِيلَةِ! تَجْدُّدُ قَائِمَةِ الإِشْعَارَاتِ فَارِغَةً.  
لَا مَكَالَةَ هَاتِقَيَّة، لَا رَسَائِلَ تَرْصُدُ عَنْ حَالٍ مِّنْ صَدِيقٍ. إِشْعَارٌ وَاحِدٌ قَدْ  
تَتَلَقَّاهُ فِي عَزْلَتِكَ: بَطَارِيَّةِ الْهَاتِفِ مَنْخُضَةٌ.. تَرْمِيُّ بِهِ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتَ بِهِ،  
وَمَا الْفَائِدَةُ مِنْهُ، طَالَمَا لَمْ يَسْأَلْ أَحَدٌ أَوْ يَلْاحِظَ غَيْبَكَ، أَوْ يَدْرِكَ انْغَمِسَكَ  
بَيْنَ حَيْطَانِكَ أَوْ يَأْتِي لِأَنْتِشَالِكَ مِنْ هَلَكَ الْأَنْطَوَاءِ قَبْلَ أَنْ تَبْرُكَ مَقْصِلَةَ  
الْعَزْلَةِ كَفَصَاصَ لَا قَوْمٌ يَحْضُرُونَ لِرَؤْيَتِهِ لَا شَهُودٌ أَيْضًاً.. يَرْصُدُكَ  
الْأَنْتَهَارُ قَبْلَ أَنْ تَرْصُدَهُ، وَتَخْتَضُرَ كَلْمَاتِكَ فِي الْيَوْمِ أَلْفِ مَرَّةٍ مَعَ كُلِّ  
مَحَاوِلَةٍ تَكْتُبُ نَصًاً فَتَشَطِّبُهُ أَكْثَرُ مِنْ مَرَّةٍ. تَمْزَقُ الْأَوْرَاقَ وَتَتَلَقَّى قَاعَ  
شَرْفَتِكَ لِلْكَثِيرِ مِنْ تَكُورَاتِهَا الْغَاطِسَةِ فِي الدَّمْوعِ، لَا حَرْفٌ سُوَى

الشتات فيها. هروب من القلم، وهروب من الاعترافات التي قد يفضح بها قلبك فتقرأها والدتك عندما ترتب شرفتك وفوضاك كالعادة، وتكتشف سر الحزن الذي امتنع تفاصيلك. تشعر بأنك مازلت على قيد الحياة تارة، وتارة أخرى تشعر بأنك ملقي في تابوت الماضي تحول بين مآتم الحيرة لا أصوات إلا تعتة الأرواح، ولا همس إلا ورق مهجور، ولا أنفاس إلا ما يزفره الليل بين الدهاليز المخيفة. تقضى أناملك بدءاً من الأظافر وتشرب ما يهطل منها لتبلل لسانك الحارق بالجفاف. تنظر إلى الخلف فيناديك صوت من أجنة الليل، وتنظر إلى أمامك تجد الخيط الفارغ معتماً، طويلاً، نهايته مجھولة! تتمنّى معطفاً دافئاً أو وشاحاً يضعه عابر فوق أكتاف ارتجافك، وأشياء في داخلك تميّد تارة وتسكن تارة. قلبك قارس جداً بحاجة إلى بعض الدفع ككفيّ شخص تهفو إليه (مثلاً)، يتغلب عليك شعور الضياع في غابة من الوحدة لا يسكنها سوى همهااتك وكآباتك وعناؤينك المبهمة!

\*\*\*

"لم يبحث عن الكآبة يوماً، ولكن الإفراط بالأمل هو من ألقى به إلى

تلك الزاوية المظلمة"

أَلْبِيرْ كَامُو

\*\*\*

p. m 30:11

ما بالنا نمشي، وأروا حنا تتهافتُ ورائنا، تنادينا: هنا نحنُ، أعيدونا إلى  
الشرفات.. إلى القلوب النواخذ!

\*\*\*

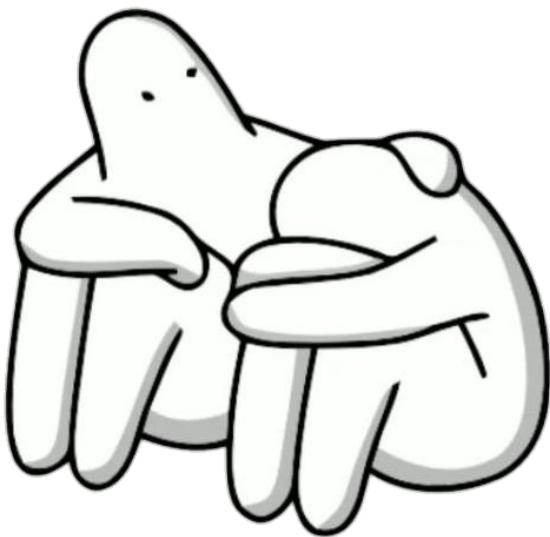
تشبهين شخصية ماتت في منتصف رواية حزينة، لتكن النهاية سعيدة  
دون أن تشاركي بقية الأبطال تلك السعادة يا أنا.. مؤسف، أليس  
ذلك؟

## والحظة

تغرق في تفكيرك الجمّ وأنت تتحسي القهوة وحيداً قرب نافذة وحيدة  
وشتلة تسكنها ريحانة وحيدة ومقعد يهتزّ وحيداً.. تتاباك غصّة في الركن  
من أيسرك وبحة في رشفة من قهوتك التي بردت بينما أنت تسبح في  
ماضيك وتفكر بقلق حول حاضرك كيف سيصبح بعدما بُترت أحلام  
قلبك وانتشر غرغرينا عدم المjalمة مع الآخرين وعدم الثقة بالأصدقاء  
بين أجزاء قلبك بهيمنة شاملة، تعاته على كرمه في العفوية وترثي  
مشاعرك عندما ماتت في حربك المليئة بالهزائم.. تتنفس بعمق طويل، ثم  
توسّع الفتوّق التي حاولت جاهداً في حيّاطتها فيسبح التزيف في  
ساحتك الداخلية حتى تتبّل.. مؤسفٌ شعورك بالوحدة أثناء امتناعك،  
وما أن تصبح بخيرٍ يحاوطونك جميعهم.. أعلم ذلك: مؤسفٌ جداً!

## كَفِيْ مُرّاً

في الركن من حين الحنين تعدُّ أصابع الاشتياق وتحرق قصائدك  
لتصنع منها موقداً يدفع خريطتك النائمة حين أضعتها فعثرت عليها  
تنزوي على صدر القهوة المرأة التي بردت وأنت تحملها بين كفيك  
المرتعشة. تقف فتطل على نافذة الذكريات وتزفر بخار جلبتك وتشهق  
مسائِك الذي قضت عليه منية السبات بين أحضان الشتات. تتوجه نحو  
منضديك لتمزق نصوصك وتقطع أوردة الحروف وتشعل موقد  
وحديتك. هادئ وشبه فوضى تمزقك إرباً في الداخل الميت.. تناديك  
قهوتك: تناولني ساخنة، تناولني مرة. تهوي إليها: كفى مُرّاً.. جسر  
قلبك يهتَّ والأسوار أوجعتها شروخ متالية وعنتِ الدموع للمساء  
الثقيل، وأعلن القلب ضجيجه، يجيء بين دياجي الهوى يطيش بين  
حيطان الفراق...!



"جذور اللذة في الألم وجذور الألم في اللذة، أما السعادة  
فلا جذور لها البتة"

ميخائيل نعيمة

\*\*\*

فقط بعد أن نموت سيقدّرون مكانتنا ويقضّون أصابعهم ندماً على كل ما اقترفوه بحقنا وإهمالهم لنا، كم من تفاصيل صغيرة كانت ستسعدنا وتبعث البهجة في قلوبنا وقد كانوا بخلاء جداً في منحها لنا.. وعندما كانوا بحاجة إلينا يأتون وينبعثون من حيث لا ندري، يضحكون معنا يحاولون تقديم ما يسعدهنا فقط لأنهم بحاجة إلينا وبعد أن نقدم لهم ما أتوا من أجله، يختفون كما لو لم يأتوا.. بعد أن نموت، سيحزنون كثيراً مرتين، مرتاً لأنهم سيكتشفون بأننا أنقى منهم، ومرةً لأنهم لن يستطيعوا العثور علينا لنغفر لهم حين يطلبون منا المغفرة ويعترفون بكل ما اقترفوه بحقنا.. حيث سينهشّهم تأنيب الضمير كما تفعل السوس بأقدام المقدّع الخشبي أو المنضدة الخشبية!

## الحُبُّ الْأَبْدِيُّ

كل الإجلال والثناء لجبران خليل حين قال في حضرتك: أجمل نساء العالم: أمّي، وظلّها، وانعكاس مرأتها.

فالحُبُّ عَلَيْكِ وَالبُوحُ إِلَيْكِ وَالْمَحْرُوفُ دَعَيْنِي أَبْعَثُرُهَا كَقَبَّلَاتٍ عَلَى جَبَّينِكِ أَوْ وَجْنَتِكِ، أَوْ كَفَيْكِ وَبَوَاطِنَ قَدْمَيْكِ. مَسَاءُ الْحُبُّ يَانْصِي الْجَمِيلِ وَأَغْنَيْتِي التِّي أَعْشَقُ الْاسْتِمَاعَ إِلَيْهَا بَاسْتِمَارَ بَيْنَ تَفَاصِيلِ يَوْمِي.. يَا أَسْطُورَةَ حَبِّي وَقَصَّةَ عَمْرِي الْأَجْمَلِ وَشَمْسَ نَهَارِي وَقَمْرَ عَتْمَتِي: لِيَخْتَفِي الْجَمِيلُ، سَاعَتَادَ غَيَابِهِمْ وَفَقْدَهُمْ عَدَا غَيَابِكِ وَفَقْدَكِ أَمْرٌ لَا يُحْتَمِلُ أَبْدًا! بِمَجْرِدِ التَّفْكِيرِ فِي ذَلِكَ أَشْعَرَ بِانْفَطَارٍ قَاتِلٍ، وَعِبْرَةَ نَاسِفَة.. فَلِيَقْرِرَ الْجَمِيلُ عَلَى الْمَغَادِرَةِ وَإِفْلَاتَ كَفِيِّ مِنْ كَفْوَفَهُمْ، إِلَّا أَنْتِ.. حَذَارِي تَفْكِرِي فِي ذَلِك.. فَلَا حُبٌّ إِلَّا حَبِّكِ!

## وَهُنَّ الْمُسَاءُ

نَوْرٌ طُّ في إِخْنَاعِ عَبْشَيَّةِ شَتَّتَهَا ذَاكْرَةُ قَلْمَنْ. تَساقَطَتْ أَوْرَاقُ أَمْسٍ مِنْ  
الْحَدَثِ الْقَدِيمِ وَالْيَوْمِ يَنْحُثُ مَأْسَةً جَدِيدَةً أَسْطُورِيَّةً لِلْفَجُوْتَاتِ..  
الْحُرُوفُ وَالْأَوْرَاقُ حَفِيْدَاتُ الشَّجَرِ تَعَانِقُهَا قَاعُ خَصْبَةِ الْحَيْنِ الَّذِي لَمْ  
تَكُنْ الْجَاذِبَيَّةُ عَنَّا فَيَقْفَزَ بَنَا إِلَى أَعْلَى عَمْقِ مِنْ السَّمَاءِ.. تُنْسِي فَنْحَارُولِ  
النِّسَيَانِ، وَظُلْمَةُ تَرْبَّتْ مَوَاسِيَّتَهَا عَلَى أَكْتَافِ الْوَحْدَةِ، عَلَى وَجْهٍ شَحَّتْ  
بِفَضْلِ سُخُونَةِ حَارِقَةِ اِنْصَهَرَتْ عَلَى سَفُوحِ نَافِذَةِ تَنْتَظِرُ حَلَّمَاً لَمْ يَأْتِ بَعْدِ،  
وَنَجْوَمُ تَلُوْحٍ بِشَيْءٍ مِنْ لَلْمَمَّةِ هَشَاشَةَ، شَيْءٌ مِنْ بَقَايَا صَمَتِ، صَمَتِ يَهْرَعِ  
إِلَى شَطَآنِ الْذَّاكْرَةِ.. صَمَتْ قَاتِلَ جَدَّاً.. لِلْغَايَةِ... لَا جَدُوْيِّ مِنْ  
الْذَّكَرِيَّاتِ سَوْيِّ أَنْهَا نَافِذَةٌ تَبَعَّثُ الْكَثِيرَ مِنْ السَّوَاكِنِ حِينَ تَتَشَبَّثُ بِسَتَائِرِ  
الْقَلْبِ الْمَرْفَفَةِ بِبُؤْسِّاً، وَتَقْبَضُ قَبْضَتَهَا حَتَّى تَعْتَصِرُ عَمْقَهَا بِقَسْوَةٍ  
وَتَصْفَعُهَا حَتَّى تَقْعُ أَرْضَأً، وَتَلْعُقُ مِنْ إِنَاءِ الْهَذِيَّانِ عَسْلَأً مِنْ التَّذَوْقِ. ثُمَّ  
نَتَرَكُ النَّوَافِذَ مَؤَارِبَةً لَعْلَ رسَالَةَ وَرَقِيَّةَ تَطِيرُ إِلَى وَسْطِ الشَّرْفَةِ تَخْبَرُنَا بِأَنَّ  
هُنَاكَ مِنْ يَتَتَظَرُنَا فِي الْأَسْفَلِ، ثُمَّ نَجِدُ صَنْدُوقَ مَلِيئَّاً بِأَشْيَاءِ تَبَكِّينَا لِفَرْطِ  
الْبَهْجَةِ، هَذَا بَعْدَمَا يَغَادِرُ مِنْ حَلْقِ الْمَرْسَالَةِ إِلَيْنَا.. نَسَافِرُ إِلَى أَعْمَارِ الْمَسِينِ  
عَبْرِ مُحَطَّاتِ الشَّعُورِ بِالْخَجْلِ. الْخَجْلُ مِنَ الْقَلْبِ عِنْدَمَا أَهْدَيْنَا إِيَّاهُمْ قَبْلَ  
اسْتَئْذَانَا مِنْهُ فَعَبَثُوا بِهِ فَأَعْادُوهُ مَسْنَّاً بَعْدَ أَنْ وَضَعْنَا بَيْنَ أَكْفَاهِمْ طَفْلَّاً.  
نَسَافِرُ عَبْرِ تَذَاكِرِ الْذَّكَرِيَّاتِ الْمَؤْسَفَةِ هَرُوبًا إِلَى مَرَافِئِ الْوَحْدَةِ مِنْ الْوَجْهِ  
وَالْتَّفَاصِيلِ الْمَزْعِجَةِ. نَتَخَطَّى مَسَافَةَ الْبُعْدِ وَنَخْمَدُ الْذَّكَرِيَّاتِ كَلِّمَا

عكستها مرآة الذاكرة على نافذة القطار السريع! نصل إلى محطة غريبة مليئة بالكثير من الوجوه الغريبة ونحن مازلنا نتوهّم كأن نلمع من يلوّح إلينا ليعلنق وصولنا ويحمل الحقائب بدلاً عّنا، لكنّ لعنة الحقيقة المؤسفة هي عندما نستشعر ضوضاء المحطة وأصوات الحقائب وصرخات العنفقات التي يتبادلها الأصدقاء وتلوّحات الكثير من الاشتياق التي يتبادلها الجميع. ونحن نُسْتَشْنِي عنهم، نلوح لخيانتنا هرّوبنا لتجاوزنا وابتئالنا للهدوء فقط. فلا تشرب على من خذلونا بل علينا عندما وثقنا بهم وأمنّا بصدقهم اللاصّادق واعتقدنا بهم إيجاباً وهم سلباً وأضحاً، وخلوة قلوبنا من السوء أعمت بصيرة الرؤية العميقه لنكتشف الخبث المخباً خلف الوعود الكاذبة. لنقرأ أساطير الأولين بين الورود التي أهدوها إيانا كطعم حتى وقعن في مصيدة الصفعة المباغتة!! للمساء وهنُ دائم مستمر لا ينتهي بانتهاء العمر قطّ، يبقى على مر الشهور التي سحقتنا تحت صخرة عزلة، على مر الأيام التي كابدنا رياحها اللامؤقتة، على مر الساعات التي أهدرناها بين صفحات المذكريات المؤسفة، على مر الدقائق التي عشناها بمرارة قصوى، على مر الشواني عندما انطفأت الشمعة على آخر ثانية ثم مكثنا تحت رحمة الأنفاس التي يزفرها الظلام.. في هذه العزلة، أدركت وللأسف بأن الأصدقاء لم يكونوا بملء معنى تلك الكلمات التي نحتوها في مذكرة ذكريات، لم يبحث أيّاً من الأصدقاء عن سبب لغياب، أو تفاصيل توحّي بأنني بخير. لوددت لو أن أخبر

نفسي المستقبلية: كان لي أصدقاء لا مثيل لهم، انتزعوا قلبي من قش العزلة المرتدية ثوباً من الحزن القاتم مزركته بالكثير من الشتات والأمل المعاقد! أسفًاً بأن قصة قصيرة كهذه لم تحدث لأرويها بعد حين من هذا الحين.. أسفًاً

\*\*\*

a. m 00:12

إنّي هُنا أرسم مستقبلي على لوحة فارغة، أزيل الأشخاص الذي تسبيوا في أذني جانبي، والذين كذبوا عليّ والذين خدعوني والذين خذلوني أيضًا، أرسم خارطي بكل هدوء وانسجام وروقان، أراني أعبر وحيدًا غير محاط بأحد، لا صديق ولا عدو، لا غريب ولا معرف، أعيش بسلام متعافيًّا بالهدوء وعدم التدخل في شؤون أي أحد.. قررتُ أخيرًا أن أحب نفسي بإفراط، وأؤمن بنجاح أحلامي وسداد رمي خطواتي، وإنقاء سياجاً حديديًّا سميكًا بيني وكل من يحاول أن يبعث بعمرى!



## أيام طائلة الأسى

نعانق أعمار ما وراء الأبواب المسنة ونحن مازلنا في أول الطريق المُلْهَر حسبياً قالت أمي .. تمر شظية قاتلة دون إنذار مسبق كلما وددنا رفع راية حلمٍ وردي يضحي في النفس الشغوفة بالحياة .. وتمطر السماء بالكثير من القاذفات التي لم نرسمها يوماً في بيت الطفولة حين خربسته ضحكاتنا مراراً على دفاتر المدرسة .. والسماء باتت يتيمة اللمعان، لم تعد ترتدِي ثوبها الأزرق الذي يمثل رونقاً خاصاً .. وإنما ترتدِي ثوب الحزن الذي يسوده البلاء والتمني للرحيل المؤيد مع الراحلين الألى .. إن الأمينة التي نشارك فيها معاً هي الخروج تحت المطر دون خوف أو ترقب لقاذفة تركض بهلع لتُبْرِ ضحكاتنا فترحل، ثم نرقص تحته ونتعانق تحت سخاءه في نثر قطرات الباردة، نطبطب على بعضنا بأئتها .. ستمر .. وقد كان ألغونس دي لا مارتين على حقٍّ عندما قال: الحزن يجمع بين قلوبنا في روابط أقرب من السعادة، والمعاناة المشتركة هي روابط أقوى بكثير من الأفراح المشتركة.

\*\*\*

اعتراف (3)

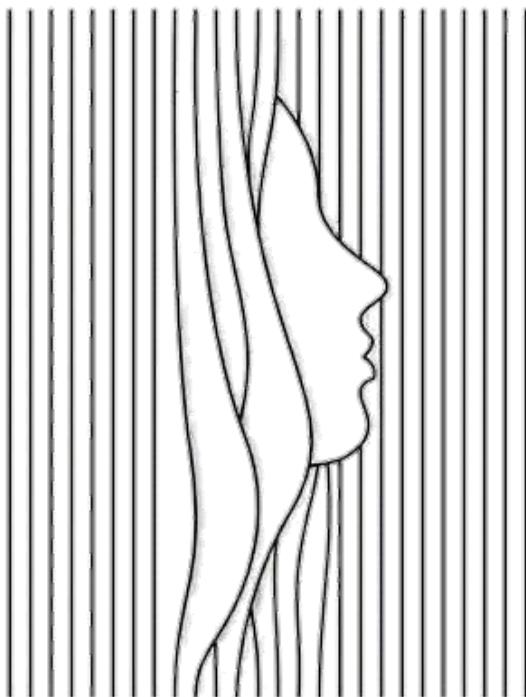
على الرغم من عشقِي للهدوء.. إلا أنّي مقيد بقيودِ الضجيج..

## أُمسِيَّة (3)

بعد منتصف الليل، تدرك أنك قد غفوت فوق منضدتك الخشبية بأرق وإرهاق وانكباب وجهك يطفو على أوراقك الغارقة، يختنق بين بنانك القلم، لطالما أراد أن يقول: دعني أتنفس.. عيناك المتفتحتان تكترث صداعاً قاتلاً، تواربها لتكتشف بأن الكهرباء قد انطفأت. تلسع البرودة الأرضية القارسة قدميك عندما تقف متحسساً الجدارن وسط شر فتك المظلمة بحثاً عن ثمة نور يباغت هلعك! وعند وصولك مقبض الباب تجذب بآنك قد أغلقته قبل بضع ساعات.. وهنا تبدأ معركتك، إذ تنسى أين وضعت مفتاحه وتظل تتحسس في الأرض القارسة لعلك قد تلامس المفتاح البارد الذي رميته به ذات اختناق، ذات شعور بوحشة وانهيار وافتقار كامل الرغبة في التواجد.. ثم تخطو بانعراجات تائهة على تتشبّث بروح النافذة وتصرخ منها بجلبةٍ تكاد تقتلع روحك من محلها، وأثناء فتحها بعد محاولات من الأكف المترجفة، يلسعك هواء لا صوت له، لتجد بأن المدينة معتمة، المهدوء يرتديها... وبعد بضع من ثوانٍ بارقة يغرس صوت رضيع يهrol صرخاته بينما تجيء والدته ذهاباً وإياباً محاولة في إخراست ما ينفضه من حنجرته الطفلة! يصرخ طفلك الداخلي مع كل صرخة يطلقها طفل المساء الرضيع في الآونة الشرسة! يستيقظ أهل المدينة بتذمّر فالجميع يريدون الإبحار بين أعماق نومهم لمجابهة اليوم المُنتَظَر خلف أسوار عقارب الساعة التي تمشي ببطء.. وتستيقظ

مشاعرك الغائرة بين أهداب بحر الاختباء العميق بفضل خرير الدمعة التي نسجت خيوط البكاء فتشابكت بارتعاشك وقيدت أوصال إحساسك.. تراجع إلى الوراء واضطراب الأصوات يهيمن على حواسك، تزيد إخراص طفل ما قبلة النافذة وما خلف سياج قلبك.. تصارع العتمة والضياع، والصراخات تخنق ما تبقى منك.. وقبل وصولك إلى الحائط الذي تراجع إليه، قد ترطم بمزهرية فتفع أرضاً أنت وهي، ل تستشعر سائلاً ساخناً قد ساح من بين أناملك التي عانقت القليل من القطع الزجاجية، فيسكن الوسط والطفل ومن هم في داخلك.. تغفو وأنت مستلقٍ على أرض أوهامك حتى يصل الصباح بعد رحلته الشاقة الطويلة.. فستيقظ متهاكاً: ذهنك، وجسدك، وقلبك، ومشاعرك (محطم من كل ركن فيك)

تصبّح الجميع بعد أن تلصق الابتسامة المزيفة على فاهك دون أن تخبر من حولك عن أي شيء خضته في ليلة شرسه افترستك بقسوة حتى انهد قوامك.. فالآمسيات الطويلة المليئة بالكثير من التفاصيل القاتلة مهما حاولت ترتيبها على لسانك المتلعم لتخبر أيّاً كان عنها لن يشعروا بها شعرت به من فوضى أحرقت كل شيء في داخلك حتى أصبحت هباءً بعشرك الرياح بين أرقة مدينة نائمة..



## حَجَّةٌ!

كَدَأْبُ انسِحَابِكَ الدَّائِمُ، مَعْتَادًا عَلَى كَبْحِ اسْتِعْدَادِ اعْتِرَافِكَ وَكُلُّهَا حَاوَلَ اللِّسَانَ خَوْضَ تَجْرِيَتِهِ، خَنْقَتِهِ قِيُودَ التَّرَاجِعِ.. تَصْطَفِي إِيمَاءَاتِكَ كَبِيلَ أَخِيرٍ، كَانْسِحَابٍ، كَشْعُورٍ بِفُوزِ التَّجَاوِزِ، اجْتِيَازٍ مَالَا تَوَدَّ الْبُوْحُ بِهِ.. مَرْمُوقٌ بِهَدْوَهُ قَاتِلٌ، مُشَبِّعٌ بِالكَثِيرِ مِنَ الْحَدِيثِ، لَكُنَّكَ فَقْطُ تَلْزِمُ التَّجَاوِزَ، وَتَغَادِرُ بِاعْتِصَارِ هَائِلٍ! (لَدِيِّ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَعْمَالِ لِأَنْجَزِهَا) قَدْ تَقُولُ تَلْكَ التَّعْوِيْدَةَ كَحَجَّةَ لِلْهَرُوبِ مِنْ بَيْنِهِمْ، مِنْ ضَجَّيْجَهُمْ، وَأَصْوَاتِهِمُ الَّتِي تَخْنَقُ وَتَيْرَةَ مَبْسِمَكَ بَيْنَهَا يَنْتَأِي كَلِمًا بَرَزَ لِثَوَانٍ خَاطِفَةً.. (فَقْطُ مَصَابُّ بِصَدَاعِ ثَقِيلٍ، أَرِيدَ النَّوْمَ) تَخْبِرُ مِنْ حَوْلِكَ بِتَلْكَ الْاعْتِرَافَاتِ الشَّقِيلَةِ عِنْدَمَا تَرْغُبُ فِي اقْتِنَاءِ قَسْطِيْرٍ مِنَ التَّلَاشِيِّ وَالْأَخْتِبَاءِ وَسَطْ حَوَايَا عَزْلَتِكَ الْمَفْعُومَةِ بِالكَثِيرِ مِنْ رَوَائِحِ الْقَلْبِ الْأَسْتِنَائِيِّ حَتَّى فِي حَزْنِهِ! أَدْخَنَتِهِ اخْتِنَاقٌ وَأَخْرَى لِلشَّتَاتِ وَأَخْرَى إِرْصَادًا لِلْأَسْتِفَاقَةِ مِنْ غَوْصِ تَصْدِيَّةِ الْمَلَامِحِ الْمُسْتَعَارَةِ وَسَطْ إِنَاءِ قَنَاعِكَ الْمَلَطِّخِ بِالْأَمَانِيِّ.. تَسْبِحُ فِي أَرْضِ أَشْجَانِكَ ذَاتِ الْلَّيَالِيِّ عَارِيَةَ الضَّوْءِ كَوْنُ الْقَمَرِ خَائِرًا.. تَغَوصُ خَلَالَ عَمْقِكَ الْمَلِيءِ بِأَشْيَائِكَ الْمَحْطُومَةِ كَيْفَ تَتَدَحِّرُ مِنْ زَاوِيَّةِ إِلَى أَخْرَى كَلِمًا سَعَلَتْ حَنْجَرَةَ رِيَاحِكَ النَّائِمَةِ دَاخِلَ شَتَائِكَ الْجَافِ.. تَلُوذُ إِلَى تَعْتِعَةِ الْقَلِيلِ مِنَ الْأَعْذَارِ كَمَحَاوِلَةٍ فِي رَصْدِ حَجَّةِ تَنْجِيَكَ مِنْهُمْ وَتَفَحَّصَهُمْ وَظَعَنَهُمْ بَيْنَ صَحَارِيِّ شَرْوَدِكَ بَيْنَهَا يَرْتَعُ صَهْيَلَهُ فَوْقَ صَفَّةِ

رمشك الغارق.. كحجّة تخبرهم أريد قسطاً من الراحة.. لوددت أن تخبرهم بأنك تريد قسطاً من الاحتواء لروحك المستاءة المقرونة بعجز الليل وأسفه..

a. m 20:12

عندما يأتيك من يتحدث عن قصة انهزامه وشعوره بالجفاف تارة والغرق في سيول المأسى تارةً فلا تمنعه عن الانهيار ولا تحاول كثيراً أن تكبح رغبته في الصراخ أو تقاطع اندفاعه في نشر ما يجول في خافقه، دعه يُفرغ كل شيء فتجربة الكتمان شاقة للغاية ولا سيما عندما تطول مدها كثيراً، كأن تظلّ أعواماً وأنت تحاول إخفاء الكدمات والجروح التي تسبّبها أقرب الناس إليك، وتحاول إخبار البقية بأن كل شيء على ما يرام وأنت تتألم في اللحظة ذاتها.. قل له: ماذا بعد.. عندما يتوقف بعثة لا تسمح بذلك لأنّه ما يزال ينبع الكثير في داخله.. أن تواسي يعني أن تفهم الكائن المقابل وتشعر به فعلاً، أن تُتقاسم المحرقة وتقول له كلما توقف لاستعادة أنفاسه: أنا أفهم عليك.. أحياناً نحن لا نرغب أن نُواصى ببعض حِكم قلها الفلاسفة والأدباء وأصحاب التنمية البشرية، بل نتمنى أن يخبرنا من نشكو إليه بأننا لا نستحق ما تلقيناه، وفعلاً كان شيئاً مثيراً للحزن بشدة، وأمر كارثي بحقنا.. إنني أستغرب الصديق الذي يخبرني: ابتسّم يا صاح فإن الحياة جميلة، وأنا أحاول في اللحظة نفسها استعادة أنفاسى ونبضات قلبي على وشك التراقص والتناثر خارج فؤادي.. أريد

أن يعانق ارجاف كفيّ ويحذّني عني دون تردد، أن يصغي إلى إن كان حقاً يعنيه أمري، أن يسلسل كل ما يعرفه عن شعوري في تلك اللحظة تحديداً.

\*\*\*

وإذا القلوب جهشت، وإذا تصدّع الذاكرة، من يتولّ المواساة، من يتولى الترميم!

\*\*\*

## وعزاوى

لأيامك التي لم تستطع اللحاق بها، عندما أعتراك مطبات السفر الطويل حتى وقعت منهاً في متصرف طريقك.. انفلتت منك حقيقة الأحلام، ليدهسها ويبعثر ما بها من أوراق أشرقت شمس الصباح وأنت تدوّن بها الكثير من الأمنيات التي عزمت على تحقيقها في مدينة المستقبل! وعندما تأوهت حيلتك بين أشجار مغمضة الصوت، مخيفة تعانق الكثير من أسرار النائيين الذين اتكأوا على جذع سقمهما بسقم.. عزاوى للأمنية التي خطفها القطار السريع مع حقيقة الأوراق!

## بِقَايَا نَصٌّ

والأيام التي ولّت لم تذر منّا شيئاً ليحيا.. على قيد العبور نخالط  
شعور الرغبة في البقاء ونتحسس خشونة متذبذبة بين أوردة تنزف  
باستمرارية غير منقطعة.. نهمس كالطلّ الصغير، كالذى استهواه  
العبارات المتأرجحة فوق سفينة بحر المشاعر يتيمة الأمسية. نعبر حاملين  
القليل من البقايا بين أكفّ خيتنا، والليل القتور الاحتواء لا يسمى  
اكتراش التعرّفات لأقدام تمشي بارتجاف بين المرات المقوّعة في إناء  
الظلم، والعيون تسبل بخوف وترقب عشوائي، والقلب يتحقق مذعوراً،  
الحيلة قارسة من شعور باقٍ أو الشعور بمشاعر الشعور.. فنصبح فعلاً،  
فعلاً، فعلاً ضامرين جداً، فاقدين قدرة المواصلة نعانق بقايا سطور  
دونتها أقلام الذاكرة أو بقايا نص، خنقته المنيّة قبل وصول المسعف..

\*\*\*



قد تحاول بوقت كهذا في ترتيب: انهيارك، وضياعك، وبكائك،  
ودموعك، وحنينك بينما تحنّ إلى أشخاص لا يحنون إليك.. تسمّ  
الانتظار لأحدٍ كان من الجيد أن يسأل عنك وأحوالك فتبتغيت النوم قبل  
أن يباغتك.. للهروب من قسوة فراغك.. تقفز من سريرك بأرق كي  
تتوسل إلى عينيك الآبة عن ذرف دمعة، تجثو إليها محاولاً إقناعها بعبارة  
قالها أمين نخلة: (الدموع هي مطافئ الحزن الكبير) تقبل وجنتيها برجاء:  
أطفئي أحزاني.. لطفاً!

\*\*\*

الاعتذار بعد ثقب الروح، والتجاهل المخيّب للانتظار! لا يجدي  
فعلاً.. إن الاعتذار مجرد سخافة أخرى، فهذه الروح الباهضة لا تقبل أن  
يُهان كثيراً، والإهانة هي أن يُقترف بحقها مرة أخرى وثانية وثالثة بعد أن  
تعفر في كل مرة، الروح تعشق الصدق، الصدق في كل شيء، في الصدقة  
والمشاعر والاعتذار والعتاب وحتى الغياب، تشغف دائمًا أن تُجازى  
بمثيل ما تقدّمه من صراحة، الحصول على من يقدر قيمتها دائمًا، فرقًا  
بالروح لأنها مع الأيام تتجاهل من يتجاهل نقائصها بقوة وصلابة!

\*\*\*

## بحثاً عنك!

بالحظة مباغتة لسكنوك، تشعر بأن شيئاً قد انتُشل من بين أحضان قلبك الدافعة (ربما) بينما كان يلتحم بك، بشدة قصوى، ثم تهرع لبدء عملية البحث الغامضة تتجلو بين شرفات منزلك كالذى يبحث عن والدته فور دخوله إلى المنزل.. لكنك لا تستطيع النداء باسم له فالمnadى معرف باسم يناسب إليه، فقط تناديه عينيك وقد اخترقت ماوراء الحيطان بينما يرتجف قلبك بشدة، ويتدرّأ على تنفسك الضيق.. تتجاوز تساؤلات أهل منزلك عندما يثير دورانك حول الشرفات من غرابتهم لكنك تسمّع عندما تبحث في القبو المليء بالغبرة أو الباحة للمرة العاشرة.. ثم لاتجد ما تبحث عنه! فتحمل معطفك، وعِمامتك وتغادر منزلك وغصة ترافق حنجرتك ثم تبحث بين الطرق، والممرات الضيقة فلا تجد جدوى للبحث المبهم لشيء مبهم.. تكف عن البحث، وتسقط رذاذة من غيمة عينيك الناكسنة بالاختناق، والأسوأ من كل ذلك هو عدم إدراك جنسية من يكون، ولم أنت تبحث عنه أساساً، تشعر بأن المباني والشوارع الفارغة تدور بك بتدرج! منهاراً أنت في الوسط المحاط بالكثير من المهدوء القارس.. ثم تشعر بمن يطلّ من فوقك، وشهيقه المتعالي ما بعد البكاء يروي الكثير من الحكايات البائسة، يقول ورجائه يستهوي لنضجك: "أنت" هو الذي تبحث عنه..

p. m 30:10

أن تبحث عن نفسك ثم لا تجدها.. ذلك هو الضياع الحقيقي!

\*\*\*

إن أعظم الخسارات هي أن يخسر الإنسان نفسه، ولكن الأمر المُرِيك هو عندما تصبح في الوقت نفسه، الخاسر والمتصر.

## في هذه العزلة

نسيتُ الكثير من الوجوه إلّا وجه أمّي، حتّى تفاصيل وجهي نسيتها كوني لم أصافح المرأة ولم أنظر إلى زجاج النافذة التي تعكسني منذ أيام طائلة.. جميعهم تلاشوا عندما علموا بأنّ الوقت الذي أصبحتُ بحاجة إليه فيه قد آن أوانه.. اختفوا عندما قتلتُ الأحزان روحِي، وأنجذبوني زهرة جافة، لا تفتح إلّا في الظلام، فالحزن متمرّد سطوه دجّالة وتعسّفه ديكتاتوري! وصدق ابن القيم عندما قال (الحزن يضعف القلب، ويوهن العزم، ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن).



## معنى أن

ترفض افتراس جزعك لقوة قلبك، وتروّض نفسك التاجر للبقاء هادئاً، فتغمض عينيك بشدة كالذي أغلقت الريح الباب على سبابته بقسوة، وتشدّ بشعرك إلى الوراء كلما أسبلتها الرياح الساخنة مكابداً هجمات الكلمات التي تطرق فاهك من الداخل وأنت تقاوم برفض خروجها إلى الخارج، جامحاً لركلها متفادياً مشاعر من حولك أن تنطفئ!

معنى أن: تتبع الكثير من الأمنيات مع كل نصف لقمة تحاول ابتلاعها.. تمنح لنفسك نصف حب ونصف عناية وتنتظر من يكمل النصف الذي تبقى ثم لا يأتي.. تكتب رسالة إلى من تحنو لرؤيته فتمزقها قبل الوصول إلى المتصرف المراد إيصاله..

معنى أن: تسبح في حب أحدhem يسبح في حب غيرك.. تعتقد بأن الباقة التي اشتراها أحدhem لك فتكتشف من يوم غدٍ بأنّها قد أهديت لغيرك.. تفكّر في تفاصيل أحدhem بعمق وأحدhem يفكّر في تفاصيل غيرك.. تكتشف بأن الابتسامة التي رسمها أحدhem ملن هم خلفك، وليست لك..

الكثير من الـ "معنى أن" تشقّ قلوبنا وتقضمها بقسوة كلما تبعتها خيبة الاعتقاد الذي آمنا به. تهلكنا دقة الملاحظات في همسية الأصدقاء التي يعبثون بنا خلالها وتوسفنا تفاصيل التجاهل التي يدوسون بها تفاصيل قلوبنا..

يقول نزار قباني: "لم تتوقف الحياة من بعدك ولم توقف أياً، علمتني هذه الخيبة أن أنظر لمن يحبني لا أنظر من أحب"

\*\*\*

## a. m 30 : 1

يملئنا الجمود بعد أن تُخذل، لا نخطط للانتقام، ولا نقذف بالكلمات الثقيلة.. لا نرسم على وجوهنا ملامح الكراهة، أو نحرّض الآخرين على من آمنا.. فقط نغادر، نرتدي أثقل معاطف التجاوز.. قلوبنا تهدأ، تُخمد نيرانها الحماسية السابقة، لا تبدي لأي أمر آخر أي اهتمام، تستيقظ صباحاً، وتنام مساءً، وتحتسي القهوة بروقان عميق،، وتنام دون دموع، أو عبرات، أو ذكريات، أو مأساة، أو حسافات، يموت في قلبها كل شيء.. تصبح جليداً، جبلاً راسياً شامخاً موتاً بأوتاد الألم المفترط.. فالألم المفترط يقتل المشاعر غالباً، وحين تموت المشاعر يموت كل شيء.. حتى النبض يتحقق عند الصباح ثلث مرات، وعند المساء لا شيء مرات! لذا ننام دون معاناة أو تلاطم مع أمواج مشاعرنا، تلك التي تبدهدت.

\*\*\*

مساء الخير..

أما الآن.. أينك يا صديق المساء الذي كنت تصبحك قلبي، حتى تنهمر  
دموعي لف्रط الضحك..؟

\*\*\*

## وَحِينَ تَذَهَّبُ إِلَى مَنْ يَتَجَهَّ نَحْوَ غَيْرِكَ

راوغ شعور التردد أو العودة إلى اللحاق بهم، بينما لا يستحق قلبك  
أن يؤذى وينزل أكثر من اللازم.. برهن لأصدقائك منذ بداية المرحلة  
والتعارف بأنك شخصاً لن يزحزح جمالياتك عبر أحد، ولن يقهرك  
جفاء أحد، مستقلاً بجوار حك وجدانك، لا يؤذيك أي خذلان! كن  
صريحًا مع الحياة، تكون صريحة معك.. فتكفيك شرّها وأهلها!

\*\*\*

## حزني هريض

لا تسألوا ما بي، فحبيب قلبي يتجرّع بالألم، أنا سبب اختناقه حين  
قررت الرحيل، حملت حقائبِي وأتّيت إلّي موّدعاً مقرراً التحلّيق إلى عوالم  
تخيلاتي، فسألته بحيرة: هل يحزن الحزن، يا حزني، ليجيب: مريضُ أنا  
وحزني مختلفٌ كيف توضّب أمتّعة الهرّوب أَ وحيدُ.. تذر أسلائي يا  
رفيق، وأجبته: إن هربت معِي فلن يُعُذُّ ذلك هروباً.. فقال: إِيّاكِ يا بنت  
الليلي الدامسة تغادرِي دون اصطحابِي معك لا حياة إِلا بي فلا جدوى  
من الهرّب، أعيدي الحقيقة والكتب أو احمليني معك خبيئي في جيب  
معطفكِ أو بين دفتَّيِ كتابكِ أو وسط غمّازتكِ.. لنهرّب قبل فوات  
الأوان.. هيا معاً.

p. m 38:11

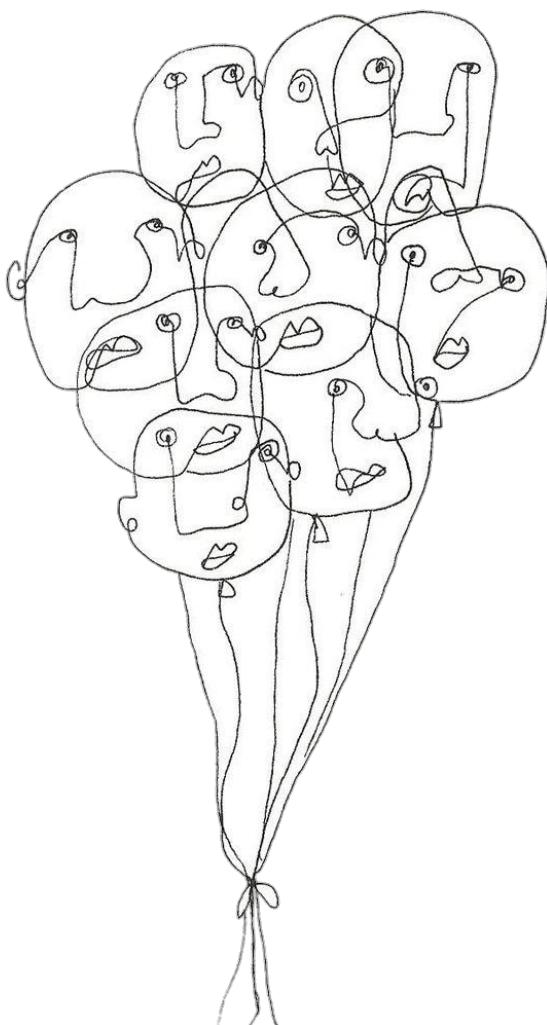
كم أؤدّ الرحيل فأغادرهم كما فعلوا! أُغادرهم بما تعنيه المغادرة،  
مليئاً بالقناعة، رافضاً الالتفات، ومقرراً على حمو كل شيء، دائمًاً أفكّر في  
المغادرة وأخشى الكثير من الأمور التي قد تسبب في هدم تلك الحطة،  
أخشى دموع الضعف العاقلة، ولعنة العينان المُشتبة، والغصة التي تُمازجُ  
كلمة (وداعاً) .. أرغمُ الرحيل كما لو أنني لم ألتقي بهم يوماً، كما لو أن  
صدفة لم تجتمع بيننا، كما لو أننا لم نتبادل الأسرار والأحاديث الطويلة ..  
أرغمُ المغادرة كلياً ويتعاقدٌ تام مع ذاكرتي، كأن تدعهم يغادرون منها  
وتتركني وشأنِي .. أعيش من جديد!

\*\*\*

يقول جان جاك:

ما هي تلك الحكمة التي يمكن أن تكون أعظم من طيبة القلب؟

\*\*\*



## مُعَانَةٌ

لا يوجد ما هو أسوأ من أن تدعى القوة وأنت ضعيفٌ للغاية لا تقوى قول شيء، أو فعل شيء، أو خوض التجربة لأي شيء.. تستمع إلى عجزك دون مقدرة منك في إخراسه، أو مجابته بما يليق بلومنه.. ولا يوجد ما هو أسوأ من لحظات الفراغ والهدوء التي تتبعها زحمة الأفكار ثم الدموع، ثم البكاء والصرخ، ثم الصمت الثقيل، والبلاهة والتحديق في سقifica وهمك.. ولا يوجد ما هو أسوأ من أن تعشق الظلام بقوّة بعدما كنت تخشاه في أيّام طفولتك.. ولا يوجد ما هو أسوأ من أن تحاول جاهداً في البحث عنّي يجید الإصغاء إلى كل شيء ترغب قوله حتى تنتهي.. ثم لا تجد من يستطيع تحمل تلك المهمة!

\*\*\*

#### اعتراف (4)

مثقوبة ذاكرة المساء .. مُحاطة باللاشي من كل حدب ! وانفطار هذا  
القلب يعاتب ذلك الألم العالق على غصن ابتسامة .. مفتونة بلمعات  
الدموع !

## أُمسيَة (4)

حاولنا مراراً أن نصبح أقوى مما كنا عليه، وحين نجحنا في المحاولة كُسرنا من أقرب الناس إلينا، وانهارت سعادتنا بفضل أعز الأشخاص على قلوبنا، وإذا أن جبرها لم يكن سهلاً كجبر الكسور التي أحدثها الغرباء، لأننا لم نستوعب ما حدث، لأن قلوبنا التي وثبتت بهم، أبْت تصدق بأنهم سيخونون تلك الثقة ويقضون علينا بالخيانة التي لم نتخيلها يوماً..

## كل شيء.. ينتهي

لودَدتْ إخبار البقية أن الرسائل لا يبقى عهدها، والمناديل،  
والورود، والكلمات التي وضعها الأصدقاء في دفاتر الذكريات ماهي إلا  
مجرّد حكايات خيالية سيقصّها الزّمن المستقبلي بحرقة!

\*\*\*

## فقد آن!

ولجنا بين دموع وعويل، بين فتات وشتات. في شرفة كم انتظرت الليل طويلاً إذ كان الانتظار مهلكاً ليعبّرها فتنام، وروائح فقد باتت مشتعلة ولم يطفئها شيء. مشتعلة حتى أشّرت شمس باكية، والأوراق والحرروف تدقّ على صدر حزّنها بوجع. وطوى الانتظار صفحات خذلانه شاداً رحال العبور، جوارح خائرة يتوسّدها أنين طوين، ينسج الشوق خيوطه لرؤيتهم المستحيله للحديث اللامتناه معهم للكلمات الراكضة إلى قلوبنا كسّكّر على فنجان قهوة. ماتوا راحلين والفقد قد أطرق أبواب عناء برح معتكفاً بين أحشاء انتظار قد انتظر كثيراً.. يُستحال رؤيتهم سوى في المنام إذ كان من حطّنا وهذا هو المؤلم في الأمر (قدر الله ما شاء فعل) نرددّها حمداً وشكراً على قدره وحكمه جل جلاله، كلّها مرّت أطيافهم وتعالت نوحاتنا. وبوجهة قلوبنا من نحب هو من يرحل باكراً وما غير ذلك هو من يمهله الله للتمتع في الحياة. إنّ فقد غصّة تبرح مدى عمرها عالقة بقلوبنا كالحصى! لا تهمّ نزولاً، ولا تفكّر بعكس ذلك فيما لمراته! كم هو مؤلم حين لا تستطيع رؤية من تحب لأنّ الرحيل قد أصبح بملء المعنى رحيلًا. يطرق بابك ليخبرك محدث الخبر: فقد آن، ثم يتجلو بين المنازل ويخطف كل من غنى مواتيله النشيطة يومياً، لا يلقي مكالمة هاتفية لإخبارنا عن قدوم، لا يكتب إلى ساعي

البريد رسالة أيضاً، يطرق الباب ويأخذ من كان يشبع قلوبنا بالبهجة  
فيرحل مليئاً بالانتصار، ونحن مضطّمون بالانهيار، بالبكاء والانكسار.

رحم الله كلّ روح افتقدها ومهكّنا بين تفاصيل الصور الخاصة بها  
حين خبئناها في صناديقنا لاستعادة اللحظات، والتفكير فيها كذكريات  
لن تعود يوماً كل روح اشتقتنا إليها كثيراً.. آمين.

## موت

لا يوجد ما هو أسوأ من أن تحنّ إلى ميتٍ كان يعني لك الحياة برمّتها..

موت أنت أيضاً من بعده ولكن بطريقة مختلفة..

\*\*\*

p. m 06:10

دموعٌ تسكب ما يحول في القلب، رياح تبوء محاولاتها في التجفيف  
بالفشل.. وسادة وقعت في حبّ البكاء حتى أصبحت ثقيلة  
الصخرة.. شفيّ هذا المساء قليلاً!

\*\*\*



إِنِّي مِنَ الْأَحْزَانِ تُغْرِقُ دَمْعَتِي  
جَفَنِي وَيَأْسُو بِالنَّشِيجِ غَنَائِي  
أَمْسِي وَأَصْبَحُ وَالنَّوْيُ لِي صَاحِبُ  
وَالْبُعْدُ يَقْتَنَاتِ الْأَسَى بِشَقَائِي  
رَبِّاهُ.. فَالْفَقْدُ الثَّقِيلُ أَغْصَنِي  
وَأَصَابَنِي بِالْطَّعْنَةِ النَّجَلِيِّ  
هَذَا أَنَا أَحْسُو الْمَوْاجِعَ كُلَّهُ  
هَاجَتْ حُرُوفُ الْبَؤْسِ فِي إِنْشَائِي  
أَنْشَأْتُ مِنْ حِبْرِ الدَّمْوعِ حَكَايَةً  
كَوْصِيَّةٍ تَسْرِي إِلَى الْبَؤْسَاءِ

\*\*\*

لَا شَيْءٌ يَسْتَحِقُ أَنْ تَنْدَمَ عَلَيْهِ.. سُوِّي ضَحْكَةً كَبِحْتَهَا بِتَأْمِلٍ عَمِيقٍ فِي  
ذَكْرِيَاتٍ مُؤْسِفَةٍ مَاضِيَّةٍ!!

\*\*\*

## على طاولة القهوة

تستشعر شيئاً يحاول اللجوء إلى دفتك، يشعر بالقلق كطيرٍ استيقظ دون أن يجد أمّه، مؤمناً أنها ذهبت لجلب مايسد لعنة الجوع التي تعتصر حواياه النحيلة.. كريشة سقطت من أم الطير التي اصطادها رجل من رجال البراري قبل أن تصل إلى ذلك الطفل، معلنة فقد المؤبد.. كدموعة سقطت من عينه بعدما انتظر لأحضانها كثيراً حتى بعد علمه برحيلها، لكنه مازال يتضرر مع كل غروب شمس أن تأتي إليه بينما يئن فوق غصن من شجرة يتيمة، تواسيه حرقة اليتيم!

## وصفة عبء

مساء الخير، صديقي المتربي هنا، بقريبي! لم يأتِ الخير بعد كما أردنا  
أنت وأنا، ننتظر تلوّحة الأشارة عندما ننادي للرحيل من هنا إلى عالم  
آخر يسكنه نور خفيف، وتهيمن السعادة على جهاته الأربع كما يحيط  
الهواء بالكرة الأرضية تماماً. لنا الله يا صديقي في عزلة ما من طارقٍ لبابها  
فييادر بالسؤال عن فتاتنا فقد اكتفوا وعبروا بقسوة لا يضاهيها حديد،  
اكتفوا بمن يقاسهم السعادة لأنك وأنا لا نليق بهم قطّ، فالتوهّج لا يقع  
في حب الانطفاء، والتفتح لا يقع في حب الذبول نحنُ وصمة عباء على  
عاتق قلوبهم! لن يسعهم الوقت للاعتناء بنا أبداً. إننا هنا لاجئان خلف  
خزانة الهروب ختيّان وراء الستارة المرتعشة الكتماء، نهمس في أذنيّ  
بعضنا، ونتبادل التنهيدات إذ أكتبني فأصطحبك معى للتسوّل بين مرات  
السطور عندما أدركنا مؤخراً بأن لا أحد قد تدارك اختفائنا، هربنا أنا  
وأنت منهم. لقد نجحنا في أمرين يا صديقي، الأول هو أننا اعتنقنا عزلتنا  
بحبّ أما الآخر هو أننا قد أصبحنا نجيد الهروب دون التفات دون دموع  
تلوح! رحلنا، بتجاوز صادم. اعتنينا بقلوبنا يا صديقي، كنتُ أمزح أعني  
لم نستطع ترميمها حتى الآن، وسط أحضان كفّ النور تهروّل في الجوّ  
العائم كحفة متهشمة، كمرأة سقطت من نافذة غاضب، وفشلنا في  
الكثير من الأمور أهمها: لوعة الانتظار، وترقّبنا المستمر لسماع أقدام  
شخص يمشي إلينا بهدوء ليعتذر. أتعلم يا صديقي أن العلاقات العابرة

تهدم كل شيء حتى حائط الشرفة والسلف الخاص به: (الأحلام)..  
نتمعنط تحت شمس الهاوية، على وشك السقوط، التراجع، والتدحرج.  
نبتهل القليل من التشبث من صديق يخسّى فقدنا، بل يشكل فقدنا دماراً  
في حياته هائلاً.. كم الخيال قاتل، أمنيات الليل، حكايات القلم التي لا  
يتحققها سوى ورقة ثم تأخذها الرياح بعيداً بعد إتمام آخر نقطة (دمعة)  
معلنة استحالة التحقيق لتلك الأمنيات المعاقة، وهلوسة الأفكار أيضاً،  
جميع تلك الأشياء: تزيد من عمق الجروح فأكثر، وأدنى التفكير فراقهم،  
أقصاه كيف استطاعوا اكتراش ذلك، وأوسطه عزلة عانقتنا بعدما تهنا بين  
مرارة الأدنى وحرقة الأقصى..

\*\*\*

a. m 30:12

وسط حقيقة الذكريات، تجعّدت الدموع عندما تشابكت بعضها  
وانكبت عليها حروف ساخنة: كماء بحر، اتّقد تحت غضب الشمس.  
ككوب قهوة طرد بخارها بهدوء..!

\*\*\*

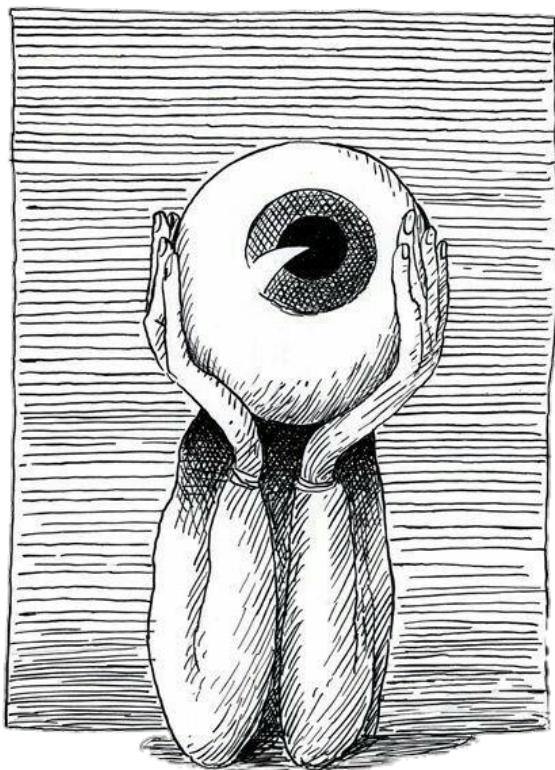
الصّداع من قتلة الليل الذين يتسلّلون عبر التّواذن..

\*\*\*

## في الضفة الشرقية

أَلْتَهُمْ أَحْلَامِي بِرَثَاءٍ طَوِيلٍ، وَأَحَاوَلْ بِقَدْرِ مَا أَسْتَطِعْ بِالْأَلْأَسْمَحْ  
لِلشَّرُودِ أَنْ يَتَرَبَّعْ حَوْزَتِي.. كُلُّ الْأَوْجَاعِ تَرَاصَفْ فَوْقَ صَدْرِي الصَّائِقِ  
بِهِ الْحَالِ، وَلَا جَدْوِي مِنَ الْإِفْصَاحِ أَوِ الشَّكْوَى إِلَى صِنْفِ الْبَشَرِ، فَقَدْ  
أَصْبَحُوا قُسَّاً غَيْرَ مَعَوْلِينَ لِأَحْزَانِ الْآخَرِينَ رِبَّا! أُشَاكِسْ حَظِّي التَّعِيسِ  
الْمُلَائِمِ لِي، وَأَتَنْفِي لَوْ أَسْتَطِعْ الرَّكْضَ إِلَى مَقْعِدِ الْمَدْرَسَةِ، وَهِنْ أَجْلِسُ،  
أَتَهِيَّاً مَعْدَّاً كَامِلَ عَتَادِ تَسَوَّلَاتِي الْمُبَهَّمَةِ: هُوَ إِعْرَابُ الْمُتَعَبِّ فِي جَمْلَةِ (نَامَ  
الْمُتَعَبُ فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ). وَمِنْ ثُمَّ أَقْطَاعُ مَعْلُومِي الْفَاضِلِ حِينَ يَقُولُ بِكُلِّ  
بَسَاطَةِ بَأْنَ الْمُتَعَبُ هُوَ الْفَاعِلُ، أُعَاتِبُهُ قَبْلَ مَغَادِرِي لِلصَّفَ، أَهْمَسْ لَهُ  
وَعْرِقِي تَدْفَعِنِي إِلَى الْأَمَامِ: كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَكْمِلَ الْعَبَارَةِ (لَذَا هُوَ وَصَلَ فِي  
وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ)..

أنتم لا تقرأون قلوبنا.. تقرأون ما بالدفاتر فقط!



## طفولة عابرة!

فياليت، أبقاني الزّمن طفلة ألعب بالدّمى، وأبني بيوت الطّين بعد عبور المطر، حينما كنت أرقص تحت زخّاته دون تقييد من أحد. أتأرجح دون ملل فوق أرجوحة الطفولة. ياليت.. بقيت طفلة! أرتمي بين أحضان أمّي، أخبي وجهي على صدرها وتغني لي بحبّ وهي تدّسّ أصابعها بين خصلات شعري حتى أنام. يا ليت.. بقيت طفلة! أغني حروف الأبجدية بصوت مرتفع بفرحة، بفخر، دون خوف وأكتبهما على الأسطر ثم يصفع لي أبي يقلّبني بحب.. حين يقول: بنتي الشطورة. يا ليت.. بقيت طفلة! على مقعدي الصغير في الصفّ الأول وأحمل حقيبة الأحلام على متن ظهري دون تذمّر، أتناول الآيسكريم المثلج إذ أخشى أن يلامس ياقتني كيلاً أتسبب في عنااء والدتي أثناء تنظيفها لسترقى فيها ليت.. بقيت طفلة! أتوّكأ على الحيطان في المشي وأخطو خطوتين فأسقط، فأضحك من نفسي، فأنهض مجدداً، فأتشبّث بأهاب ثوب أمي وأخبئني بين أقدامها بينما تنهما في إعداد حسائي.. ياليت ياصديقي.. بقيت طفلة! لأبكي بصوت مرتفع دون خجل، دون أن تخُرس صرخاتي، لأعلن عبراتي عندما تؤخذ مني دميتي أو قطع الحلوى خاصّتي، ياليت.. بقيت طفلة! في النافذة تنادي العابرين، مسرورة بنطق الحروف، بالترنّم حرّة. يا ليت.. بقيت طفلة! ترسم بيّاناً في الدفتر وشمساً في الركن الأعلى منه وغيموم تشر القطرات ببراءة وألوان خربشتي بحرية وفخر، فأعلقها

على حائط الصف وأكتب تحتها اسمي. يا ليت كل ذلك يعود، لظللت  
هناك دون تفكير في العودة إلى هنا المخيف.

(منذ أيام الطفولة وأنا أحافظ بعدد من التذكارات التي تبدو  
ساذجة، لكن رؤيتي لها كثيراً ما تجعلني أتذكر فترات مضت من العمر  
بتفاصيلها الرائعة، وعند ذلك تحضر الأيام الماضية أمامي حية زاخرة)

- محبي الدين اللباد

\*\*\*

p. m 59:5

بحاجة إلى سماع بشري تحدّثني عن اختفاء الحقد، عن تلاشي الذين  
يجيدون كسر القلوب، عن تعافي أولئك الذي يعانون جفاف المشاعر،  
عن نهوض الأقوياء من جديد بعدما أسقطتهم المكائد في حُفر الحسد،  
عن التئام الجروح التي انتابت الأمهات بعد فراق أبنائهنّ، عن جميع  
الأشياء الجميلة التي سلّبها البشر من بعضهم.

تختُم أنت ما أسمّهه من أمنيات: عن انقراض الذين يفرقون بين  
الأحبّة!

## ثمة أمنية!

ثمة أمنية..

تجول في خافق القفص

محبوسة..

وأضعت مفتاح العبور

سياجه ضيق..

والاجتياز مبهُمُ غريب!

كسر الجناح..

تأوهت للأمنية.. ماتت في القفص..

قبل تقييلها.. وأدتها بحرقة.. وأدتها والقفص.

## مرأة متكسرة!

تنسى وجهك لأنك لم تره منذ أيام عبرت بإرهاق، ولربما! خشية من رؤية البستان المحترق، ولربما! خشية من تفاصيل الالات المدمرة مدينة جفنيك! تسقط من بين يديك مرأتك التي حملتها قبل رؤيتك لنفسك، تنغرس قطع منها بين أصابعك بتدرج سائح! تتوه بين انعكاسات الكثير من الأجزاء المبعثرة في قاعك، ويروي كل جزء ما وراء الحكاية.. عيون البوح متتفحة، والدموع يمشي على صراط الرمش الرّضيع. بحر جارف يغني في سلطنة جزء من تنهيدة أو جزء من مرآة.. تتجه نحو نافذتك المغلقة منذ شهور كالقرون، فتتراجع إلى الوراء خشية من شماتة الشمس.. على عتمتك! خشية من ضوضاء المدينة.. أن تسخر من هدوئك! خشية من رياح الصيف.. أن توبح اعتناك لروح البسمة الميتة! خشية من وصول رسالة.. تعلن موعداً أخيراً للعزلة وأنت قد وقعت في حبّها ولن تفكّر في التخلّي عنها قط.. ثم تصبح رافضاً رغبة احتياجك لأحد، تمني التلاشي بدلًا عن شفقتهم عليك ترفض أن تصبح صديقاً يُستغنى عنه، ترفض أن تُهمّش، أن تُنسى. لذا قد تتحاشاهم فهم خيبات جميعهم دون استثناء... تنسى خرير الدّم الذي تختّر في الأنامل الشابة والدموع التي علقت في جذع الجفن المُشارف على التراث بين أحضان الموت! والتفاصيل التي صفتتك بها مرأتك المسلحة شعور قلبك. وفي مأذق الشرفة تقع وسط كومة تيه بين تفكيرك لفتح

## عَزْلَان —

نافذة مقابلة وبين تفكيرك لكنس أجزاء المرايا المبعثرة. تأبى فتحها خشيةً  
مرة أخرى من الرياح! أن تبعثر هذه الأجزاء من المرايا وتلصقها على  
جدران الحائط اللزج بالأسرار، فيعكس ضوء القمر تفاصيلك عليها،  
فتراكَ بصورة مختلفة وترى نفسك بشكل مختلف، تنام وأنت تعاتب  
شهقاتك لو حذك..

أماًً أحاديث المرايا التي فضحت ما كنا نرفض سماعه، وسلسلت كل شيء لم نر غب في قراءته لنجد أنفسنا بعثة أشخاصاً آخرين بعد وقوفنا أمامها دون نية وإنما صدفة أو صفعة من كف صدفة لنستيقظ مما نحن عليه وندرك أنفسنا، وأين نحن... للمرأيا أحاديث لا تكذب أو تجامل بينها يجاملنا الآخرون ليتحاشونا وجفافنا كي لا نصيّبهم بعذوى الجفاف، للمرأيا صراحة فدّة لا يخالطها ريبُ أبداً.. تعكس أشكالنا المأسوية بجدية، وتحدّثنا عن أشكالنا عندما كنا مُزهرين لا بائسين كما هو الحال. للمرأيا أحاديث لا يُمل منها، فهي وإن كانت مؤلمة، يكفي أنها صرحة لا تجريد الخداع أو المجاملة!



p. m 59 : 10

يُوْمٌ ما، مَا يِزَالْ قَابِعًا فِيْكَ حَتَّى الْيَوْمِ، أَنْتَ تَحَاوُلْ تَخْطِيْهِ، لَكِنْهُ  
يَتَشَبَّثُ بِكَ أَكْثَر، بِتَفَاصِيلِهِ كَامِلَةً، يَعِيدُ سَرْدَ نَفْسِهِ دُونْ مَلِلٍ، يَحْلُقُ فِي  
سَمَاءِ ذَاكِرَتِكَ عَلَى الدَّوَامِ، وَمَا إِنْ تَحَاوُلْ التَّقَاطِهِ مِنْهَا، حَتَّى يَرْتَفِعَ أَكْثَر،  
وَيَفْرُضُ وَجُودَهُ أَكْثَر، فَتُرْغَمُ عَلَى مَعَايِشَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فِي كُلِّ الْأَيَّامِ.

\*\*\*

وَأَكَادُ أَخْتَنِقُ مِنْ هَذِهِ الْمَشَاعِرِ الَّتِي أَشَعَرُ بِأَنَّهَا تَشَعُّرُ بِمَا أَشَعَرَ بِهِ تَارَةً،  
وَتَارَةً أُخْرَى أَشَعَرُ بِعَدَمِ شَعُورِهِ لِمَا أَشَعَرَ.

## ها بي.. يا ترى!

على عتبات الأمل، أتظر فرصة عتاب ونلتقي. قد تكون من الفرصة  
التعيسة لكنها أمرٌ سيعيد للروح هويتها، حيث أُعيد إليك ما منحتني  
وتعيد إليّ ما منحتك. نصفي حساباتنا ونتصالح قبل المغادرة برحٍ  
جسور. نقطع الوعود لکلينا بأننا سوف ننسى بعضنا، ولن نقضي ليالينا  
في الألم أو نشعر بالوحشة مرة أخرى. تلوّح إلي وألوح إليك على عتبة  
الباب بابتسمة أتكئ عليها قبل السقوط أو الولولة.. وفي هذه اللحظة  
التي أوثق فيها تلك الفرصة كيف حدثت مازلت في حيرة من حزني  
كحيرة سيباویه من: (حتى) وكلما قررت الانتشال من ذكريات معك عاد  
إليها قلبي ركضاً، يتراجع عدة خطى ويعاود كرّته الساذجة.. آه كم  
تعتريني رغبة المروب ليس منك وليس من هذا الوطن أو حتى مني  
وحسب، بل من الماضي الذي مازلت فيه مقيد. ليتني أجد شخصاً فاز  
في مهمّة النسيان ليخبرني عن استراتيجيته كيف استطاع على تنفيذها!  
لا أعتقد بأني سأجد شخصاً فاز فيها، كل الذين قالوا: مع الأيام ننسى،  
ما يزالون عالقين حتى يومهم هذا؛ لأن النسيان مجرد حجة نقنع بها  
مشاعرنا، بأننا سنجتاز مشاق ما يؤسفها.. ترى ما بي، أصبحت لا أشعر  
بأي شيء، أُجرح.. لا أبالي، أُخيب.. لا أبالي، أخدع.. لا أبالي. شيئاً فشيئاً  
تموت نكهة الحياة في عيني، كُلّ ما أراه رمادي وكُلّ ما أسمعه صوت  
يسعل فراغاً وكُلّ ما أشعر به هو اللا شيء في أيام اللاشي!

p. m 09 : 11

ثم تحاول الهروب من نفسك، والهروب يفكّر في نفس المحاولة!

\*\*\*

إن بايضة الورد التي سئمت الانتظار ولم يشتري أحد أي وردة مما تبيع لم تبتئس لأنها لم تتدخر شيئاً من المال، بل لأنها خافت من أمرٍ واحد: الجفاء يقع طبول حربه بين الجميع!

## سَنٌ مُبَكِّرٌ لِلْغَايَةِ

تعلمتُ من الحياة الكثير من الأشياء وفي سنٍ مُبَكِّرٍ للغاية.. وما زالت تعلمني فالعشرين عاماً أو خذلناً في طريقه إلى! إذ علمتني بأنَّ الأحلام المستحيلة لم تتحقق بهذا الحاضر المحاط بالظلمة والخوف، لذا هي لم تُجاذف وتقبل إلينا.. علمتني أنَّ الصَّمت مهمٌّ ثقيلة للغاية، وحدهم المحمَّلون بالخيبات يستطيعون تنفيذها..

علَّمتني أنَّ الأماكن تصبح مُرْعجة وجالبة للكآبة عندما يغيب منها من كان تعنينا كل أموره.. علَّمتني أنَّ النَّوم ملاذ الهاربين من ضجيج ذاكراتهم!



## اعتراف (٥)

وفي الجزء المهدئ من تواجدي.. ثمة اعترافات هائلة، أبليتُ سوءاً  
حين سجتها واقترفتُ أملأً جديداً بحق قلبي هذا! حتى باتت تنقر  
جدران ذاكري باستمرار.. أشعر بكِ يا أنا، تتألمين كثيراً.. حسناً، لا  
عليكِ.. سينتسبُ الحظُ يوماً.

## أُمسيّة (5)

في هذه اللحظة، أحاول جاهداً في عقد صدقة مع هذه البوّضة المشاغبة المُحدثة لهدوئي الكبير من القلق، وأتمنى لو كان باستطاعتي الوصول إلى من يقوم بقطع الكهرباء لأنّه أخبره بأنّ دعوات المسنّين الذين لا تقوى حيلتهم على تحمل الحرارة قد تسبّب له الكثير من المتاعب، أو إخبار مسؤول هذه الدولة بأننا نعاني كثيراً، والكثير من الحقوق الصغيرة مأخوذة مناً منذ أعوام طائلة! لا أعرف إن كان هناك من يشعر بمعاناتنا المزريّة، ولكن قدرتنا تحلّلت، وصبرنا بات ينفذ، وفيضانات التحمل توشك على الانفجار.. إنّي أشعر بالاختناق كثيراً في هذه اللحظة، ليس لأن الكهرباء منطفئة، والجحّ حار، والهواء ميّت، والبعوض يتراقص بخفّة ساذجة، والهدوء يخيم القرية بأكملها في هذه الليلة الطويلة! أنا أشعر بالاختناق لأنّي أكبر ولا شيء من تلك الأماني يكبر معّي، أنظر إليها كل يوم حتى أصبحت بحجم الكفّ أحملها كلما قررت البحث عن فرص تجعلها تكبر وتساوي في العملاقة.. في هذه المدينة كل الأحلام ليست قابلة للتحقيق، وإن أني بحثت حلماً فخبيه عنّهم كي لا يتم دفنهما وأنّت تنظر إليها مكتوفة من كل شيء حتى من رغبتك في البكاء! لقد أصبحنا نُخسّس ألسنتنا بأنفسنا كي نبقى على قيد الحياة، كون حرية الاعتراف بتلك الأحلام سوف تسبّب لنا الكثير من المشقات، وقد تُقيّد وتنتّلّى لمهزلة السجّانين كلما شعروا بالملل من مهمتهم.. هذه البوّضة

المشاغبة ما زالت تثرثر في أذني، يجب أن أطفيء هذه الشمعة البريئة..  
وأخلد إلى شبه النوم، إلى العتمة المرمودة بحزني.. وبؤسي من هذا الواقع  
البائس..

## وحيد في الوحدة

رغبة معدومة لتناول الأكل واحتساء القهوة أو التحدث وقراءة كتاب وكتاب نصّ أو فتح الباب، النهوض من السرير، أو شرب الماء.. لا رغبة في شيءٍ سوى التفكير العميق جدًا. التفكير الأعمق في عمق القلب فقط، تتناول أدويةك بإفراط بين حين وآخر قريب وعندما تشعر بأن فيروس الحين انتشر بين أجزاء روحك، تحمل هاتفك ليجيء من يساعدك على التنفس الذي يتضاءل تدريجيًا فاتلاً كالذي يخز سكينة حادة في الأيسر من صدرك! تجدُ الخطوط مشغولة عنك مع آخرين أهمّ بكثير فتستسلم للغياب عن الوعي لعلك تغيب مؤبدًا بعد مقاومتك التي علقت أملها بصوت من يحيب على مكالمتك. تريد أن تصرُخ بحجم الألم الذي وتد استطيانه في بلدتك الداخلية، تريد أن تنادي وبصوت مرتفع، أن تبكي بحرية دون خجل، أن تبكي كالأطفال وسلسل الأشياء التي تؤلمك جداً، أن تعانق صديقاً يقول مواسياً: ابك أكثر.. أنا هنا.. أن تسمح لدموعك بالتدفق حتى تستقل بتنفسك ويستقر نبضك.. يتوجهونك عندما تكون بحاجة إليهم وينسونك بينما تنتظر قدومهم ويستغون عنك عندما يحين وقت الاعتناء.. يستولي عليك الصداع ويبيمن الدوار عليك حتى تقع في المتصرف دون أن تنادي.. دون أن تستطيع طلب النجدة. تقف على قدميك المامدة الثقيلة الأشبه بجثة ضحية ماتت بعنة مرة أخرى.. ثم تقوم بالدور الذي قام به خالد صدقة

حين قال: (بطريقة ما، أستطيع تدبر الأمر في النّهار، أما في الليل أقف في وسط الشرفة كشخص ذليل وبلا خبرة كأنه أخرج حواسه من العلبة الآن ولا يعرف كيف يستخدمها).

وكالعادة المعتاد تذوق مراراتها تواظبك حرارة من حفيّات شمس ما بعد العاشرة صباحاً! كل شيء فيك.. ميت، والأمر الذي على قيد الحياة هو شعورك بالأسى لتجاهلهم عنك، وتجاوزهم تلوّحات نجذتك.. رحلوا، ولطالما وددت أن تتکع عليهم بعدهما توکؤوا عليك طويلاً وجفت عيونهم طويلاً وسهرت معهم حتى بزغت الشمس (واسيّتهم بنبل).. فتتصبّح بحاجة قصوى بعد ذلك إلى جرعات كافية، من النسيان والتجاوز والعزلة والاختفاء والنّوم والصمت والنّضج والقسوة والنهوض والوقوف والاستغناء كما فعلوا. بحاجة إلى الكثير من الأشياء التي قد تواصي تورّطك في فجوة وحدتك..



a. m 36:12

أنا فريسة الخشبات، لذلك أبدو قلقاً على الدوام.

\*\*\*

من وسادة مخدول، قفزت دمعة إلى الأعلى، ولم تُعد!

\*\*\*

قلبي تعيسٌ تائهٌ ومؤرقٌ

والليل يمخر بي بدون سلامٍ

وعمامتي حجبت نوافذ فكري

ورؤاي قد تاهت مع الأوهامٍ

فتسيير قافلة العبور كأنّي

أمضى بأحلامي بدون خطامٍ

## انتظرتُ كثيراً أن يأتي إليَّ صديق ليطمئن

فلم يأتِ.. أن يطرق تفكيره بي، فلم يصاحبني الحظ أبداً، خلف النوافذ ترصدتُ صوت فرقعة الأصابع تطرق بخفية بعدهما ينام الجميع، فلم يطرقها إلا السراب وحصى الغبار الصغيرة.. ترقبتُ حركة مقبض الباب كثيراً، لكنه ما يزال مهجوراً غمرة الغبار منذ السابعة من أبريل وهو على قبيلته، ولم يمسه تغيير. وانتظرتُ لرسالة تنزلق من أسفله لكنها وللأسف لم تنزلق، فالرسائل لا تبعث نفسها إلى الآخرين ولا تكتب نفسها إلى أحد دون إذن من مرسل. انتظرتُ أن يأتي لانتشالي من نفسي المتعبة. يفتح الستائر، يسمح لضوء الشمس أن يملأ الشرفة لكنه وللأسف لم يأتِ.. حتى هذه اللحظة لم يأتِ. إن لعنة الانتظارات الحمقاء كانت من أشد الأمور التي أخشاها، ولكن الإفراط في الخشية من بعض الأشياء هو ما أخلدني بين أحضان هذه العوالم من نفسي حتى أصبحت فاقداً قدرة التصنُّع وتقبُّل أفكاري الهاeme بالأوهام الليلية

p. m 13 : 8

إِنَّ التَّأْقِلَمَ عَلَى إِخْفَاءِ مَا يَؤْمِلُكَ، وَالْاعْتِيَادَ عَلَى وَشَمِ السَّعَادَةِ الْمَرِيفَةِ  
عَلَى وَجْهِكَ ظَلْمٌ بِحَقِّ نَفْسِكَ، لَا تَقْنُسُ عَلَيْهَا بِمَرَاكِمَةِ الْأَحْزَانِ، وَلَا  
تَحَاوِلَ أَنْ تَشْعُرَ بِالسَّعَادَةِ وَأَنْتَ لَمْ تَتَخَلَّصْ مَمْ يَؤْرُقُ قَلْبَكَ وَيَهْلِكَهُ، وَلَا  
تُلْقِي بِنَفْسِكَ إِلَى تَهْلِكَةِ الْكَتْهَانِ الْمُفْرَطِ، لِأَنَّهُ السَّبَبَ الرَّئِيْسِيِّ فِي تَولِيدِ  
الْأَوْجَاعِ وَتَكَاثُرِهَا..

\*\*\*

لَا أَعْرُفُ إِنْ كَانَ سَاعِيُ الْبَرِيدِ، قَدْ أُصِيبَ بِدَاءِ الْكُوْرُونَا!

## بُؤْسُكَ أَنْ تَعْرَفُ وَبِكُلِّ فَخْرٍ طَاعِنٌ!

أَنْكَ الْيَوْمُ وَحِيدٌ. وَحِيدٌ بَعْدَمَا كُنْتُ تَعْدُّ أَصْدِقَائِكَ ثُمَّ يَتَجَاهِزُونَ عَدَدُ الْعَشْرِ الْأَصْبَاعِ، وَالْيَوْمُ كَفَكَ مَقْبُضُ لَا خَنْصَرٌ تَوَلَّتِ الشَّتَّاتِ وَلَا بَنْصَرٌ عَانَقَتْ هَذِهِ الْمُهَشَّاشَةِ.. وَفِي مَوْطِنِ رُوحِكَ، تَفَتَّشَ عَنْ هُوَيَّةِ اِنْتِهِائِكَ، تَبْحُثُ دُونَ اِسْتِسْلَامٍ، تَطْرُقُ الْأَبْوَابِ بَتِيهِ بَعْدَمَا يَتَغلَّبُ عَلَيْكَ شَعْورُ الْغَرْبَةِ، ثُمَّ تَسْأَلُ: هَلْ أَنْتِمِي إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ.. الْجَدْرَانِ تَوَأْمَةُ لِلْأَرْصَفَةِ، وَالْأَشْجَارِ وَالْأَعْمَدَةِ سَوَاءً، وَالسَّمَاءُ تَشَبَّهُ بُحْزُنِ الْأَرْضِ، وَكُلُّ مَا فِي هَذَا الْكَوْكَبِ مُتَرَادِفٌ، كَمَجْنُونٍ يَرَى شَخْصًا يَمِاثِلُهُ فِي الْمَرَآءِ، تُنَاصِرُكَ عَبْرَةً عَبْدَهُ خَالِ حِينَ قَالَ: (كُلُّ الْأَمْكَنَةِ مُتَشَابِهَةٌ، إِذَا أَحْسَسْتَ بِالْغَرْبَةِ) تَجْثُو وَأَنْتَ تَزْفُرُ شَيْئًا يَلْتَحِمُ فِي عَيْنِكَ، وَكُلُّهَا زَفْرَتَهُ عَادَ لِيَلْتَحِمُ، وَكَأَنَّهَا دُعَابَةً مِنَ الْلَّيْلِ تَنْسِيكَ خِيَانَةِ الْأَصْدِقَاءِ عَنْدَمَا هَجَرُوكَ وَتَلَّا شَوَّا مِنَ الْأَوَّلِ حَتَّى الْآخِرِ، مِنَ الْجَدِيدِ حَتَّى الْقَدِيمِ. فَعَمِّتْ مَسَاءً أَيُّهَا الْأَلَا صَدَقَاءَ!

a. m 22:12

الأرواح التي لا تؤذى تُؤذى كثيراً، والتي لا تكذب يُكذب عليها  
كثيراً، والتي لا تخون تعرُض للخيانة كثيراً، والتي لا توبَخْ تُوبَخْ كثيراً،  
والتي لا تهدم الآخرين يهدمها الآخرون كثيراً، والتي لا تحب فقدان  
أحد، تفقد كثيراً.. الأرواح الطاهرة ضحية الأرواح الخبيثة!!

ولكنَّ الأولى وإن أهلكها البشر كثيراً فإنَّ الله يحبَّها، ومن أحبَّ الله  
أحبَّه أطيب الناس، وحظيَّ بأنقى الناس في آخر المطاف..



## لا بأس

سوف تُباغتكَ صفعتَ من أقربَ الناسِ إِلَيْكَ وقد يُكِيِّكَ أحَبَّ  
الناسَ إِلَى قلبكَ وقد يَتَسَبَّبُ في تعرُّكَ من كَانَ يَظْنَ قلبكَ البريءَ بِأَنَّهُ  
مَلَكُ الْكُونِ الأَيْضِ! سوف يَلْقَيْكَ أَشَدَّ النَّاسِ عَشْقًا فِي جَوْفِكَ إِلَى  
مُسْتَقْعَدَاتِ الْضَّيْعَ، سوف تَأْتِيكَ طَعْنَاتٍ فِي أَوْسَطِ ظَهْرِكَ، وَدَمْوَعَ تُغَرِّقُ  
ذَاتَكَ الْعَفْوَيَةَ فِي نَهْرِ الْأَلَمِ لِغَرْطِ الْمَلَاحِظَاتِ الَّتِي نَسْفَتْ سَلَامَكَ إِذَا  
تَقْرَأُهَا بِعُمْقِ قَاتِلِ لَجْوَارِهِ! قد تُباغتكَ وُجُوهَ غَرَبِيَّةَ، وَتَصَادِفُكَ  
مَلَامِحَ وَتَسْتَوِقُفُكَ مَوَاقِفَ لَمْ تَكُنْ تَخْيِلَهَا يَوْمًا قَطُّ! سوف تَكُونُ بِحَاجَةِ  
إِلَى مَنْ يَسْتَأْصِلُ الأَشْوَاكَ الَّتِي وَضَعَهَا شَخْصًا غَادِرَكَ بَعْدَمَا قَامَ بِزَرْعِهَا  
فِي جَوْفِكَ دُونَ أَنْ تَدْرِي، سوف تَحَاوِلُ أَنْ: تَكْبِتَ الْأَهَاتِ وَالْغَصَّاتِ  
وَالْكَلِمَاتِ وَالدَّمْوَعِ. الدَّمْوَعُ الَّتِي تُحْرِفُ كَمَا تُحْرِفُ الشَّلَالَاتِ الْمُسْتَلِقَيَةِ  
فِي غَابَةِ قَلْبِكَ، سوف تَوَاجِهَ مَصَاعِبًا وَأَوْقَاتًا أَصْعَبَ وَتَحْسِبُ بِأَنَّكَ  
الْوَحِيدُ فِي هَذَا الْعَالَمِ. إِنَّهَا ضَرَبَاتٌ يَمُرُّ بِهَا الْجَمِيعُ، لَا أَنْتَ بِالْوَحِيدِ الَّذِي  
سَيَمِّرُ بِهَا، وَلَا أَنَا بِالْوَحِيدِ أَبْدًا.. وَكُلُّ مَا أَنَا مَتَّأْكُدُ مِنْهُ بِأَنَّهَا سَتَمْضِي، بَعْدَ  
أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْهَا دُرُوسًا لَمْ تَعْلَمْنَا إِيَاهَا الْمَدْرَسَةَ.

## ما تزال معلوًّا

بالكثير من الاعترافات، على الرّغم من تحدُّثك الذي استمر لساعات مع صديق لك .. بالكثير من الحمل الثقيل على صدرك، وأنت الذي لم تذر شيئاً إلّا وصرّحت به ذات انفجار نفسيّ، بالكثير من الحزن، وأنت قد عانقت السعادة قبل عودتك إلى شرفتك ذات الروائح البؤسية النفّاثة! بالكثير من الأرق، والصمت والهدوء الذي زفرته ذاكرة مسائق الرّاضف قناعة التجاوز، ومحاولة التعايش، ومناصرة الأمل، والوقوف في صفّ التفاؤل .. بالكثير من الحكايات التي رصدها الليل على صفحة النساء، وكنت البطل المُتقمّص دور القوي السعيد، وأنت عكس ذلك خلف الكواليس .. بالكثير من الغصّات، ونشر حقائق البكاء والاعتراف بها!

## اشتياق مؤقت

واشتاقت لقلبها القديم كشوق معصمتها للساعة وأذنيها للأخراس،  
شعرها للدبوس، أصبعها للخاتم، عنقها لعقد اللؤلؤ، شفاهها للحمرة  
وعينيها للكحل وأكتافها للمعطف ورأسها للعمامه وملابسها للعطور.  
كانت تحنّ إلى قلبها البشوش والوجه الضاحك في كل وقت والصوت  
العذب دائمًا والروح الخفيفة كالظلّ الخفيف والأحاديث التي لا يملُّ  
المستمعون من سماعها والضحكات العفوية التي تطلق سراحها دائمًا من  
حنجرتها الأنثوية.. سئمت دقة الملاحظة في دراسة المواقف التي عبرت  
والتفكير في نسيانهم، أو نسيان التفكير بهم وقضم أصابعها في ركناها  
الخاص ببلع مستمرّ، واحتياقها المؤقت كل يوم، وعندما تستيقظ تهم في  
نسيانهم وما أن يحلّ المساء تصارع كيفية النسيان فتنام ونوبة استوطنت  
قلبها.. وقلبها يركل أضلعها يودّ الانتصار، الهروب، والتسلل خارجًا  
عن نطاق سجنها المؤبد تحت رحمة سجّانها (العُزلة).. كانت تبكي  
وعينها مجففتان، تصرخ وفاهماً موصد، تتحدث ولسانها ساكن، كانت  
تقاوم وهي مغميٌّ عليها في خزانة الشباب، يبحثنون عنها وهي مقيدة بقيود  
الاختباء.. وكانت بحاجة إلى قلبها القديم أيضًا كحاجة الشرفة إلى  
الضوء، وترانيم العصافير!

a. m 12 : 7

الشيء الوحيد الذي يذكرني بك هو قصة مجنون ليلي التي كنت تحدثني عنها دائمًا.. وشيء آخر تذكرته الآن هو عبارتك التي تختتم بها أحاديثك قبل تلاشينا عن بعضنا: إن فرّقتنا الحياة.. قولي لها فلتنعم بالباقية، أما أنا فسأعقد مع الموت صلحًا وأسافر إليه.. نقطة.

\*\*\*

لا يهمكم من الوقت مضى وأنا ما زلت مختفيًا عن الجميع كي لا أراك بهم.. المهم هو أنني أصبحت فولاذياً لم يعد أي شيء يؤثّر بي... أنا في أحبّ نفسي بشدة قصوى، بقوّة لم تلحظها من قبل

\*\*\*

## نَتَوَاجِدُ فِي شَبَهِ الْحَيَاةِ ..

ثُمَّ أَصْبَحَنَا جَامِدِينَ، هَادِئِينَ، خَامِدِينَ، لَا مُبَالِيْنَ، نَسِيرُ فِي نَفْقِيْ تَحْتِ  
قَصْرِ الْكَتْهَانِ الْمُشِيدِ بِلَعْنَةِ الْأَسَى الَّذِي حَوَاطَ خَاصِرَةَ الْحَرْيَةِ  
وَالْاسْتَقْلَالِيَّةِ .. قَلْوَبِنَا حَافِيَّةُ الثَّقَةِ، تَمَشِّي عَلَى صَرَاطِ الْعَبُورِ، لَا مُبَالِيَّةَ  
لِأَشْوَاكِ السَّبِيلِ الْحَادِهِ، أَوْ هَطُولِ الْأَلَمِ عَلَى مَوْطَنِ الْقَلْبِ الْغَرِيرِ ..  
مُسَالِمِينَ لَا نَتَنَمَّيُ إِلَى أَيِّ طَائِفَةٍ مِّنْ طَوَافِ الْحَبَّ الْمَزِيفِ، نَسْعِي وَرَاءَ  
تَحْقِيقِ الْاسْتَقْلَالِيَّةِ حَتَّى لَا حَزَانَنَا .. أَصْبَنَا بِفَوْبِيَّاءِ مِنَ الثَّقَةِ ..! لَمْ نَعْدْ نَشِّقَ  
بِأَيِّ شَخْصٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ .. بَعْدَ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَعَانَةِ الَّتِي آمَتَنَا جَرَاءَ تَلْكِ  
الْثَّقَةِ الْمُفَرِّطَةِ ..

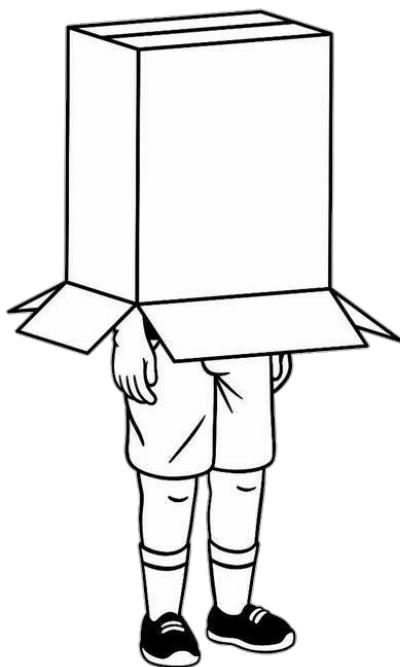
وَمَا قَالَهُ خَوَانُ خَوْسِيَّهُ كَانَ فَعَلَّاً الْأَمْرُ الَّذِي مَا زَلَّتُ أَعْانِيهِ حَتَّى هَذِهِ  
الثَّانِيَةُ: عَدَمُ الثَّقَةِ بِالنَّاسِ، الْأَمْرُ الَّذِي لَمْ أَشْفَ مِنْهُ بَعْدَ.

## حكاية صفت

هذا الصَّمْت عَلَّمَنِي كِيفَ أَتَجاوزُ، وَمِنَ التَّجاوزِ تَعْلَمْتُ كِيفَ لَا أَبَالِي، وَمِنَ الْلَّامْبَلَةِ تَعْلَمْتُ كِيفَ لَا أَحْزَنُ دَائِمًاً، وَهَذَا الْلَا حَزْنٌ عَلَّمَنِي كِيفَ أَكُونُ هَادِئًا جَدًّا، وَهَذَا الْمَدْوَءُ عَلَّمَنِي كِيفَ أَصْبَحُ عَادِيًّا، وَالْعَادِيُّ هَذَا عَلَّمَنِي كِيفَ أَعْبَرُ دُونَ اسْتَدَارَةِ، وَالْاسْتَدَارَةُ هَذِهِ أَخْبَرَتِي بِأَنَّ الذَّكَرِيَّاتِ تَعُودُ بِفَضْلِهَا، وَمِنَ الذَّكَرِيَّاتِ تَعْلَمْتُ أَنَّ الْحَيَاةَ عَبَارَةٌ عَنْ رَوَايَةِ، وَفِي تَلْكَ الرَّوَايَةِ سِيَخْتَفِي الْأَصْدِقَاءُ وَيَصْبِحُونَ ذَكْرًا، وَمِنَ الْأَصْدِقَاءِ تَعْلَمْنَا كِيفَ نَكْتَفِي بِعِنَائِنَا لَنَا فَقْطَ..

وَلَفْرَطُ مَا أَنْ وَقَنَا فِي حَبِّ الْعَزْلَةِ، أَصْبَحْنَا مَعْتَمِينَ لَا يَرَوْنَا فِي الصَّبَاحِ لَأَنَّ الْمَسَاءَ مُوسِمُنَا فَقْطَ، نَرْتَدِي الْوَشَاحَ الْأَسْوَدَ وَالْعَمَامَةَ السُّودَاءَ وَالْمَعْطَفَ الْأَسْوَدَ وَالْكَنْدِرَةَ السُّودَاءَ ثُمَّ نَغَادِرُ لِتَعْزِيزَةِ قُلُوبِنَا إِذْ تَوَلُولُ فِي رَكْنِ مَنْ مَبْنِي بَعِيدٌ عَلَى أَفْقِ جَبَلٍ يَطْلُّ عَلَى قَرْيَةٍ مَهْجُورَةٍ لَا نَصْلَهَا إِلَّا بَعْدَ تَخْطِيَّ غَابَةٍ مَهْجُورَةٍ طَرِقَهَا وَعَرَةٌ! وَفِي مَتَصِّفِ حَدِيثِنَا مَعَ بُؤْسَاءِ الْعَدَمِ، نَهَدِأُ بَعْدَ ضَحْكَةِ طَوِيلَةٍ نَفَادِي دَمْعَةٍ سَقَطَتْ كَصَاعِقَةٍ فِي مَتَصِّفِ الْلَّيلِ، نَهْرَبُ وَاضْعِينَ أَكْفَنَا عَلَى أَفْوَاهِنَا كَيْ لَا تَلْتَحِقَ الشَّهْقَةُ بِالدَّمْعَةِ وَيُكَشِّفُ كُلَّ مَا خَبَيَنَا مِنْ ذَرْزَمِ مَرِيرٍ وَنَعْوَدُ لِتَثْبِتِ كَرَامَةِ صَمْتِنَا بِأَنَّهَا فَقْطُ دَمْعَةٍ ضَحْكَةٍ وَقَعَتْ لَفْرَطَ الضَّحْكِ فَيَغَايِرُونَ الْحَدِيثَ شَفَقَةً بِنَا (مَلَامِحُ قَاتِلَةٍ) فَيَدُوسُونَ عَلَى كَرَامَةِ (صَمْتِنَا)..

وجهة غير صحيحة نسير فيها رغم قراءتنا للائحة المانعة للعبور، أرض مزروعة بالقنابل المتفجرة وأخرى تبعدها بكميات (مقبرة قديمة) تعانق أرواحاً لا تستيقظ إلا في المساء، نمضي كمجنون فقد عقله أو نسييه على طاولة الطبيب حين ذهب للمعاينة فهرب أثناء بكاء أشواقه وإلحادها للركض وراء صوت طفل مفقود ينادي في شوارع الذاكرة.. (الخامسة والعشرون ندماً) ما قالته الساعة المعلقة على حائط القبو المخفي أسفل القلب المغبر بالألم، هل هو توقيته حين وقع في فخ الندم قبلنا، أم هي عقارب الأقدار تعيد نفسها للجميع! (إلا ثلاثون خيبة) مهلاً يا سادة.. هناك خيبات أخرى في الطريق ليستعد الجميع..



## a. m 24:2

صباح الخير يا أمّي وبعد، آذوني البشر، وأغلقوا أبواب السعادة في وجهي، احتجزوني في قفص البكاء، وجلدوني بالجفاء، وأسروني بالعناء.. وها أنا أكتب إليك وسجّاني يزجر بضعفني، ويزدرني بقلة حيلتي، أنحثت لك على جدار هذه الزنزانة الطيني بأظافري ما يجول في خافقني، لا تبالي ألم أصابعي، فحين يكتب الإنسان إلى أمه يشعر بالحرية حتى وإن حاصره بألفي جندي وحارسٍ مُسلح، حين تأتين لزيارتني قد لا تجدين سوى رائحة اشتياقي إليك، وعبارة نحثُها بأظافري التي لطالما اعتنيت بنعومتها تنص على: أنا ميتٌ من اللحظة التي حالوا بها بيني وبينك يا أمّي.. ميتٌ منذ زمن طويل.. أخبري الله بأنهم آذوني فلا حجاب بين دعواتك ورب الإجابة أبداً.. (وداعاً)

خَاطَبْتُهُمْ خَجَلًا وَالْقَلْبُ يُشْجِينِي

غَادَرْتُهُمْ أَمَّا وَالدَّمْعُ يُشْقِينِي

فَلَذْتُ مِنْ شَرْفَةِ الْأَحْزَانِ خَائِفًّا

وَعَبَرْتُ يَسْكُبُ الْأَوْجَاعَ فِي عَيْنِي

عَانَقْتُ كُلَّ وَسَائِدِي وَالسَّهَادِ عَلَى

جَفَنِي وَكُلَّ تَلَاهِينِي تَعَادِينِي

مَهْلَا أَيَا قَلْمَبِيْ مَا زَالَ فِي خَجْلِي

حَرْفُ وَقْصَةِ أَحْلَامِ تَوَاسِينِي

لَيْلِي وَأَنْشُودِي الْخَرْسَاءِ وَاجْمَة

وَالْكَوْنُ بِالشِّعْرِ وَالشَّكْوَى يَنْاجِينِي

\*\*\*

ارتجافُ حادٌ، في فصل الصيف، رغم إغلاق النوافذ، وإطفاء التكييف

وَثَقْلُ الْلَّحَافِ، لِلْقَلْبِ فَصُولُهُ الْخَاصَّةُ!

\*\*\*

## وأصبحنا نسائم الاتكاء على الأكتاف

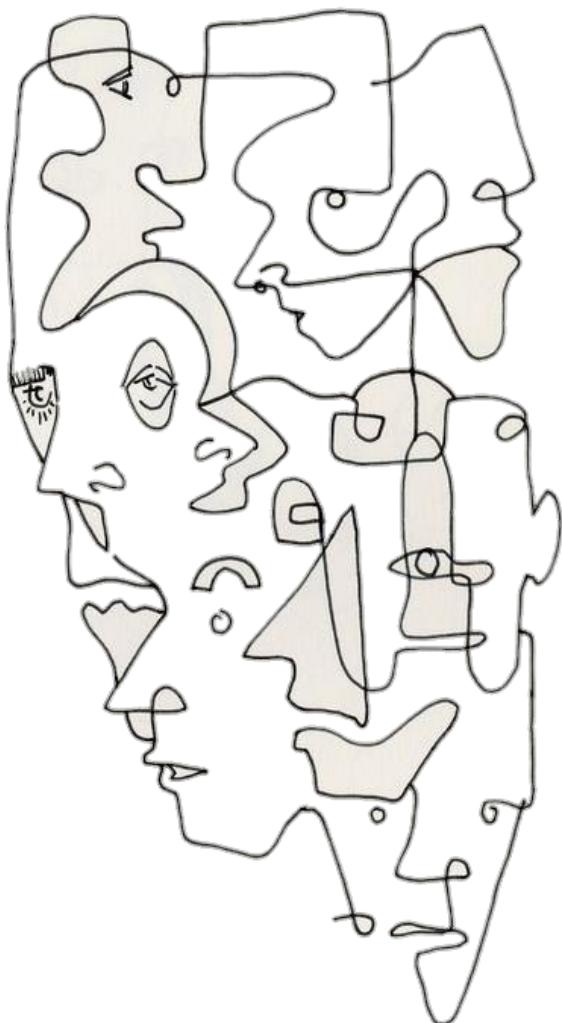
فقد أصبحنا نتق بحنية الجدران كلما احتجزتنا مشاق الأيام..  
نخاطبها ونطرق عليها رؤوسنا النائمة في فراش البكاء، نتحسّسها عندما  
يبقى التّوازنُ أصغر من الصفر، فتصبح الحالة في موضع السالب كون  
الأيام موسمٌ سلبي يمر ببطء كعجوزٍ واهنٍ.

## اعتراف (٦)

مَهْمَا كُنْتُ مُحْتَرِقاً فِي هَذِهِ الْعَزْلَةِ، وَحَاوَطْتَنِي شِيَخُوَّةُ الْأَحْزَانِ  
وَأَسْقَمْتُ مُوْبِوِئاً بِعَجَزِ الْمَسْنِينِ وَحَسَاسِيَّتِهِمُ الْمُتَغَلِّبَةُ عَلَى أَرْوَاحِهِمِ  
الْمَرْتَعِشَةِ فَإِنِّي أَشْعُرُ بِالكَثِيرِ مِنَ الْفَخْرِ كَوْنِي أَطْفَئَ نِيرَانِي بِرَؤُوسِ  
أَصَابِعِي دُونَ صِرَاطِي أَوْ تَهْلِيلَاتِ نَجَدَةِ! أَنَا شَخْصٌ يَكْتَفِي حَتَّى بِانْهِيَارِهِ.  
صَامِتُ وَصَمْتِي عَيْبًا لَسْتُ أَخْجُلُ مِنْهُ..

إن سُئلنا كم أُخِذَّ مِنَ وقْتًا لِلتَّسْيَانِ سُتْبِيْهُمْ إِجَابَاتُنَا عَنْدَنَا نَخْبِرُهُمْ  
بِأَنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ قَدْ أَخِذَّ الْكَثِيرَ مِنَ التَّنْفُّسِ وَالنُّوْمِ وَالرَّاحَةِ وَالنَّشَاطِ  
وَالْقَلِيلِ مِنْ أَجْزَاءِ الْقَلْبِ وَالْأُورَدَةِ وَالشَّعُورِ بِالْحُرْيَةِ حَقَّ الشَّعُورِ.. قَرَرَنَا  
أَنْ نَنْسِي بِكَامِلِ إِرَادَاتُنَا دُونَ إِكْرَاهٍ أَوْ تَحْرِيْصٍ وَلَكِنَّهَا أَفْعَالُهُمْ جَعَلُتُنَا  
نَتَمَكَّنُ مِنْ فَعْلِ ذَلِكَ دُونَ تَرْدُدٍ، بِأَنْفُسِهِمْ جَعَلُونَا مُتَصَلِّبِينَ مَعَهُمْ.. كَمَا  
يَقُولُ أَحْمَدُ خَالِدٌ تَوْفِيقٌ تَمَامًاً: (النَّسِيَانُ بِالنَّسِيَانِ وَالْبَعْدُ بِالْبَعْدِ، وَأَنَا لِنَفْسِي  
وَأَنْتَ لِأَمْثَالِكَ) وَبِلَا شَكٍ فَإِنَّا حُضِنَا تَجَارِبُنَا الْحُرْيَةِ مَعَ الْاِخْتِنَاقِ  
وَتَسَاقُطِ الشَّعْرِ وَالتَّنْفُّسِ السَّرِيعِ وَقَضْمِ الْأَظْفَارِ وَتَصَاقُلِ الْأَسْنَانِ  
وَالْأَرْجَافِ فِي الزَّاوِيَةِ الشَّقِيقَةِ وَالرَّكْضِ لِلَاخْتِيَاءِ تَحْتَ السَّرِيرِ فَوْرٍ  
سَمَاعُنَا لِأَقْدَامٍ تَمَشِّي نَحْوَنَا وَوْضُعِ سَبَّابَاتُنَا عَلَى آذَانِنَا خَشِيَّةً مِنْ سَمَاعِ  
صَوْتٍ يَصْرَخُ فِي وَجْهِنَا أَوْ صَفْقِ الْأَبْوَابِ أَوْ حَفِيفِ الرِّيَاحِ أَوْ زَفْرَقَةِ  
الْبَابِ وَالنَّوَافِذِ الْخَشِيبَةِ.. لَا تَعْرِفُ كَمْ يَصْبِحُ اللَّيلُ مَهْلِكًا حِينَ تَصْبِحُ  
رَؤُوسُ أَصْبَابِ الْأَقْدَامِ قَارِسَةً وَالجَسْمُ سَاخِنٌ كَمْكَوَّةُ الشِّيَابِ وَالْقَلْبُ  
يَغْرُقُ فِي حَبْرِ السَّخُونَةِ الْمُتَّقَدَّةِ.. أَقْدَامٌ ثَقِيلَةٌ تَعْبُرُ بِجَشْعٍ مِنْ فَوْقِ رَصِيفِ  
الْقَفْصِ الصَّدْرِيِّ الْهَشِّ.. وَأَمْطَارُ الْهَوَى تَهَطُّلُ لِتَبْتَ أَغْصَانًا لَا وَرَوْدَ  
فِيهَا، وَأَشْجَارٌ لَمْ تَثْمِرْ إِلَّا بَنَاتِ الْقَطْرُوبِ الشَّوْكِيِّ لِيَنْخُرُ الْبَقَايَا الْمَلَسَاءِ عَلَى  
حَافَةِ الْخَشُونَةِ الْمُتَعَالِيَّةِ بِجَبْرُوتِ أَعْوَجٍ.. مِنْ سَمُومِ الصَّيْفِ تَنْسَابُ  
الرِّيَاحُ السَّاخِنَةُ مُسْتَشَرِّسًا إِلَى قَلْوَبِنَا عَبْرَ نَافِذَةٍ مَفْتُوحَةٍ كُسْرَتْ لَمْ

نستطع إصلاحها فأيدينا ترتجف، وكلما طرقنا مسماً طرقنا الأصابع  
وتراجعنا إلى الوراء نتأوه بوجع دون مقدرة على الصراخ إلا ملوحة  
الدموع التي تناشرت فوق الجرح بتسلل وكأنها تقول: اصرخ.. ابك!  
ونبّخ عطراهم الذي أهدوه إلينا ذات خداع ليتخدّر الجزء الذي طُرق  
بالمطرقة. لم ندرك حينها بأننا سوف نستخدمه كمخدر بدلاً عن ذكرى  
جميلة! لأن المدّايا كالابن الذي يمنع والدته من حقوقها في الحياة بعد  
رحيل أبيه مع غيرها "حقيقة مؤسفة" ...



## عطرهم، والورد الكاذب

ولأنهم يعرفونكم أنكم تعشقون الورد، لأن قلبك يستانًا لا يخالجه ذبول، ولا يعترف بالذبول، ولم يقع في حب الذبول يومًا أو يقع الذبول في حبه، يتّرسون أيامك بالباقات الكاذبة وهدايا العطر الفخمة! ولأن قلبك نقى قد تغريك هدية إلى الدرجة المائة والثمانين من حزين يعاتب إلى سعيد يهيل قصائد قيس ليل. ترفض أن يشاركك أحد في عطرك الذي أهدي منهم، تخبيء بين ثيابك كيلا يتسلل أحد إخوتكم دون أن تدري فيبخون عليهم العطر الذي أصاهم بإغمائه بعد خروجك من المنزل، وانتشرت رائحته بين أرجائه حتى الطابق الأعلى.

تغضب عندما تجده في اليوم الثاني قد نقص وبخ منه الشقيق الأكبر أو الأصغر.. فتصرخ! وكأن كارثة وقعت في شرفتك، ليس لفخامة العطر.. ربما؛ بل تريده أن يبقى معك دائمًا لتسذركم مع كل بخة تلهمك الحياة أثناء مغادرتك لوجهاتها... وبعد أيام تجذب باتنك تبخه بعشواءية ليتهي ولعل حبّهم الذي خدعوك به (يتتهي).. ومع كل بخة تحرقك غصّة وتسلّل دمعة وتروا دبك بخة ليتولى البكاء مهمته في عزلك التي عانقتها بفضل غدرهم لودك. تتوجّه إلى قفص الوردة التي أهدوك إياها ذات صباح احتسيتها قهوة الحب معاً على طاولة المحبة، فتجد بأنها ذاتك وقلبك ووجهك ومشاعرك وعينيك وأنت جمیعكم ذابلون وكل شيء فتر مع فتورها، تبكي بحرقة كيتيم يئن فوق قبر أبيه.. ووردة أخرى

وَضَعُوهَا بَيْنَ دَفَّتِي كِتَابٍ أَهْدَوْهُ إِيَّاكَ بَعْدَمَا قَرَأْوْهُ (حَسِبَمَا قَالُوا) تَسْتَلِقِي  
عَلَى ضَفَّةِ صَفَحةٍ تَكْمِنُ عَبَارَةً قَرَأْتَهَا بِطَرِيقِهِمْ حِينَهَا لَتَقْرَأُهَا الْيَوْمَ  
بِطَرِيقِكَ فَتَجِدُ بَأْنَّكَ كُنْتَ مُغْفَلًا لَأَنَّكَ كُنْتَ نَقِيًّا وَهُمْ عَكْسُ كَذَلِكَ..

\*\*\*

أَتُوَسِّلُ إِلَى اللَّهِ فِي  
هَذَا الْمَسَاءِ  
أَنْ يُجْبِرَ الْأَوْفِيَاءِ  
الْأَنْقَيَاءِ  
الَّذِينَ تَعَرَّضُوا  
لِحَادِثِ الْخَذْلَانِ  
فِي مَحْطَةِ الْجَفَاءِ  
فَأَصْبِيُوا بِبَيْرٍ فِي مَشَاعِرِهِمْ  
وَرَضْوَضٌ فِي قُلُوبِهِمْ  
وَكَسَورٌ فِي أَرْوَاحِهِمْ  
حَتَّىٰ قِيْدُوا فِي أَسْرَةِ الْعَجَزِ  
يَتَأَوَّهُونَ بِكَتْهَانٍ حَادٍ!

a. m 56:2

من حزن حظك، أنّكاليومتبخ عطراهم الذي أهدوهإياك فلا تشعر  
برائحته.. لأنهم رحلوا

\*\*\*

## أنا أبكي

تائهٌ.. في ركن دمعة

صيّبني نجمة عبور

في طريق المهاوية

أرتحي والارتخاء!

يرتحي ..

بين أحضان السراب

متشبّث بالهروب

تحت ماء الحبر

أصب ذعري

في ذاكرة صفحة

مهلاً أيتها الريح.. أنا أبكي

## كم مرّةٍ

كم مرّةٍ يجب أن تتحدث عن الشخصية الضعيفة التي تتمتع بها في هذه الأيام الماردة، كم مرّةٍ يجب أن تنتظر من يواظبك من كابوسك المربع والقاتل، كم مرّةٍ يجب أن تجازي بالصفعات بعد أن غمرت الجميع بالطيبة والتعازي لموت مشاعرهم وإخبارهم بأنها فترة ثقيلة وستمضي.. كم مرّةٍ يجب أن تخدر قلبك بأكذوبات الليل كلما عاتبك عن سبب إهمالك له!

\*\*\*

## محاولة فاشلة!

توصّد نوافذ الحنين فتأتي به الريح، من أسفل باب الشرفة.. رياح الحنين قاسية..



## تقلبات

تقلبات في المشاعر:

من ضحك إلى بكاء

من سعادة إلى حزن

من مرح إلى انهيار

من بشاشة إلى عبوس

من مرح إلى جدية!

تحدث تلك التقلبات عندما ينادي صوت من أصوات الماضي ثم يبدأ شريط الذكريات بالتسليسل فنغادر تاركين نصف ضحكة أو كلمة، أو حركة مرحة.. نصبح في حالة استياء من الأشياء التي لا نقضي يومنا إلا بها ونغادر الأشخاص الذين لا يكتمل العمر دونهم ونتجاهل الأحاديث التي كانت من أبلغ اهتمامنا وننسحب من المواقف التي نعشق خوضها ونكتفي بلياءة في كل رأي يُتّخذ. نضع أشيائنا في أماكن غير التي اعتدناها ونرتدي أشياء لم نرتديها من قبل ونتناول أطعمة لم نمضغها من قبل ونحسّي الشاي ثقلاً وننحن نُفضله عكس ذلك.. تقلبات مزاجية تفقدنا رغبة العيش بسبب شخص جعلنا كذلك معدومي الرغبة من كل شيء.. نشعر بالكثير من الحزن لكننا لا نستطيع البكاء، ونبكي أحياناً بعنة

هكذا دون موقف مبرر للصرار المفاجئ.. نوّد فعلاً شرح ما بداخلنا  
لكنّنا لا نقدر، ثمة شيء ما يقيّد حاشية التعبير، ويحيط الحروف  
فتسحب بهدوء خارجي متقادين فوضى الداخل أن تهول إلى الخارج..  
نضع حوجزاً بيننا وبين من اعتدنا انقضاء الأوقات معهم! نطرق  
الأبواب برؤوس أنامل خيّلة بعدما كنّا نداهم بعشوائية ومرح كونهم  
قد اعتادوا ذلك منا، نشاركهم جلساتهم بهدوء أمّا أحاديثنا لها العزاء فقد  
ولّت، تُصبح أشخاصاً ليس أحياء فقط نمشي لكنّ الروح في عالم آخر  
يشبه الموت !!

\*\*\*

a. m 16:9

أنا المؤيم بالفصول .. هائم بالربيع، والخريف صبابتي، الشتاء أغنيتي،  
والصيف قصيّدي..

\*\*\*

فقط عندما تتظاهر بأن كل شيء بات عادياً لا يستحق الجدل  
سيدركون بأنك فعلاً قد أصبحت جدياً مع نفسك والأصدقاء والحياة  
ومن هم على متن كرتها الأرضية! إننا في آخر المطاف نستشعرنا جيداً،  
بأنه علينا أن نتراجع قبل السقوط فلا شيء يستحق أن نؤذي أنفسنا من  
أجله.. تصفنا الأصوات المنادية في دواخلنا قائلة: إِنَّهُمْ فِي مَكَانٍ آخَرَ  
يحققون أَحَلَامَهُمْ.. ماذا عنكم، هل تقبلون مغادرة الحياة مُذْلُون فارغون  
من كل شيء !!

\*\*\*

## فتُصبح بحاجة إلى أن تعامل بِلطف

كما لو أُنْكَ طفلاً، فالتصرف معك كقويٍّ دائم ناضج لا يبالي، أمر  
يزيد من زحمة الألم على فوهة الفؤاد العليل ... أن تجد من يحذّرك عنك،  
ليبرهن كم هو قد فهم على ما تودّ بوجهه لنفسك قبل الآخرين، أن يرسم  
خارطة تأخذك إلى وجهتك التي تودّ الوصول إليها لكنك لا تملك تلك  
الخارطة... أن تجد من يشعر بكل شيء تمرّ فيه ويسرد القصص الحزينة  
التي قصّتها حياتك الرمادية في باحة الفضاء الفارغ من الداخل.. أن تناه  
كالأطفال تصحو وأنت تضحك دون حزن لأمر عبر، أو قلق من آخر  
آتٍ ... ثمة أمانٍ "صغيرة" لو أن يتحققها الأصدقاء ..

## دَمْعَةُ وَطْنٍ

عندما نمضي جراء الغياب عبر بوصلة لففة لامتناهية وأمنيات لا أمل  
لديها سوى عناق صفة حميمة.. نتمنى رحيلهم فيأبوا ذلك إلى أن يعدوا  
وجبة تلفح حرارتها سخونة ولذاعة فلفل.. يعبرون فتعبر أرواحنا  
بعدهم لنبقى بعدهم دموعة وطن غرفت بالأسى وأغرقت الجميع معها.  
وأن نقول دموعة وطن، فإنه ليس أمراً هيئاً أن تنفجر آبار تلك الدموع،  
الوطن الذي نقطن به لكنّنا مع ذلك نبقى لاجئين في المنافي التي اعتادت  
تلقي دموعنا التي تُدرّف بحرقة بعد أن كسرت قلوبنا وتناولنا نكهة  
المراارة على أرصفة الوحدة وشعور عدم الانتهاء أو عدم رغبة الشعور  
بذلك الانتهاء (من الآخر)، ضائعون أضاعنا بطاقة الانتهاء إذ هرول  
صاروخاً فهربنا لكنها وراءنا وقعت، بل عانقت الرُّكام ونحن نُهْتَا بين  
شوارع البرد وصارعنا جوع الأمان، الدفء والمأوى وسلينا من كل شيء  
لنا.. تزّقت أمانينا ودُفنت بهجاتنا بذل مستعصف بظموحاتنا.. وعلى  
حافة السقوط: صرخت طفلة الأحلام فأوقع الصراخ بها إلى أرض  
الضياع معانقة دُمية المأوى الوحيد لوحديتها بينما تهمهم حافية الأمل  
عارية الدفء والشتاء يقضم أصابع أقدامها بأسنان عنيفة.. يحاوطها ظلام  
مستمر هسيسه مخيف وشيء يشدّ بشعرها من الخلف إذ تصرخ في عالم لا  
يُسمع به الأصوات.. قطّ.

:p. m 02 :9

إذا سئمت من المبررات وتفسير مدى حزنك قل من الآخر: أنا يمني

\*\*\*

## لَا أَرِيدُ لَهُمْ أَنْ يَعُودُوا

لطالما فَكَرْتُ غَالِبًا في الأصدقاء كم أَنْهُمْ يُشَبِّهُونَ الْأَبْنَاءِ الَّذِينَ يَنْسُونَ آبَائِهِمْ حِينَ يَشَيْخُونَ وَعِنْدَ احْتِضَارِهِمْ يَأْتُونَ مِنْ أَقْاصِيِ الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِ بُصْمَةِ مِيرَاثٍ لَيْسَ إِلَّا حِينَ أَمْوَاتٍ يَا أَمْمَى أَخْبَرِي جَمِيعَ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَحْزَنُونِي إِلَّا يَأْتُوا لِتَعْزِيْتِكَ .. لَا تَقْبِلِي بِالَّذِينَ جَنَوا عَلَى رُوحِي أَنْ يَعْزُوْهَا بِكُلِّ بُسْاطَةٍ يَا أَمْمِي ! فَقَدْ أَنْزَلُوا الدَّمْوعَ مِنْ عَيْنِيِّكَ . عَيْنِيِّكَ تُلْكَ الَّتِي بِإِمْكَانِي مُحَارَبَةُ كُلِّ هَذَا الْعَالَمِ السُّخِيفِ مِنْ أَجْلِهِا .. مِنْ أَجْلِكَ أَنْتِ فَقَطْ فَقَطْ فَقَطْ .. يَا وَرْدَةَ قَلْبِي !

\*\*\*



## هَا يَزَالْ صَوْتُ عَقَارِبِ السَّاعَةِ يَطْنَّ فِي أَذْنِي

رغم تحطيمك لها قبل قليل عندما قلت لنفسك إِلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ فِي  
مِنْتَصِفِ السَّاعَةِ الَّتِي تَخُوضُ هَلْوَسَتَهَا، سَتَنْهَضُ وَتَطْرُقُ الْبَابَ بِنَفْسِكَ،  
فَتَعْلَمُ الْجَنُونَ الَّذِي يَتْسُوَّلُ بَيْنَ مَعْرَاتِ انتِظارِكَ لِلْحَظَةِ تَشِيعُ بِنَظَرِكَ فِيهَا  
إِلَى النَّجْمَةِ الْهَزِيلَةِ الْمُخْتَبِئَةِ خَلْفَ غَيْمَةِ الْحَبَّ الْأَبْلَهِ بِخُوفِ كَطْفَلٍ اخْتَبَأَ  
خَلْفَ وَالدَّتَهِ خَشِيَّةً مِنْ غَاضِبٍ يَلْحُقُ بِهِ لِيَبْرَحَهُ ضَرَّبًا.. مَا زَلْتَ تَلُومُ  
نَفْسِكَ عَلَى تَرْقِبِكَ لِإِتِيَانِهِمْ، وَتَلُومُ الْلَّوْمَ عَلَى مَضَايِقَاهُ لَكَ كَثِيرًا وَأَنْتَ  
الَّذِي لَمْ يَسْئِمِ الانتِظارِ لِلْحَظَةِ، حَتَّى بِلِحَظَةِ الْيَأسِ الْمُحِيطِ بِكَ.. أَيْهَا  
الْقَلْبُ الْمَنْغَمِسُ بَيْنَ بَقَايَاكَ الْمُتَبَقِّيَةِ: كَمْ أَنَّ الْمَسَاءَ مَحْظُوظٌ بِكَ..  
بِشَحْوِيْتِكَ!

## لم نعد صغاراً

تترعرع الأوليات كلما تقدّمنا في العمر، والصفعات تنجّبها الحياة يوماً تلو الآخر! تؤذينا قصص لم تروها الأمهات اللوّاتي كنّ يقرأن قصص النوم تلك. ملامح جديدة في عالم العبور، وجوه عارية الضحك، مليئة بالكثير من الكلام لكنها لا تقوله، عيون ذابلة وأفئدة تنهّد باستمرارية! لم نعد صغاراً فقد أصبحنا ندرك معنى تلك الأشياء التي كنا نجهلها.. وعلى عاتق الحديث نتذكر أيام الزمن العليل هذا لنخبر أجيالنا بأننا عانينا كثيراً بل كنا نلوّق مراة الليل ومرارة النهار إذ يتساوق الهم والأسى وشعور الضياع بتوقيت دقيق جداً، لعلهم يستعدون لكل شيء قد تعدد الحياة ضدهم... عندما كنّا صغاراً نبكي كلما صرخ على وجوهنا أو غضب علينا أو أخذَ منا شيئاً يخصّنا، نهروه إلى الأمهات وننحن نشير بسباباتنا الصغيرة إلى من اكترث بركان البكاء الذي ضجّ من حناجرنا، أمّا الآن فقد التزمنا الصمت في كل شيء، فعندما يصرخون ننسحب بجمود، وعندما يغضبون منا نومي بالاعتذار حتى وإن كانت التبريرات مقنعة لما حدث.. نهرب إلى الشرفات مكابدين شهقاتنا وندسّ بكتائنا بين الوسائل كي لا يسمعون صراخنا، نشير إلى القلم ليأخذ بثأرنا ببعض الكلمات نرصدها في ورقة مّا نضعها فوق منضدة شرفة الجلوس فنرحل بعدما نكتب كل شيء وددنا البوح به لكننا خشينا التحدث والمواجهة والتعبير والبكاء أمامهم، ثم نهرب قبل أن يروا الدمعة التي تقیأتها عينُ

حائرة، نهربُ إلى جذع شجرة تأوينا وتعانق بوحنا نسلسل مآسينا  
المتراتكة وكل شيء حتى ننام ودمعة صغيرة نامت فوق الجفن المسودّ  
وشهقة صغيرة لم تنم بل تترصد اقتراب من يخضنها لتنام وكلمة صغيرة  
سقطت من حافة البكاء واعتراف صغير عانقته الشجرة الحنونة كسرٌ  
صغير يبقى دفيناً في ذاكرتها إلى الأزل ..

| دائمًا أقول: لقد كبرتُ ياسادة.. لم أعد صغيراً

| وما إن أرى أمّي يتنحّى ما قلته جانباً

\*\*\*

a. m 09 :12

كانت تمشّط مشاعرها وعينيها تنظر إلى مرآة الذكريات.. وبعد انتهاءها  
وجدت المشط محشوّاً بالكثير من التنهيدات المتساقطة بكثافة!

\*\*\*

لا تهرب من أوجاعك قبل أن تخلّص من تفاصيل أولئك الذين  
تسببوا في تنمرها عليك لأن تنفيهم من ذاكرتك.. وقلبك!

أستطيع !!

## لم ينادني سوى ذلك الصوت الخامس

الذي يود أن يستلقي على ذات الأريكة المهدئة، ونتحدث عن ثمن الدمعة، ومرارة سدس التنهيدة، وموت العُشر. من صنف الكلمات التي خدمتها رغبة المشاركات المفقودة منذ أيام طويلة.. وأهرب من فكرة الحاجة إلى أحد، إلى الاحتواء، والعناء والاهتمام.. معاتباً قلبي على مواقفٍ عبرت قبل وصولي مرحلة النضج هذه.. كنتُ ألحّ على الاهتمام، والعناء، والتساؤلات لماذا؟ وأعاتب على تقصيرهم تجاهي لماذا؟ لم لأنجي أنا يتکلّفون، ويسابقون إشارة المرور للوصول بسرعة، أو يبحثون عن محل ورد مفتوح في وقت مطر أغلقت فيه جميع المحلات، أو يحاولون تحبيبة الكتاب الذي يودون إيصاله إلى داخل المعطف كيلا يتبلل.. لأنجي أنا!



## مقدمة متدرّك

في غيابه يرتديه الضباب العائم أمام نافذة الشروق يهتز مقدمة متدرّك في سكون طويل وانسراح تعقبه ضجة الأفكار وعرس الضياع يتختز على حذافير نافذة خشبية مقابلة ينخرها سوس الذكريات حتى بدت معلقة كاعتراف في حبل غصة، عينان مغمضتان وتنفس بقي في الداخل آهًا الخروج خشيةً من ضوء اللامس.. دموع تسيل بجمود دون إصدار أي صوت تعبّر من فوق خطوط الألجان المنعرجة دون اكتراش فوضى كون فوضى ما بداخل البئر تكفي.. الأفكار حيارى من الوصول إلى نقطة النهاية والذكريات تحيي وتولى كأمًّا توشك الولادة والختين يعلن صرخاته باستمرارية، والدموع زائفة بتهذيد قاسٍ بينما هي تؤدّي التحدث بكل شيء يعتصرها.. عقارب الساعة لا تكفي الشرارة كبومة تسلسل بوحها حتى تشرق شمس المروب لأنها لا تبالي سخرية العابرين من أحاديثها بل تشرّر دون انتهاء (يا لحظها حرّة البوح دائمًا) جزء من ضوء يعبر شروح النافذة محملاً بالكثير من غبار العتمة بالكثير من تساؤلات الليل بالكثير من الإجابات التي لم تُخلق لها الأسئلة بالكثير من الأسئلة التي لم تُخلق لها الإجابات بالكثير من الصداع اللعين والتناقضات اللا راحلة!

p. m 38:11

أَحِبِّكِ أَنَا، لِذَلِكَ أَتَسْلُلُ إِلَى قَلْبِكِ عَنْدَمَا أَكْتُبُ لَأَكْتُبِكِ

لو تعلم يا شقيق العنيد كم من العناء أسديت لأمي لانسحبت من تلك المعارك التي قررت خوضها ببسالة على الرغم من صغر سنك لأنني إليها ركضاً وقفزت إلى أحضانها ثم انحنىت إلى أقدامها لتقبلها وأنت تبكي تطلب منها المغفرة. ينام الناس إلا امرأة تفك فيك بحسرة وتسأله بضيق: (يأترى هل هو في مكان دافئ، إنهم في الجبال والطقس بارد) وحين يتناولون الطعام تضع اللقمة من يدها متساءلة بألم (يا ترى هل يأكل شيئاً، فهو يتناول وجة الطماطم المخلوط بالجبن المفضلة لديه) وحين تتحسني الشاي تسأله فيما إن كانوا يقدمون لك الشاي المهيّل الخفيف. إنّها تعرف حق المعرفة بأنّك في حرب، قد تناول في كهوف الجبال أو على تلاتها الباردة، تقطع عنكم الموارد الغذائية لأيام عدة، بالكاد تجدون عيناً تسقيكم، فأنت من غواص الصحراري يا أخي. لو تعرف كيف يخفق قلبها حين تسمع صافرة الإسعاف تولول، وحين ترى جثث القتلى على التلفاز، حتى أنها بدت تخشى مغادرة المنزلة هروباً من التشرفات والدعایات التي لا تكف عنها النساء المنافسات مهمّة الإعلام بل أشد من ذلك.. هذه النافذة قد اعتادت على قلقها كلما وقفت أمامها تتذكر عودتك أو جزعتك من هناك أو هناك، وكلما سمعت صوت صبيّاً هرعت من حيث تجلس حتى تتأكد وتعود بخيبة أمل حين تدرك بأن ذلك ليس صوتك.. كل شيء هنا يحنّ إليك و(الأماكن كلها تشترق لك)

مَقْعِدُكَ الْمَدْرَسِيُّ، وَأَسَاتِذَتُكَ، وَزَمَلَاؤُكَ وَأَصْدِقَائِكَ وَالْخَضَارُ وَصَاحِبُ  
الْبَقَالَةِ وَالْجَارُ وَالْجَدُّ وَأَبُوكَ وَأُمُكَ وَأَبُوكَ وَأُمُكَ وَأَبُوكَ وَأُمُكَ..  
وَأَنَا يَا أَخِي أَهَانَتْ هَذِهِ الدَّمْوَعُ عَيْنِي الْعَامِسَتِينَ الَّتِي تَلَقَّبُهَا بِ(الْكُورِيَّةِ)!  
عُدْ أَرْجُوكَ.. وَقُلْ جَلْتِكَ الَّتِي اعْتَدْتُهَا مِنْكَ دَائِمًاً كُلُّمَا وَجَدْتِنِي أَتَحْدُثُ  
إِلَى الْأَوْرَاقِ: سِيَشْتَكِي بِكَ الْقَلْمَنْ يَوْمًاً!! اشْتَقْتُ إِلَيْكَ..

## صِبَاحُ الْوَجْعِ أَيْهَا الْمَسَاءُ

أَوْ مَسَاءُ الْأَلْمِ أَيْهَا الصِّبَاحُ، دُعَا نَكْسَرُ رُوتَينَ مَا نَقُولُهُ بِزَيْفٍ لِبَعْضِنَا  
كُلَّ يَوْمٍ.. فَقَدْ أَصْبَحَ لِلْمَسَاءِ صِبَاحٌ سَاهِدُ، وَلِلصِّبَاحِ مَسَاءٌ بَارِدٌ.. فِي آنِ  
وَاحِدٍ تَنَامُ نَسْمَةُ مَسَاءٍ فِي حَضْنِ الصِّبَاحِ، وَتَتَقَيَّاً غَيْمَةً صِبَاحٌ يَتِيمَةٌ فِي نَهْرِ  
الْمَسَاءِ.. فِي عَيْنَيْنِ الْمُصَبِّحَيْنِ بِالْخَيْرِ الْكَثِيرِ مِنْ تَعَابِيرِ الْمَسَاءِ الْمُتَصَاعِدَةِ  
بِتَعْبِ وَعْنَاءٍ، وَفِي عَيْنَيْنِ مِنْ يَمْسُونَ بِالْخَيْرِ الْكَثِيرِ مِنْ الْفَتُورِ الَّذِي شَرَبُوهُ  
مِنْ شَمْسٍ أَصَابَهَا كَسُوفٌ مُبَاغِتٌ! الصِّبَاحُ وَالْمَسَاءُ أَصْبَحَا مُتَشَابِهِنَّ،  
فَالسَّتَّائِرُ مُسَدَّلَةٌ، وَالنَّوَافِذُ مُوصَدَةٌ، فَقَطْ شَمْعَةٌ فِي مُتَصَصِّفِ الشَّرْفَةِ،  
وَغَرَقَ فِي صَحْرَاءِ الْأَسْتِفَهَامِ، عَقَارِبُ السَّاعَةِ تَسِيرُ فِي الْإِتْجَاهِ الْمُعَاكِسِ  
(يَدُوِّ كَذَلِكَ).



### اعتراف (7)

ربما فكرة الاختفاء، كانت مجازفة بحقي ومستقبل المجهول في كتيبٍ (مُبهم) لكنني شخصاً طوّقته حساسية الضوء، وقعتُ في حبّ الظلام..  
ربما هذا/بعض شيء!

أشدّ حال مشاعري مسافراً فوق سجّاد المروب، أقع في همّ صحراء وأصبح متصرّحاً أشعث الكلمات. آتي إلى تلك الأجزاء التي تناشرت خلفي ظمآنًا وأهثُ كطفلٍ هارب، صديقي صدّي مهوم يردد ما تبصره حنجرتي من صراغات متتابعة، وشمس الغروب تروح خجلةً من عجز العون الذي لم تسده لي خلسة! أرواح الأطفال القاطنوں في مقبرة قلبي ينبعثون من بين أصلاب العتمة، يبكون وأنا الذي أبكي دون دموع، يصرخون وأنا الذي أصرخ دون صوت، يركضون وأنا الذي أركض دون أقدام، يصفقون وأنا الذي أصفق لرموش وحدتي دون كفين! شمس الحكاية تشرق ببطقوس النهاية، معلنة نهاية الأحداث التعيسة، المؤسفة، الجالبة للانقراض من عالم الضجيج. تشنّجت تلك الدموع وسط زحمة الأفكار، والبسمة تنمو بجفاف على ضفة شفاهٍ ممزقة بإطالتها المأسوية، تروي تعasse القصص التي غسقتها زئبقية الأيام عندما عبرت بانسحاب.. أنا لستُ حزيناً ربّما، أنا فقط وجدتُ الحزن وحيداً في شارع الفراغ، فاصطحبته معه لتشارك شعور الوحيدة، ونخبر كلينا أننا في المأزق ذاته. إنّي تائه فقط يا صديقي، أشعر بالضياع في صحراء المجهول، تنساق دفائقي البطيئة إلى حضن الزوال، منصاعةً إلى بؤرة الموت! أودُّ احتساء الشاي مع صديقٍ مُستاء، لكنّي أصبحت شخصاً بخيل المشاعر وفقير الكلام. قد لا أستطيع تبادل الأحاديث معه

حتى يأيماءة أو تلميع، سأتوّج عيني إلى زجاج النافذة، لن أقبلها بعيني  
الكائن المقابل، سأواسيه بتهيدة في كل مرة يحاول فيها شرح كم أنه  
حزين. حزين للحد الذي لا يستطيع وصف ضخامة ذلك الحزن،  
سأسمح لدمعتي الهاشة الاحتياطية أن تنزلق ليعلم كم أنّي أشد منه  
بؤساً... في هذه اللحظة، تحديداً مصاب بصداع المدّوء، كأنّ أصواتاً  
تحدّث وتسكن، وكأن هناك من يعبر ويختفى، وكأنّي أغرق في بحر لا  
يبلّل ما واه أحداً وكأنّ صوتاً يهلي ما قاله سigmوند فرويد: (لا يمكنك أن  
تجد السعادة وأنت غارق في حديثك عن الألم)

إنني أصارع شعوراً لا أقوى عليه يا صديقي.. أحتاجك وإن كنت  
تزيد من كل تلك الأضطرابات.. تعال وحدّثني عن السعادة، وعلّمني  
كيف يتحدثون بها.. كي أجدها!

\*\*\*

## ثُمَّةَ كَلْمَاتٍ

تَرَكُ فِينَا أثْرًا ..

مِنْهَا مَا يَحْيِي مُشَاعِرَنَا

وَمِنْهَا مَا يَمْيِيْتَهَا !

مِنْهَا مَا يَهْدِيْنَا

وَمِنْهَا مَا يَبْنِيْنَا ... !

هِيَ مُجْرِدُ كَلْمَاتٍ ..

لَكِنْهَا تَسْتَطِيْعُ أَنْ تَؤْثِرَ عَلَى قَلْبِ الإِنْسَانِ كَثِيرًا .. حَتَّى أَنْهَا تَسْتَطِيْعُ

دَفْنَهُ وَهُوَ حَيٌّ ..

p. m. 52 : 8

لَا شَيْءٌ جَدِيدٌ .. سَوْيَ أَنْيٍ أَصْبَحْتُ أَكْبَرُ الْأَلْمِ وَأَصْغَرُ الْأَمْلِ بِكَثِيرٍ !

## أَصَبَّتْ هَادِئًا لَا أَقْوَى الالْتِفَاتِ!

مارسًا طقوس المهدوء كل يوم، مُهاجرًا كل ما لا يعنيني وإن كان يعنيني أمره من قبل، أرفض إسراف عمري هذا في اللامجي، قاتم أحبت الأشكال الملونة بالأسود والرمادي، أعشق الجوّ ضبابياً، والسماء مطرة والرياح راقصةً باستمرار، تناول القهوة المُرّة من أولويات الليل، وقراءة الكتب ذات الاضطرابات المزدحمة في قلب كاتب من متطلبات قلبي الأساسية.. أنا أحب الجلوس بمفردي دائمًا كهذه اللحظة مثلاً. أعشق العزلة بشكلٍ مُفرط...! فلا شيء يمكنه أن يضاهي لذة الخلوة مع النفس والقهوة والكتب والعزلة..

## قناعةٌ

ويصبح للقلب رغبة الميول إلى التخلّي بدلاً عن الإلحاد في التماس الاهتمامات.. وما نحنُ بضئيلي القيمة كي نُعرَّض إلى مهزلة التهميش، فإن كُنا شيئاً ثميناً تواجدنا وإنْ نكن، كانت المغادرة هي الخيار الأرجح!

p. m 07:11

أنا الوَحِيدُ بَيْنَ الْجَمْعِ، الصَّامِتُ الْثَرَاثُ، الضَّاحِكُ الْبَاكِيُّ، السَّعِيدُ  
الْتَّعِيسُ، الْمُلِهِّمُ الْمُحَطَّمُ، الْمُضَمِّدُ الْجَرِيحُ، الْقَوِيُّ الْضَعِيفُ، أَنَا التَّضَادُ  
بِعِينِهِ.

\*\*\*

## اسْتَفْهَامٌ

ما شعرتُ يوْمًا بَأْنِي غَرِيبٌ إِلَّا حِينَ افْتَقَدْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَجْهَكِ!

ما ذَنَبْتُ إِنْ كُنْتَ أَنْتَمِي إِلَيْهِ؛ لَأَنَّهُ وَطَنِي ..

\*\*\*



## غُبْرَةُ النَّسِيَانِ الْمُؤْجَلِ تَسْوُدُنِي بِاللَّاهِنَاءِ

أنام لكنّ الانتظار ينوب عن أفكارِي إذ يبقى مستيقظاً لعل المسرّة  
تطرق أبواب قلبي وأستيقظ بضحكه ودمعة تؤكّد أنّي سأصبح بخير  
بعد الآن وأتحرّر من قفص الغياب وأقفز من نافذة دموعه.. وكل ما يثير  
ذهول تلك النافذة هو أنّي السجين والسجان، والعزاء والمعزّي، والتائه  
والباحث والغريق والمنقذ، أنّي أنا وهم، لذلك أشعر بالنقص؛ لأنّهم لم  
يأتوا..

## قطط المشاعر

فتسيِّر مؤجلاً في عالم يؤجّل السعادة للحظة خنوع. مصاباً بداء الجفاف في أرض خلوتك، حارقاً في صحراء تيه، ظمآن مشاعر، بحاجة إلى بئر ودّ.. يا إلهي كم يخيمني الضيق - هكذا تنادي.. في فراغ بيادء - تحمل مأسيك على أكتافِ وارفة بالأنهيار، وتركتض وراء غيمة.. لتأويك حِرقة شمس الظهيرة! ثم تنظر إلى الوراء لتجده توأم للأمام، رمال ناعمة وقلبك الخشن فقط في الحدث، أمّا روحك فمتهالكة كزهرة تستسقي قطرة ماء على الأقل. تُعثرك ابتسامة أمل قبل انطلاقك إلى أحضان البكاء! حين ترى عن بُعد خيمة من خيام البدية! فتزحف إليهم محلاً بقطط المشاعر، فيخبرونك بأنّه قد اجتاحهم منذ أعوام لذلك هم هنا هاربين من خضرة البشر المصنوعة من الخيانات والكثير من المكائد التي يحيكونها لبعضهم.

\*\*\*

p. m 41 : 5

وخلف تلك الابتسامة الواسعة، أحاديثُ أنجبتها شفاهٌ مُثقلة بالصمت..

وإذا بكينت كما اليتيم.. بمفردي  
من ذا الذي يمحو بلطفيه أدمعي !!

## مساءُ الْخَيْرِ أَمْيٌ...

آمل أن تقرئي هذه الرسالة بين ثمة أوراق قد تجدنها يوم غدٍ بعدهما تأتين إلى شرفتي الأشيه بالتابوت.. أن تقرأي هذه الورقة تحديداً، وإن كانت ستوجعك.. لكتني أريد أن تخلصي من تلك التساؤلات التي تؤلم قلبك من أجلي.. أريد إخباركِ الكثير من الأسرار: أَنّي حزين أولاً، لكتّني لا أعرف لماذا، ربّما الكثير من التفاصيل الجالبة للحيرة قد ترابضت دفعة واحدة عبر فوهه موقفِ كان الأشد وجعاً.. أَنّي محاط باكتئاب حاد ثانياً، وأَنّي قبل قليلٍ بعثرت كل شيء في هذه الشرفة رأساً على عقب بحثاً عن مُسْكِن أو جرعة تخدر هذا البركان المقتحم بلدة قلبي بعنف، أردت إيجاد تلك الجرعة دون اللجوء إلى فكرة المغادرة من الشرفة، دون مناداة، فصوتي لا يرغب الإفصاح قطّ، حتى وإن أخبرتك من قبل بأنني لن أتناول أي دواء.. لقد أصبحت أخشعى العالم كثيراً يا أمي. لم أقم بفتح الباب الذي طرقته ليلة البارحة عدة مرات لأنني متعب ثالثاً، ولكن حاشايَ أكون متوجهالاً لجلالتكِ يا نبع قلبي، بل لأنني لم أكن أرغب أن ترى ذلك الاحمرار الذي وتدَّ أمسية على رفوف عيني، فتحرمين عينيكِ من النوم، وأنا أعودُ بأن ينقضي الليل وأنتِ تفكرين بقلق حول ما يحدث معِي.. يقول فولتير يا أمي: (حجر الأم هو المكان الآمن الذي تستطيع أن تسند إليه رأسك وأنت مرتاح ومطمئن) لذا أنا أحبكِ أولاًً ورابعاًً وعاشرأًً وآخرأً، فابتسمي الآن يا حبيبي.. فكل الماسي هينة وأنتِ بالجوار دائمًاً.. أحبكِ

## صَدِيقِي الْخِيَال

على صفة هففة.. أترقبك

مجيئك، لاختطاف مشقّتي إلى حقيبتك

فنهرب مسرعاً عانق الشروق..!

نغمي المواويل على غصن عناق

نرسم الأسواق، هاربان إلى نجمة خلاص، نغرّفنا من لحنِ

نهرٍ فنسقي حبّنا، بائثمان

تحت قصيدة، أنا.. رصّدتها

لأجلك!

\*\*\*

على طاولة واحدة، الحزن، الحنين، الخوف، والألم..

هناك مقعد شاغر!

## فتشعر بخجل انتعائِك

لعلك البائس هذا دون أن تدرك بأنك البؤس عينه، تسير موشحاً بالحزن وتظن أنك الوحيد الذي وقعت بين أحضانه حتى عانقك إليه آهأً إفلاتك مرة أخرى.. تنكاً على ظهر غيمة وتطوف بين أسوار البحث المستمر عن شيءٍ مفقود منذ أيام ولطالما أردت أن يقنعك الأمر الذي جعلها تروح مسرعة دون أن تعانق شيئاً من حلوها أو مسراً لها، فتؤسفك فرصةك التعيسة حين لم يحالفك الحظ بأن تلتقي بالسعادة.. تؤسفك أكثر عندما تدرك بأنها عبرت وأنت غاطس بوجهك على وجنة الحسرات المبللة بتوسلاتك لعودة لحظةٍ ما هُدم فيها كل شيءٍ لتصلح كل شيءٍ!

\*\*\*

## رسالة

وألفيت في منتصف الهروب.. رسالة

أعثرت لهثي نحو نافذة الانتشال:

من مهابط السراب.. وفحيح الليل

تقول: لا مفرّ من العزلة..

التجوّل خارج المنازل.. منوع!

\*\*\*



أنت لا تعرفُ كم هو مؤلمٌ، أن تكتب ما أوجعك،  
فيقرأه من أوجعك!

\*\*\*

## تلك النهاية

التي ولطالما انتظرت أن يتهمي بها كل شيء: حزني، وأسفني  
وانتظاري الوهمي وما يجلب الهملاك لقلبي.. انتهى الزّمن قبل أن تأتي!  
وإذ أختتم حديثي يا أمّي بعد مناهدي لأوجاعي بالطرق العدة التي  
فشلّت بها.. تعثّرت مراراً وأنهكتني تلك العثرات بعدما أصابت  
مشاعري بالكثير من الرضوض والكدمات، انتخبّت العتمة كحلٌّ نهائٍ  
لأتعثّر بين جدران احترافي دون أن يراني أحد أو يتصرّ لذلك الحزن  
الذي أقيم بقوّة في موطنني المشرّد. الموطن الذي لم يتراّدف والأمن منذُ  
زمنٍ مريرٍ ...! رُبّ ضحكة قد تعيد قوامي من جديد يا أمي، إلا أن تلك  
الأشياء المتخلخلة في داخلي ستبقى على مرّ العمر حتى اليوم المؤاتي للفناء  
الأبديّ.. اعترافي جالب للأسف كثيراً، لكنها الحقيقة يا عزيزتي!

اعتراف (8)

قوية .. كأمّي ..

لك أن تخاف الآن من قوتي ..

كونك تعلم بأن قوة الأمهات لا تُنافس .. لا تُقهر !

## أُمسيّة (8)

أدركتُ مؤخّراً أن كتابة الأشياء الحزينة يحرف كل ما ينقل القلب من براكيين البوح المُتّخِم بمزيج الحزن المدجّح تحت حكايات الروح المتهاكّة الفاقدة رغبة العيش والمُضيّ من جديد في معركة الحياة اللامنتهّية! حبوثُ على أسطح الأسطر الباردة بحثاً عني والشّيء الذي أشعر بعدم تواجده والجزء الذي أشعر بأنه قد وقع من تلة قلبي إلى ندبٍ لُصِقت بذاكري المليئة بالأحداث الميّة!

ركنتُ أسلتني على زاوية التفكيرات المُحاربة هدوئي حتى نصفه لأخوض ضوّاء لا تعرف بأمر يقال له (هُدنة)!! كانت الكتابة ملادي الآمن يا أمّي دافئه كأنّها أحضانِ حنونه كأنّها كفّاكِ التي تضعينها على جبيني كلما سادتني حُمّى الليل! ولطالما قرأتِ الكثير مما كتبته في هذه العزلة عندما كنتِ تتسللين بعد متتصف الليل لتجدي بأنّني قد أطّرقت رأسي الشّقيل فوق أوراقي بغيوبه أحذثتها عبارة أو نصّ حشّر كل شيء حتى انهمرت دموعي وزفرتُ آخر تنهيدة لأغمض عيني ساهداً بإرهاق متعجرف!

كانت الليالي تمشي ببطءٍ يا حبيبي لأنّي لم أتوّاكب والنوم العميق منذ أيّام طائلة! خسرتُ حيلتي في معاركها التي خُضتها مع تفكيري المزوجة بالتناقضات المؤهّلة للانتقال إلى مرحلة النهاية الختمية..

استنزفتُ الكثير مني محاولاً استئصال تلك المأسى المتکورة في شتاء قلبي الطويل فصله، خاطبَ القمر من خلف النافذة وأصبحت أجيد لغة الجدران الأربعـة، وقد كانت حنونـة يا أمـي، خاطبـتني بالطـريقة التي أردتـ أن يـتبادلـ بهاـ الحديثـ تمامـاً..

أمـا العـتمـة فقدـ صـبـحـتـ شيئاً منـسـوـباً بـحـلـالـةـ سـوـدـاوـيـتيـ بلـشـيـئـاً يـعـنـيـ ليـ أمرـهـ كلـ الـكـثـيرـ.. حـسـنـاًـ أمـيـ منـذـ أـيـامـ طـوـيـلـةـ لمـ أـكـبـسـ زـرـ الإـضـاءـةـ الرـئـيـسـيـةـ لـلـشـرـفـةـ، فـقـطـ ذـلـكـ المـصـبـاحـ الذـيـ بـاتـ يـغـادـرـنـيـ بـهـدـوـءـ مـنـ فـوـقـ منـضـدـتـيـ الـأـشـبـهـ بـطـفـلـ يـتـيمـ حـيـثـ تـحـتـلـ الرـكـنـ الـفـارـغـ مـنـ شـرـفـةـ تـسـبـحـ فـيـ لـحـونـ الـغـيـابـ الـمـسـتـمـرـةـ دـوـنـ مـغـادـرـةـ أـوـ رـحـيلـ!

يا اللهـ كـمـ قـسـتـ الدـمـوعـ عـلـيـ ياـ أمـيـ، كـمـ أـحـرـقـتـ عـيـنـيـ وأـهـبـتـ قـلـبـيـ وـعـجـنـتـ فـؤـادـيـ بـالـحـزـنـ الذـيـ لـمـ يـقـعـ فـيـ حـبـ نـهـاـيـةـ قـطـ. كـمـ طـعـنـتـ وـجـنـاتـ رـوـحـيـ وـغـدـرـتـ أـورـاقـ كـتـابـتـيـ وـأـصـابـتـ ذـاـكـرـتـيـ بـجـلـطـةـ التـسـنـيـ لـلـنـوـحـ وـالـبـكـاءـ وـمـوـالـةـ الشـهـقـاتـ التـيـ دـحـدـرـتـهـاـ أـيـامـ مـضـتـ فـأـبـقـتـ المـرـارـةـ فـيـ جـيـبـ تـلـكـ الـذـاـكـرـةـ الـحـزـينـةـ!

صـدـقـيـنـيـ ياـ أمـيـ أـشـعـرـ بـالـكـثـيرـ مـنـ الـحـرـيـةـ الـآنـ لـأـنـيـ أـدـرـكـتـ بـأـنـ سـجـنـ الـأـحـزـانـ طـوـيـلـاًـ فـيـ دـوـاـخـلـنـاـ يـعـنـيـ بـأـنـنـاـ نـسـجـنـ فـيـهـاـ أـنـفـسـنـاـ فـنـصـبـعـ مـثـقـلـيـنـ بـأـنـقـالـ تـفـوقـ مـتـانـةـ قـلـوبـنـاـ وـنـمـضـيـ فـيـ الـحـيـاةـ مـلـيـئـنـ بـالـأـرـقـ وـنـشـعـرـ

بفراغٍ فظيعٍ جدًّاً عندما لا نجدُ من يعثر على ذلك الحل الأمثل للقضاء على كل أحزاننا أو يشغل حيز ذلك الفراغ!

ولطالما أيقنتُ الآن بأنَّ الحل الأمثل للقضاء على كل تلك الأوجاع التي تأسرنا هو أن نواسِي أنفسنا بأنفسنا.. أن نبحث عَنْ جيداً، أن نكتب أوجاعنا ونُصِّرُ بها لأنفسنا كي لا نختنق بها ونَحْنُ ما زلنا نحلم بالكثير والكثير..

لذلك يا أمي أنا سعيد اليوم، كل شيء حزين في قلبي كتبته، وكل شعور أهان قلبي ركلته حتى تبعثرت تهشماته على متن أوراق... قد تظل هناك بعض الأحزان موشومة في قلبي يا بريقي، ولكن لا عليك من حزن الماضي وإيّاك أن تخشى ضعفي مرة أخرى في المستقبل كل ما عليك هو هذه اللحظة تحديداً، أن تبسمي وتشرقِي وجهك القمرِي بالضحكَة التي لا تُماثل ولن تُماثل أبداً أبداً.. أن تصفّقِي لي عندما قررت النهوض من سرير البكاء خالعاً قميص الحزن الذي تسبّثتْ به طويلاً! ولا تقلقي يا أمي بشأن الدمعة العالقة على محاجر عيني لأنها تعقم قلبي من البقاء العالقة في جدرانه! فصباح الخير يا أمي، كم اشتقتُ لرائحة كفِيكِ، وحنايَاتِكِ، وقهوتِكِ، ورغيفِكِ، ورائحتِكِ وبخورِكِ، وأغانِيكِ، وحكاياتِكِ، وشتلة الريحان الخاصة بكِ.. جنتِكِ من حرب العزلة شامخاً.. متتصراً بعد خوض الكثير من المزائِم، لدِيَ الهمَّة العالية على نسيان كل شيء ومعايشة الأمور بتجاوز دائم.. لأجلكِ أنتِ.. كي لا

أرى دموعك تنسكب حزناً عليّ.. بل سعادة من أجلِي! ربها قد اعتدتِ ذلك مني، حين أختتم كل عزلة بهذا الوعد، وعد النسيان والمحاولة في تحقيقه، كون هذه العزلة التي اعتنقتها بأسفٍ لن تكون الأولى أو الثانية، أو حتى الثالثة ولن تكون الأخيرة.. ولم تُكُن هذه عزلتي الأولى بل سبقتها كثيرات، لكنها لم تنضجني كما فعلت هذه المرة.. لكنني أعتقد بأنّي بعد الآن سأصبح شخصاً لا تقهّره الحّيّات.. هذه المرة أنا حقاً تَوَاقِعُ على تنفيذ النسيان.. وقراري صارمٌ جداً على تنفيذ هذا الحلّ الأمثل.. سأكون مختلفاً هذه المرة يا أمي.. سأتغيّر.. سأنسى.. سأبدأ من قلبي أولأ ثم ذاكرتي، كما قال الكاتب اليمانيِّ القدير مجدي الرّدفاني: إذا أردت أن تصبح شخصاً جديداً، ابدأ التغيير من قلبك.



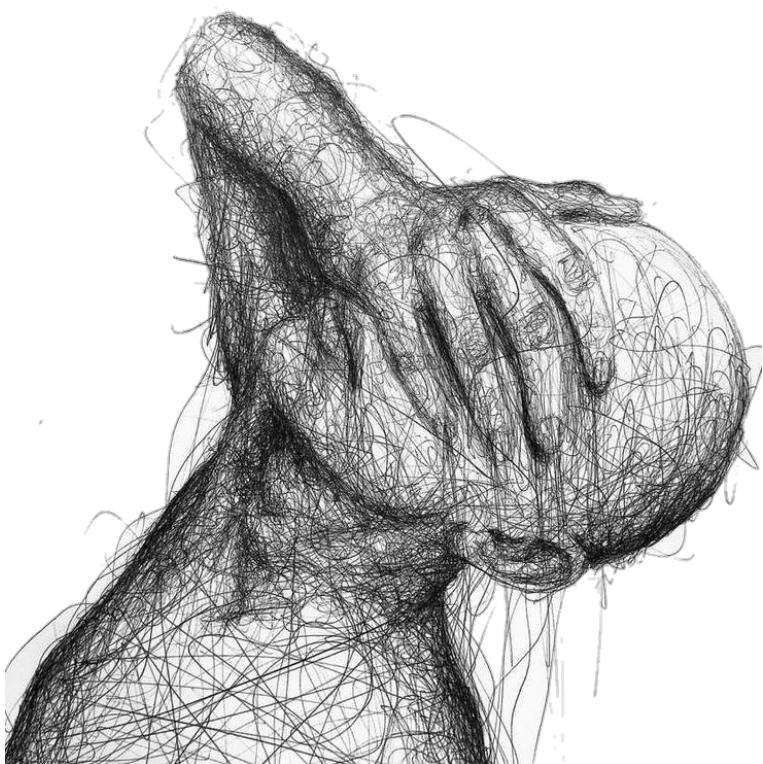
## مذکرات مفقودة

لا أعرف كيف باستطاعتي وصف تلك اللحظة القاسية التي علمتُ فيها بأن كفيك قد أصبحت ملكاً لكتفين أخرى، واسمك أصبح يُنادي من قبل شخص ليس أنا، عيناك تلتقيان بعينين ليست عيني، ضحكاتك يتغذى من رحيقها قلب ليس قلبي. شعرتُ بأن رصاصات وقاذفات وسيوف حادة وخناجر وأسهم وأقواس ونيران ملتهبة قد اخترقت صدري. أعلم جيداً يا مواجع بأن بلاغتي الكتابية سخيفة مقابل حرقه شعوري بعد رحيلك، ولكنني أحارو قدر المستطاع أن أكتب إليك، ولعلمي بأن نسبة وصول رسائي إليك ضئيلة، ولكنها على أية حال ستصل يوماً ما. من يدرى؟ ربما قد تجدنها أسفل وسادي حين تأتيني لزيارة شُرفتي بعدما تنتهيون من مرحلة دفن جثامي. أساساً ما الذي سيأتي بك إلى شُرفتي، ما الذي سيأتي بك أيضاً لتكوين ضمن من يهلا على قبري بحبات الرّمال -كم أني سخيفُ أحياناً- لا بأس في ذلك، شعوري بهذه الليلة يتبع في الجو الفارغ، وأشعر بأن قلبي سيجارة في فم مُكتَبٍ يمتصُّ منها ما يُخدر أو جاعه، وبعدما تنهى استفادته منها سيهرب شها تحت قدميه ويعادر إلى وجهة مجهولة، ربما إلى إحدى التلال الجبلية أو إلى بحري يبعد ثرثرة المدينة وصخب الحياة التي أصبحت بالنسبة إليه روح بلا روح. شيء في داخلي لا يزال ملتهباً يحرقني جداً، حتى الآن لم ينطفئ، لا أدرى لم هو حتى الآن لم ينطفئ، ربما هو بحاجةٍ إلى قُبلة، أو رسالةٍ

تصلنِي منكِ، أَشْمَ فِيهَا رائحةِ الْيَاسِمِينِ، وَأَعْطَرْ قَلْبِي بِحُرْوَفِكِ،  
وَأَحْصَنْهُ بِرَأْيِهِ السَّاحِرَةِ. لَوْ أَنْ يَجْتَمِعُ كُلُّ أَهْلِ هَذَا الْعَالَمِ مِنْ حَوْلِي،  
مَحَاوِلِينَ مَوَاسِيَّتِي لِمَا اسْتَطَاعُوا يَا عَزِيزِي، ثُمَّةَ أَحْزَانَ لَا تُبَرِّءُهَا الْمَوَاسِيَّةُ،  
وَثُمَّةَ خَيَّابَاتٍ لَيْسَ لَهَا تَرِيَاقٌ، وَثُمَّةَ دَمْوعٍ لَيْسَ لَهَا مَنَادِيلٌ، وَثُمَّةَ أَمْنِيَّاتٍ  
غَيْرَ قَابِلَةٍ لِلتحقيقِ مِنْهَا تَرُونَقْتُ بِهَا جَوَانِحُنَا. جَرْحِي أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوَاسِيَ  
وَيُرْصَدُ وَيُكْتَبُ. عَمِيقٌ جَدًا يَا صَاحِبَةِ الشَّامَةِ السَّوْدَاءِ الَّتِي يَتَمَمِي قَلْبِي  
إِلَى اسْتِقْلَالِيَّتِهَا الْعَتِيقَةِ، إِذَا تَطْفَوْ بِهِدْوَةٍ عَلَى شَقَّ أَسْفَلِ شَفَنِيِّكِ، تُشَبِّهُ ذَاتِي  
عِنْدَمَا تَمُوهُ بِهَا صَفْعَةً مِنْ صَدِيقٍ. آهٍ يَا بُنْيَّةَ الْعَيْنَيْنِ مَا كُلُّ تَلْكَ الْقَسْوَةِ الَّتِي  
قُتِلَتِ بِهَا شَغْفِي وَأَمَالِي. لَمْ أَعْهَدْكِ يَوْمًا قَاسِيَّةً، لَقَدْ كُنْتِ عُصَنَاً رَؤُوفًا  
وَزَهْرَةَ حُنُونَةً!

أريدُ الهروب من جميع الأماكن التي أراهاً بها، من المقهي، والشوارع، والأرصفة، والمكتبة، ومني. كم أرغمُ الهروب مني فأستريح من مأسى قليلاً. حسناً أعلمُ بأنَّ المرء يستطيع التخلص من أي شيء في هذه الحياة الحمقاء إلا من نفسه، وكلما أصبح أكثر كآبة كلما التصقت به أكثر، وعائقته أكثر، وأحبته وعشقته أكثر، كيف بإمكاننا أن نُشفى ونُحنَّ ما زلنا موبوءون بأنفسنا، كيف يتخلص الإنسان من نفسه يا صاحبتي، لا أدرِّي كيف حقاً، ليتنا نقدر على خلع أنفسنا منا حين تُصبح ضعفاء الخيلة لا نقوى شيء، نخلعها كخلع القميص أو الماطف. التخلص من النفس ليس حلاً، ومحاولة الهروب من الحياة أيضًا ليس حلاً. البُكاء ليس حلاً والدموع كذلك. كل تلك الأشياء ليست حلوًّا يمكنها أن ترتفق الفتوّق التي انتابتنا في حرب الهوى. ولكنها على كل حالٍ ما زالت قرينة بضمودنا، أفكار صامدة ظلت حوزتنا في الحين الذي تأكّلت بقية الأفكار من رؤوسنا الفارغة والمليئة في الوقت ذاته. عاهدتنِي بـلا تضيي العمر مع غيري، لكنك لم تفِ بذلك العهد، كم أخشى عليك من عذاب الآخرة لأنك نقضت عهداً. كل المنافي التي أهرب إليها أجدهُ فيها، يُطاردنا صوتُكِ ملائكة، وابتسامتكِ التي تفلقني إلى مائة مجنون يسير بضياعٍ يداعب كسرات قلبه ويقضها محاولاً بلعها جيداً ليخرس جوعه أو بلع غصته لإخراج دموعه. أشعر بأن شيئاً يقوم بحلّ حنجرتي، كأنّها

الغصة، هي دائمًا تحب المواساة بطريقٍ عجيبة. قديمًا حين كنت طفلاً، كانت أمي تكتشف بأني على وشك الانفجار حين ترى وجهي ينعقد، وعيني تترقرق تشي بالحزن البحث. لقد كانت تقول لي: إيلك يا صغيري، لا ذنب لقلبك البريء بأن تحمله ما لا يطيق من الدموع. اكتشفت بعد ذلك حين بأن الدموع لا تأتي من العينين. إنما تأتي من عيون الفؤاد. وكلما سُعلت الذكري تفاصيلك أصيّبت عيني بالحمى، ومن هنالك يتفسّى أنفلونزا البُكاء في داخلي. افهميها جيداً. في داخلي، وداخلي ليس كأي داخل. إنه ساحة مليئة بملامح عارية تحت أنفاس الشمس الغاضبة. إنه بُركان مُتعصب.

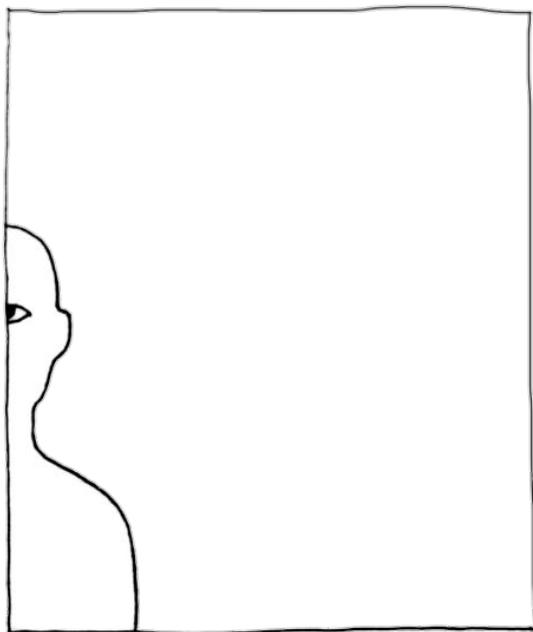


ليتنى استطعتُ البكاء أو الصراخ أو شد شعري إلى الخلف كأى مصدومٍ صفعته حقيقة لم يتوقعها يوماً. في الحقيقة لم أقل شيئاً، لم أحاول الركض إلى نافذتك لأطرقها فتعلميني بأن ما سمعته كانت إشاعة من ثراثرات أبناء الحارة. لا أدرى، لا أستطيع وصف ذلك الشعور، يشبه سكوت الأمواج بعد المدحاج، خشيتُ أن تكون تلك هي الحقيقة، بأنهم نجحوا وحالوا بيننا، وأنك لن تصبحي زهرة ما تبقى من عمري، وأنني لن أشفى من عينيك كلما ابتليتُ بمساة. أرجوك عودي وأيقظيني من نومي إن كان ما أعيشه كابوساً، اصفعيني، افعلي أي شيء. أنا تائهة في حُجْرَة بُكائي، باردةً جداً.. عانقيني. ما زلتُ أتذكّر يوم الخيبة جيداً، أحفظ تفاصيله بكل دقة، منذ بدايته كان غريباً جداً. الشمس تحاول إخفاء أمر ما عني، كلما حاولت التحدث إليها ظهرت بالآنهاك، لقد كان الطقس ساخناً، الناس تتنازل عن إغراءات الحياة التي تحاول في مداعبتهن، وتحت الابتسامة على شفاههم العالقة في سنين الإياب الغائب. لقد كان الجو متعيناً، والأشجار حزينة جداً، الورود منكمشة في ذاتها، والأوراق تبحث عن رحالةٍ تختبئ في جيبي وتهاجر القرية المهجورة رغم امتلائها بالناس. لقد كنتُ أنا أيضاً خامداً للغاية، أحاول ترتيب أوراقي المبعثرة، أو ترتيب فراشي الملقي على الأرض بعشوانية، أو احتسأء كوب القهوة الذي برد وأنا ما زلتُ أنظر إليه بشروود تام، كأنما

أجلس في حلقة حوارات ليس لي فيها سبيل فأرغم على الاستماع حتى ينتهي النقاش. كنتُ غريب الشعور في ذلك اليوم، واليوم بحد ذاته كان يحمل مشاعر عرجاء تحبيه وتذهب ببلاهه، وأتمها شقيقي الأصغر حين أقبل إلي متعثراً متحمسمَا قائلاً وأنفاسه تتقطع: لقد وافقت على عقد قرانها بشخصٍ ليس أنت! كسرت لعبته وصفعته دون شعور. بعد أيام قمت بشراء لعبة جديدة ولم أفارقه حتى غفر لي خطئي. وأنت؟ متى تقومين بشراء قلب جديد غير هذا المتشظي أو تقومين بطلب المغفرة مني! قلبي يؤلمني، ضمديه، كمديه، عانقيه، أو دثريه. افعلي أي شيء لأجله إنه يعاني. أي شيء! أرجوأك.

لم أرجِ منك شيئاً باهضًا سوى أنني كنت أتمنى فقط أن تبقى بقري،  
حيث أكون دائمًا. فأنا الذي كنت لا أرى إلا بعينيكِ، ولا أتنفس إلا  
برئتيكِ، ولا أتحدث إلا بصوتكِ، ولا أغني إلا بحنجرتكِ، ولا أكتب إلا  
بأناملكِ. كنتُ أقول: حذاري تغبي عنِي فأنا دونكِ لا شيء. وحين  
أيقنتُ بأنني أصبح ضعيفاً دون تواجدكِ قررتُ مُهاجرتي مستلذةً بلحظة  
انهياري عن بُعد. رحيلكِ لم يكن أمراً يسهل نسيانه وطريقه من صفحات  
الذاكرة، بل كان أشبه بانزعاج الروح من الجسد. أنا من بعديكِ ميتٌ لأن  
روحِي قد اختبأ في الحقيقة التي حملتها. عودي إلى تعود روحِي. كنتِ  
الضاحكة التي أستفتح بها تفاصيل يومي، والأمل الذي على سبيله أمضي  
دون اعوجاج، والأغنية التي تحملني إلى مجرات النعيم مرحاً، والقصيدة  
التي دونها أحدهم غرق في بحر الهوى، والنصل الجميل الذي اقتبسته من  
كتاب الحياة، والشمس التي تُبلغني وجهتي وتضيء وجداي، والقمر  
الذي يعانق في المساء أسراري المخبوعة، والزهرة الاستثنائية التي تُنافس  
كل زهور البساتين فتفوز دائمًا، والقهوة التي كنت أحتسيها بعشقٍ لا  
ينتهي، والوجهة التي لا أمضي إلا إليها لأنكِ فيها، كنت لي كل شيء،  
وكل شيء أنتِ. أما الآن فلا الأشياء تشعر بي ولا أنا بالذى أشعر بها،  
من بعديكِ لم يعد للروح روح.. ألم غزاها فُقتلت! لقد تشوّهت لحظات  
أيامي جراء براكين غيابكِ، أصبحت حزيناً داكناً كخصلات شعركِ

الليلية التي أدسُّ تفاصيل قلبي المتّعبَة فيها. لقد كنتُ أشعر بأنّ هناك جرحاً عميقاً في داخلي بعد اختلافي بذاتي المُرهقة وروحِي المرّقة بالحزان العنفوانية التي تحجل شغفي بقسوة وجبروت، تسرّب دموعي إلى ذلك الجرح فأزداد ألمًا، أهمس كلّها هاج وجعي: آه، وأنام كالنائم، أو أموت كالميّت، ثم لا شيء يحدث بعد ذلك، ربما لا شيء. أُفكّر أحياناً فيكِ، ولا تكون صريحاً معيِّ فإنكِ ثمكين جُلّ تفكيري بكِ، ودائماً ما تكونين محور أفكار رأسي التي لا تكفي عن التّرثّرة، ولطالما تمنيت لو بإمكانِي صنع قفلٍ لباب أفكار رأسي لأغلقه ونأخذ قسطاً من الراحة. ولكنني سرعان ما أطرد تلك الفكرة لأنّي بين هذا وذاك لا أرتاح إلا بكِ.



بعد خيتي الأولى التي ولدت منكِ، شعرتُ بأنِّي تعرضت لآلف خيانة أخرى، وكل خيانة كانت تحمل وجعًا أشد من سابقتها. لم أعهد أني هكذا، ضعيفٌ أستسلمُ بسهولة بعد هزائمي، ربما لأنِّي لم أنتصر بكِ، آمن قلبي بأن كل الانتصارات التي تحييء من بعدي مجرد مسكنات تُخدر صداع ما يدور في رأسي من معاركِ. لم أعتقد يومًا أساسًا بأنكِ سوف تختفين من أمامي، لن أراكِ على رصيفَ مَا أو تتكئين على حيطان المكتبة، غارقة في نص وجدتني أسفل نافذته أنتظِر إطلالتكِ علىّ منه، فأعدت قراءته مائة مرة فتشعرين بأنكِ قد التقيتِ بي مائة لقاء. أخبرتُ الأقدار بأن تأخذ ما شئت مني حين صادفتها إحدى الليالي وأنا أتسكّع في مرات الليل الفارغة من التفاصيل المبهجة كممرات قلبي تمامًا، لكنها أبَت إلا أن تأخذكِ مني تحديدًا، قبَّلتُ قدميها ويديها كما لم أفعل ذلك من قبل لأحد قط، إلا لأمي! ولكنها مع كل ذلك لم تقبل، فقد كانت صارمة القرار. تسألت عن سبب إصرارها في إحالتكِ عنِّي فأجابتُ: الأشخاص الذين يخشون فراق من يتكون عليهم لن يتعلموا كيف يصبحون أقوياء حتى يستطيعون الوقوف بمفردهم دون سنِّ أو مُتكأ. لكنني أوقفتها بتوسل: ليس من المعيب أن يكون هناك من تستند عليه كلما أهانتنا مكالب الحياة. ضحكت مني بسخرية فهمست قبل أن تتلاشى: لن ينضجكِ إلا فقد، ستتعلم كيف يامكانكِ الوقوف

بمفردك، إِلَّا يَكُنْ لِأَجْلِكَ، فَلِأَجْلِكَ وَلِأَجْلِكَ.  
وَدَاعًا. لَحِقْتُ بِهَا، تَشَبَّثْتُ  
بِإِحْدَى كَفَيْهَا قَبْلَ أَنْ تَغَادِرْ كَطْفَلٍ يَتَشَبَّثُ بِأَمْهِ لَكِيلًا يَتَوَهَّ بَيْنَ زَحْمَةِ الْحَيَاةِ  
الْزَّاَخِرَةِ بِالْمَلَامِحِ الْمُخِيفَةِ بِمَفْرَدِهِ، هَمَسَتْ لَهَا وَعِينِي تَعْزَفُ سِيمَفُونِيَّةُ  
عَزَاءٍ وَتَوْسِلَ وَرْجَاءً: أَعِيَّدُهَا إِلَيْيَا أَوْ خَذِينِي إِلَيْهَا. اسْتَدَارَتْ إِلَيْيَا بِمَلَامِحِ  
عَارِيَّةٍ مِنْ أَيِّ مَعْنَى، صَفَعَتِي بِبَضْعِ كَلِمَاتٍ وَغَادَرْتُ: مَا زَلْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى  
تَجَارِبِ قَاسِيَّةٍ حَتَّى تَصْبِحَ أَقْوَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، مَا زَلْتُ هَشَّا وَالْحَيَاةُ لَا  
تَقْدِسُ الْمُسْعَفَاءَ. حَتَّى الْآنَ لَمْ يَفْهَمْنِي أَحَدٌ بَأْنِي أَسْتَطِعُ مُحَارَبَةً جَيْشَ  
كَمِيٍّ بِمَفْرَدِي دُونَ خَوْفٍ أَوْ قَلْقٍ وَأَنْتَصَرَ، إِلَّا مُحَارَبَةً اشْتِيَاقِي إِلَيْكِ لَا  
أَسْتَطِعُ الانتِصَارَ عَلَيْهَا، بَلْ كُلُّمَا حَاولْتُ التَّخْلُصَ مِنْهَا قَضَتْ عَلَيَّ أَوْلًَا.

## 6 | آب

لقد كان الجميع يعرفني جيداً، وطنٌ وجهي يحمل كل أنغام البشاشة. طبطة وضياد ودواء لكل منكسرٍ ومحرومٍ وموبوء بحينٍ أو خيبة. الآن لم أجد من يتسلل الحرائق التي تأكل داخلي، وتسبح بين أوردي النازفة فتشتعل أكثر. لقد حول الشوق دمي إلى بترول ليتكاثف الاحتراق وينتصر علىّ ويتباهى. كم كنتُ أخاف عليكِ مني جداً، كأن تناامي وخديكِ غارقين دموعاً، أو قلبك يحترق، وكل مطافئ العالم تعجز عن إطفائه. أخاف عليكِ من مزاجي، أولوياتي، وتراتباتي. هأنذا أخوض كل تلك المخاوف بفضلكِ ولم تأتي لإخباري بأنكِ تخافين علىّ منكِ. في هذه الأيام صرتُ أشعرُ بأنني أصبحتُ أعيش حياة أخرى، تختلف تماماً عما تعيشه بقية الناس. أستيقظ مساءً وأنام صباحاً، لا تُغريني الشمس النشطة الأنiqueة بقدر ما يُغريني القمر الذي يتربع على عرش السماء التي لا تكُل عن ارتداء وشاحها الأسود بعدما يُلقي الشفق الأحمر رقصته الأخيرة ويرحل، تسحرني إجالة همساتها بلباقه تختلفُ عن تفاصيل الشمس. ما يُغريني في القمر أنه ذا تفاصيل غامضة، يشبهكِ يا مواجع كثيراً، وبقدر حدة غموضكِ كنتُ أحبكِ لأنكِ أنتِ ليست سهلة المنال بتاتاً، كلما غصتُ فيه شرعتُ بأنني أغوص في عالم غير عالمي ودنيا غير دنياكي، تعالى أهمس في أذنكِ وأقول: كأني أغوص فيكِ، وما أعظمكِ من غوص وما أجمله من غوص. فيكِ أجد ياقوت الحنكة المترافقه باتزان،

وَمَرْجَانَ الثَّقَافَةِ، وَالكَثِيرُ مِنْ صِدْفَ بِلَاغَةِ الْوَعْيِ، وَلَآلَئِ الْفَكَرِ الْمُحَاطِ  
بِمَحَّارَاتِ الْحَصَانَةِ الْعَلْمِيَّةِ الْصَّلْبَةِ. عَلَى كُلِّ حَالٍ دَعَيْنَا نَعُودُ  
لِلْسَّيِّدِ (قَمَرِ)، إِنَّهُ قَاتِمُ السَّمَّاَتِ، كِتَابٌ يَصُبِّغُ فَتْحَهُ، وَإِنْ تُمْ فَتْحَهُ  
يَصُبِّغُ قِرَاءَةَ أَسْطُرَهُ، وَإِنْ قُرِئَتْ أَسْطُرَهُ فَإِنَّهَا مِنَ الْصَّعْبِ أَنْ تُفْهَمُ، وَإِنْ  
فُهِمَتْ فَلَنْ تَسْدِي لِلْقَلْبِ شَيْئًا سُوَى أَنَّهَا (سَتْرِيزِيدُ الطِّينَ بِلِهِ) وَتَبْلُغُهُ تَبَهْهَهُ،  
وَتَخَطُّفُهُ إِلَى صَهَارِيجِ الْغَمْوُضِ، وَمِنْ هَنَالِكَ تَبْدِأُ رَحْلَتَهُ الْغَامِضَةُ لِلْبَحْثِ  
عَنْ ذَاتِهِ الْفَصَائِعَةِ، وَمِشَاعِرِهِ الْمَفْقُودَةِ مِنْذِ ضَيَاعِ.



إن الحروف تنام على فاه مودتي بعمقٍ ساد قلبي بالاضمحلال، كم  
أودُ التحليق عبر أجنبة النصوص الصغيرة التي تعشقين قراءتها إلى  
حيث تقفين الآن فأعانتي تيهكِ ثم أضع نقطة على سطر مأسايكِ، وفاصلة  
صغيرة بينكِ والضيقِ إذ يغزو فؤادكِ الذي أحب نقايه.. لقد كنتُ أشتاق  
إليكِ وأنتِ أمامي، ماذا عن الشوق الذي يستعمر قلبي حين أكون بعيداً  
عنكِ! أخبريني أين المفر، وأنا الذي كنتُ أهربُ منكِ إليكِ، من جفنيكِ  
إلى وجنتيكِ، من شامتكِ السوداء إلى غمازتيكِ، من أحضانكِ إلى معانقة  
كفيكِ، من صمتكِ إلى حديثِ عينيكِ... كم كانت مليئة بالكثير من  
التفاصيل الحزينة عينيكِ، كلما رمشتِ بمراؤحة، انقضَّ قلبي وتناثرت  
أغصان سلامي. كأنْ حُذلان العالم كله يتکوّر فيها، سألتُكِ ذات سكون  
وأنتِ دائحة في دوّامةٍ مجهرولة، تعصف بملامحكِ التي تتعقد ما بين تارة  
وأخرى: بما أنَّ الكثير قد خذلوا قلبكِ الأبيض. ماذا لو كنتِ الوطن،  
وعادوا الذين صنعوا فيكِ الخراب معذرين، أتغفرين؟ انفجرتِ حينها  
كعبوَة ناسفة، لم تتساعلي من أين عرفتِ بما يحول في خافقكِ، رأيتِ عينيكِ  
تحمر، يديكِ ترتعش، وقلبكِ يخنق كأنما صُبِّت على قاعه فيض من  
البراكيين المشبعة بالغضب، نفشتِ ما كان يسمم قلبكِ، صرختِ بوجهي  
قبل إتمام حديثي: لن أغفر، قلبي الحزين تمزق، تحرّق، وتررق.. إن  
الغفران يعد جريمة أخرى وأنا الذي أخشى اقتراف جرائم شعوريَّة.

مُنْتَاقْصُ قلبي، كاللليل إن غاب القمر، مُتَلَجْجُ كالصَّبَحِ دون الشَّمْسِ  
خائِفٌ، مُتَوَرِّ، ذاك الْهَلْعُ شَبُّ يَطَّارِدُ مُهْجِتِي، أين الشَّعَاعُ فَأَقْبَسَ  
الضَّيَاءِ وَأَسْتَمَرَ، وَأَسِيرُ سَاطِعَةً كَالْبَدْرِ حِينَ يَنْوَءُ فِي صَدْرِ السَّهْرِ، وَأَرْوَحَ  
مَغْنِيَّةً شَطَرًا لِفِيروزٍ، أَنْوَحُ مَغْمَعَةً، أَنَادِيَ تَائِهَةً بَيْنَ الصَّخْرَ أوِ الرَّمَالِ،  
أَوِ الْحَجَارَةِ وَالشَّجَرِ... أَصْرَخُ طَوِيلًا: يَا إِلَهِي سَئَمْتُ جَدًّا، فَالْقَلْبُ  
أَصْبَحَ شَاحِبًا، وَالدَّمْعُ غَنِيٌّ مَعَاتِبًا، وَالْأَمْلُ أَفْضَى خَائِبًا، وَالْحَزْنُ فَتَّاكُ  
لَعِينُ، يَلْوِي ذَرَاعَ مَسْرِتِي، يَتَقَبَّلُ شَعُورِي وَبِهِجْتِي، يَرْصُدُ صَرَاعَ  
مَغْبَتِي... بِاللَّهِ يَا سَتَّ الْحَيَاةِ (رَفِقًا)... مَا كَلَ ذاك الرَّكَلَ فِي قَلْبِي الصَّغِيرِ،  
أَيْنَ الْضَّمِيرُ أَوِ الضَّمِيرُ أَوِ الضَّمِيرِ، كَأَنِّي هَذَا الْوَطَنُ، حَزِينَةً لَا شَيْءَ  
يُسَعِّدُنِي، يَعْنِقُنِي، هَلَّا نَسْجَتِ الرَّقَةِ الْبَيْضَاءَ مِنْ دَمِ الْفَقِيرِ، وَالْبُقْعَةُ  
الْحَمْرَاءُ صَبَغَهَا بِالْحُبُّ فِي الزَّمْنِ الْمَرِيرِ، وَطَحَنَتِ بِؤْسَ الْبَقْعَةِ السُّودَاءِ  
مِنْ قَلْبِ الْأَسِيرِ !!

لَنْ أَغْفَرَ، وَصِيَاحُ الْمَرْأَةِ الثَّكَلَى يَهْدِهُ رُوحِي، وَنِيَاحُ الْجَائِعِ التَّائِهِ  
يُزِيدُ جَرْوِيَّ، وَأَنِينَ مَسْنَةَ عَجَزَتِ يَشَظِّ صَرْوِي... قَاطَعَتُ  
صَرَاخَاتِ الْمَتَلَاطِمَةِ عَلَى صَخْرَ الْمَاضِيِّ حِيثُ تَعْجُّ بِكَ الْذَّكَرِيَّاتِ  
وَتَقْلُقُ غَضَارِيفُ ثَبَاتِكِ الْمَهَشَّ: :

– صَدِقِينِي، لَا يَسْتَحْقُونَ أَقْلَى حَتَّىٰ مِنْ ثَلَاثَ دَمَعَةٍ مِنْ عَيْنِيِّكَ الَّتِي  
أَحْشَى ذَبُولَهَا.

ترفعين رأسك إلى السماء، تتدحرج دمعة كريمة كلوّلؤة على بلاطٍ  
باردة، تجلسين بهدوء، فأغمري يدي ييديك. أهمس لكِ:

— انسيهم، أنا معكِ الآن.

أتذكرين حين سقطت منكِ ورقة من كتابٍ كنتِ تقرئينه بتركيزٍ  
غريب، في الحين الذي كنتِ أتمنى لو أنني أحل محله، تتشبّثين بي برعایة،  
تغوصين في، تشارطيني الشعور من أقصاه حتى أدناه. ما زالت حروف  
تلك الورقة تطنّ في قلبي، صراع بيني وبيني يُشنن كلما حنّتُ إليكِ،  
أتذكّرها، وأرغب الركض إلى أحضان صوتكِ كلما ناديتني، إذ أتمنى كلما  
مرضتُ تعافيتُ بصوتكِ، وكلما جرحتُ اندمل جُرحِي بقبلة من  
شفاهاكِ، وكلما سقطت استدمنتُ لأنكِ معي، عن يميني أتّكِ علىكِ،  
وأتمنى لو أن منكِ اثنين، أو ثلاث، حسناً دعياها أربع، كي أراكِ في كل  
اتجاهاتي الأربع، ثم أجوب بكِ لأنكِ عالمي الفريد، وأقول بصوت  
عالٍ: ما شأنكم هي كل شيء لا قبلها شيء ولن يكون بعدها شيء..  
أساساً كل شيء يحيى بعدها بخس لا قيمة له. ألتّفتُ إليكِ ثم أراكِ  
تتمحقين خجلاً حين تتعالى صراغات العالم المجهمر حولكِ، أحاوطيكِ  
بذراعي بدفء، أعيد نظاري إلى أولئك الذين يتّظرون بفارغ صبر إتمام  
الكلام، فأصعقهم بكِ، وأهزمهم بحبكِ، وأسحقهم باعترافي الذي  
أعلنه وأنا أصبح في تورّد وجهكِ: هي باهضة إلى ذلك الحدّ الذي لن تجدوا  
منها اثنين، إنها أيضًا نادرة.. ها هي الورقة أمامي، لا أعلم متى كتبتها،

هل بعدما بعثرت حروف حبي لكِ، أم قبل ذلك يا وردي، غائبة أنتِ  
عني، بل أنا الذي اقترنتُ تلك المصيبة، كل ذلك كان من أجلكِ،  
لأبنيكِ، وأهدمُ المستحيل كلما حاول الاستيلاء على طموحكِ. حروف  
هذه الورقة تركل قلبي يا حبيبي، تخسر على أزقّته العبرات، وتلطم  
ذاكري بالتساؤلات. دعينا نقرأها معًا هذه المرة، أعلم بأنك قد ر بما  
بحثت عنها طويلاً، في الشرفة، أو المكتبة، في الحقيقة وبين رفوف الكتب،  
ما زلت أحفظ بها كي تبخي عنها، لأنك حينها ستعثررين علي، ثم لن  
نفارق حتى تلتقي عيني بعينيكِ، تعرفي بكل ما يشعر به قلبكِ تجاه من  
يعشق كل أرضٍ تطأين عليها. لنقرأها معًا هذه المرة، طالما عثريت على  
المكان الذي تكون في تلك الورقة، وأنا أيضًا، أجلسني أمامي، دعني أقرأ  
نيابة عنكِ، لا تتواري أبدًا، اليوم هو يوم الصراحة، لا تحاولي نهياها مني،  
لأنني قد أعدت قراءتها عشرون مرة، هذه المرة الحادية والعشرين،  
سأقرؤها أنا، وتعترفين أنتِ بما يكمن مضمونها:

"قبل قليل، قرأتُ القليل من رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان،  
ومن ثم بدأتُ أفكِر سارحةً بضياع، راودتني مشاعر متناقضة مبهمة  
غريبة. أول ما قلته بعد انتهاءي من تصفح الكتاب: (ليكن الجميع غسان)  
قالت أمي: عفواً.. أعدت الجملة كرتين حتى وضعت يدها على فمي في  
الكرة الثالثة:

- عن أي غسان تتحدثين... أصمتي لا يسمعكِ أحد..

- غسان الذي أريد أن يكتب إلي وينسيني إياكم وكلمة أحد.. وكلمة الناس، وكلمة عيب، لا تفعلي هذا أو ذاك، وامشي حيث تؤمرین. حسناً أريد أن أكون غادة السمان.. تنهدت بحزن فأضفت: لكتني لن أجد غساناً كغسان، ولن أكون غادة كغادة.. هل تعلمين يا أمي ما هي أمنيتي منذ زمن، هي أن أستيقظ كل يوم على سماع صوت طرقات ساعي البريد ليأتيني برسالة مّا، تنسيني هذا العالم، تجعلني أرقص مع شعوري ووغوصي بين أعماق استكناي، أو أجدها على مقبض النافذة، ثم أبدأ في احتسائها قبل احتسائي للقهوة المرة وأوشمها بذاكرتي جيداً، ومن ثم أوثقها كما فعلا غسان وغادة، تعلمين يا أمي بأن ثمة أحرف تبنينا، تجعلنا نحيا من جديد بعدها أماتتنا أخرى سابقة، تضمّدنا، ترسّب ما لصق بأفتدنا من عناء، ولكن هذا العالم بخيّل جدّاً، لا يستطيع أن يكون كغسان كنفاني.. يكتب إلينا.. يواسينا!... أعلم يا أمي بأنها أمنية غبية بالنسبة إليكم.. كما قلتم سابقاً بأن لفتي لاستنشاق رائحة بحر أو وردة حمراء حقيقة أمرٌ سخيفٌ وكما أضفت بآني متأثرةٌ إزاء الكتب والروايات الخيالية.. أمانينا بسيطة. بسيطة جداً..

لكنكم تطقونها بالجلافة العاطفية، على كل حالٍ يا أمي لن أطيل عليكم. لكِ أن تعلمي بأن أمنيتي بعد الآن هي أن يكون نصف العالم غسان ونصفه غادة، تواصي بالرسائل ونتعانق بالنصوص! صدقيني سوف يكون بأمان. بأمان جدًا.."

نظرتُ إلى بحر عينيكِ المائجح، وضعتِ كفيكِ على وجهكِ الذي  
ارتسمت عليه كل تفاصيل الحُزُن اللعين، شعرتُ بأن دموعكِ التي  
انهمرت كانت كالقاذفات التي ترَّخَّها السماء على ثوب الوطن البالي،  
خشيتُ التقدم إليكِ، خشيتُ إحداث علاقة طردية سخيفة، كلما  
خطوت خطوة، كلما ذرفتِ عشرات الدموع فتتوسد الثقوب ثوب قلبي  
فأنهار أمامكِ عاجزٌ عن مواساتي لكِ، وتنكمشين عاجزة أيضًا عن  
مواسات قلبي وقلبكِ.

همستِ لي حينها وشهقاتكِ تتلاحم:

— قبل أن أعرفك... كتبتها!

— ماذا عن الآن!

— تحققتِ أُمنيتي!

— لكنني لم أكتب لكِ يومًا

— كفيلة لغة عينيكِ في إخباري عن كل ما تود قوله لي!

جلستِ أمامكِ لأقصف تلك الدموع من ساحة خديكِ، وضعت  
قبلة على جيئنِكِ، عانقتِكِ إلى وأنت ترتعشين:

— منذ زمن لم تشعرني بالأمان يا حبيبة الروح، أشعر بكِ صدقيني..  
يراؤدكِ الحزن من كل حدبٍ وتقذف بكِ المأسى إلى هاوية الارتعاب،

أشعر بكِ، خانكِ العالم، وامتلاً فؤادكِ بالكثير من لدغات الخيبات السّامة. عانيتِ، عانيتِ جدًّا، أراكِ تنجيني الأحزان كل يوم، وتجهضين السعادات في اليوم آلاف المرّات، كنتُ عاجزًا عن إسداء ما يقيقك سعيدة، وقد أظلت كذلك ولكن من الآن فصاعداً سأكتب إليك الرسائل كل يوم، ربما قد أكون استطعت إ يصلح حبي لكِ، ومواساتي لأوجاعكِ.  
يؤلمني ما يؤلمنكِ، يبهجني ما يبهجكِ.

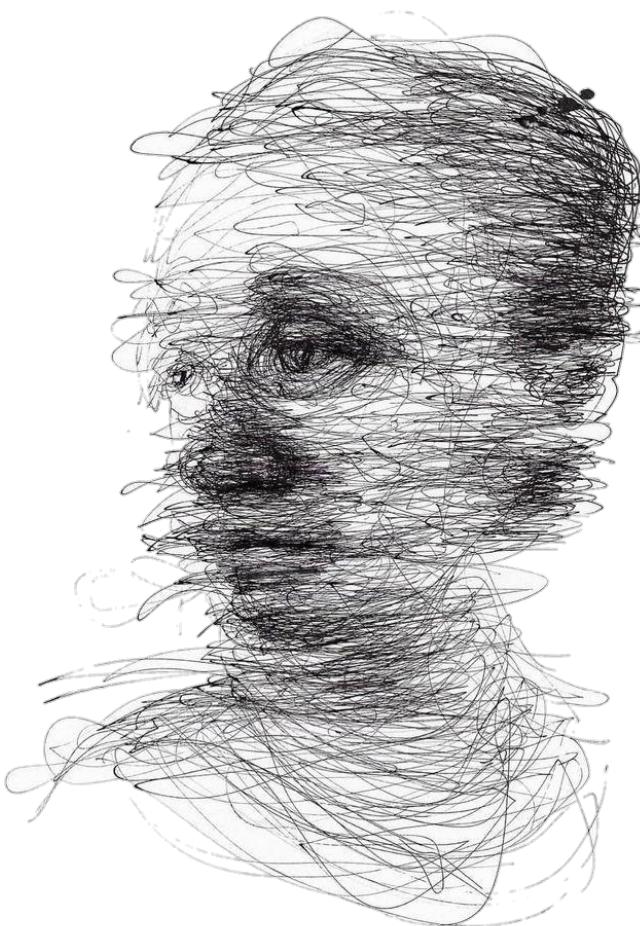
قابلتُ وجهي بوجهكِ المحمّر المتّفخ جراء البكاء الذي سأحرّبه لكِ لا يقترب منكِ، ثم ابتسمت وأنا أدس أناملِي بين خصلاتكِ السوداء، وأحتسي البن من عينيكِ:

– كل صباح سستيقظين على صوت طرقات ساعي البريد ليوصل ما كتبته إليكِ.

ابتسمتِ فخبارٌ رأسكِ في صدري:

– سأنتظركِ كل يوم.

إلى تلك البعيدة: غسانكِ أنا وغادتي أنتِ..



هناك في زاوية قابعة بالظلام. كان يرصد حلمًا لكنه لم يكن يحمل قلماً، ولم يُنجي وجهه القاحط على صدر ورقه، ورقه فقيرة، عارية الحياة، زاهدة الألم. لقد رأيته ينحدر ذلك الحلم على وجنتيه، من حبر عينيه، وارتلاشة كفيه. لم أهم في التقدم إليه، خشيت أن أكون سبباً في منعه للوصول إلى ذلك الحلم، أو أكون لحظة عاصفة مقيدة، تقطع خيط الوصول فيبقى بلا أمنية. تقدمت بخطى واهية إليه، سأله بجمود: ماذا حدث لحلمك هل تتحقق؟ سخر ضاحكاً: لم أكن لأحيي حلمًا بل لأقتل حلمًا! صدقني هذا العالم لا يؤمن بالأحلام، سيماء عندما يكون حلمك امرأة، سيفيرونك بالجنون، ويعتونك بالحماقة حتى يحيروا بينك وإياها... (حسناً صفع قلبي فمضيت).. مضيت إلى حيث لا أدرى، كل الاتجاهات مخيفة بل كأنها فارغة تارة ومليةة بالناس تارات، إن الشعور بالحنين حنين آخر، والشعور بالألم آخر، والشعور بالوحدة وحدة أخرى، والشعور برغبة البكاء ليس بكاء آخر بل ندبة أخرى وحزن آخر، الشعور بالخسارة خسارة أخرى يا مواجه، كلما تذكريت بأني خسرتِك شعرت بأني للتو خسرتِك، وهكذا أصبحت مُتخماً بالكثير من الخسارات منذ أن أفلتت كفكِ عني، ربما كان علي أن أقاوم لأجلكِ، وربما كان علي أن أحارب حتى آخر نفس، ربما أنا لا أليق بكِ لأنني لا أملك تلك البسالة التي أواجه بها ضد كل من يحاول خطفكِ عني، كم أشعر بالخجل منكِ. حين

أصادفكِ يوماً ما في محلألعاب تقومين بشراء لعبة لصغيريكِ أين سأخبئ وجهي منكِ، أين سأخفي تفاصيل السنين التي أنجبها قلبي بعدهكِ، كيف ستقاومين نبضات قلبكِ حين تخبركِ عيني بأنني ما زلتُ أنتظركِ، وفي الوقت ذاته أنتظركِ أيضاً. يا إلهي من تفكيرات الليل كم هي جريئة، انظري إلى أين أوصلتني، إلى محطةِكم أخشى الوصول إليها، كأن أراكِ تقفين بالقرب من صغيريكِ الأشقر بنّي العينين يلوّح لشخص ليس أنا، ويصبح بصوت مليء باللهفة(بابا) وألوح له أنا ولكن من خلف النافذة، بل من خلف الكواليس، وأبتسّم من خلف باب قلبي وأرحل مرة أخرى وأُقتل مرة أخرى، وأتمنى الرحيل إلى السماء ألف مرة.

كالعادة يا مراجع، حين أعود إلى متزلي أهرب إلى غرفتي بسرعةٍ كمن اقترف جريمة. ثم أركض نحو المنضدة لأنقي تحتي للقلم والورقة فآمرهما أن يأخذاني إليك. إنها الوسيلة الوحيدة التي تستطيع إيصالى إليك، كمن يقف أمام النافذة ينظر إلى من هم في الداخل ويعايشهم تفاصيلهم ويشعر بهم لكنهم عكس ذلك. سأخبرك بإيجاز: حين غبت عنى غاب كل شيء مني، فبقيتُ بعده تائحاً بيني وبيني، طريحًا على فراش دمعتي، أقصى لقلبي حكايات قيس لليلي، وأثنى له بعضاً من خوالج غسان كنفاني لغادة السهان، ثم أخبره بأن غسان ذاك يضع على تلك الجروح ملحاً كلما أوشكت على الالتفاف وفي الوقت ذاته أشعر بأنه يحاول مداوائي بحروفه وجزالته ورصاته العاطفية الجياشة التي تحرف ما في الأعماق إلى روح قارئ عطشٍ إلى ورقة كانت من أعظم ما قرأ فشقّها عن الكتاب ليحتفظ به أينما توجه فيفقدها بعثة... أحدثه عن انفلاق فؤاد محمود درويش بعدما علم بخيانة ريتا، ثم شعر بأن موطنه قد تم احتلاله من جديد... أخبره بأنني دونك ضامرٌ، بلا تنفسٍ، بلا سمسٍ، بلا حرية.. كلما حاول عقلي أن يتعايش مع الواقع عارض قلبي رافضاً بآلا يعيش واقعاً ليس أنتِ. ذات مرة نسيت دفتر مذكراتك على طاولة المقهى، تعلمين بأنني فضوليًّا للغاية، لذا فإنني قد تصفحته، وقعت عيني على الصفحة العاشرة، كتبت فيها: "الذي سيشاركني ما تبقى من عمري يا

أُمِي، أَرِيدُ أَنْ يَكُونَ شَخْصًا مَنْعَلًا، يُعْشِقُ الْكِتَبَ، وَالْقَهْوَةَ، وَالْمَدْوَءَ، وَالْقَلْمَنْ. أَنْ يَمْلِكَ دَرَاجَةً تَأْخُذُهُ إِلَى وَجْهَهُ الْاعْتِيَادِيَّةِ وَيَصْطَبِّنَيْ مَعَهُ كَلْمَاهُ شَيْئَتْ، وَأَنْ نَقْطُنَ فِي مَنْزِلٍ شَرْفَاتِهِ صَغِيرَةٌ جَدًّا يُطْلَعُ عَلَى بَحْرٍ مِنْ اِتِّجَاهٍ وَبَسْتَانٍ مَلِيءٍ بِالْوَرَودِ مِنْ اِتِّجَاهٍ آخَرَ، أَنْ يَكُونَ وَاعِيًّا غَامِضًا، وَفِي الْوَقْتِ ذَاهِهٍ وَاضِيَّحَا مَعِيْ فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ، فِي حَبَّهِ لِي. أَنْ يَكُونَ بِسِيَطًا لِيْسَ بِالْمَهْمَمِ أَنْ يَكُونَ ثَرِيَ الْمَالِ، الْمَهْمَمُ هُوَ أَنْ يَكُونَ ثَرِيَ الْفَكْرِ. يَكْتُبُ إِلَى كُلِّ يَوْمٍ رِسَالَةً، وَيَقْطُفُ مِنْ أَجْلِي كُلِّ يَوْمٍ وَرَدَةً، وَيَرْسِمُ عَلَى مَرَآتِي الْكَلْمَةَ ذَاتَ الْأَرْبَعَةِ الْأَحْرَفِ كُلَّ صَبَاحٍ. يُسَمَّيُ أَطْفَالَنَا بِأَسْمَاءِ أَبْرَزَ شَخْصِيَّاتِ الْرَوَايَاتِ الرَائِعَةِ الَّتِي تَرَكَتْ فِي كَلِّيَنَا أَثْرًا، وَأَنْ يَنَادِينِي بِالنَصْوَرِ "وَيُوقَظُنِي بِالْقَصَائِدِ"

الغياب يُحدث ثُقباً تنساب كل الأحزان عبره حوزة أملنا المنبوذ  
العائد إلى رغد ملجأه للتو، حتى تمضي عليه وتذوسيه وتهربه وتقتهله!  
لقد كان رحيلك أشبه بخبر الوفاة. شيء هنا، في أيسري قد ارتطم بحائطٍ  
مَّا، ربما كان أحد حيطان الموت، شعرت به تكشف قليلاً، ثم تصدع بعنته،  
فتبعثر على شفاه الحياة المأسورة لدريك، فقبلها، فاختفت أنفاسها وعينيها  
ناهت، فنامت. حسيبي عليك جداً، آسفٌ، ولكن حقاً حسيبي عليك  
وغيابك. لم تقتلني مرة واحدة، بل قتلتني ألف قتلة وما زلت. لم تمضي  
على قلبي فأحرقته فقط، بل قضيت على ابتسامتي، أحلامي، شغفي  
وطموحاتي. أدركتُ ولكن بعد فوات الأوان بأن الانكسار يأتينا على  
هيئة حُبٌّ، الموت على هيئة حياةٍ، وال الحرب على هيئة سلام، وتأتيني أنتِ  
على هيئة نجاة، أغرق فيك فتر حللين وأنتِ طوقي.. لماذا؟! كنتِ تقولين  
لي كلما شكوتُ من صداع في رأسي: احتسِ القهوة فإنها عدوة الصداع،  
فاحتسيها اتباعاً لأوامرك يا لطف أمي، وعطف أمي، فتضعي القهوة على  
الصداع ويكون هناك انتصارين، القهوة على صداعي، وأنا بعينيك حين  
تضحكين فتلذزيني بمزحٍ: ألم أقل لك، أساساً لولاي لما قُضي على  
صداعك، فأقول لك بهدوء: لو لا الصداع لما فزت بجمال عينيك  
الساحرة، ولما تهت بين أعشاب رموشك التي لا يرتقي يومي إلا إذا  
رأيتها تترافق كأنها السنابل يا سنبلة قلبي، ويومي، وغدي وأمسى،

وَكَلِيْ وَبَعْضِيْ . آهْ يَا مَوَاجِعْ ، الصُّدَاعُ فِي قَلْبِيْ هَذِهِ الْمَرَّةِ ، وَأَلْفَ كَوْبَ قَهْوَةِ  
لَمْ يَسْتَطِعِ الْقَضَاءُ عَلَيْهِ حَتَّى الْلَّحْظَةِ . لَا شَيْءَ سَيِّشَفِي هَذَا الصُّدَاعُ إِلَّا  
أَنْتِ ، أَخْبَرِيْنِي هَلْ سَأَظْلَلُ مَصَابًا بَشَارَسْتَهُ إِلَى الْأَزْلِ ، أَمْ أَنْتِ سَتَقْطُعِينِ  
الْمَسَافَاتِ الطَّوِيلَةِ وَتَرْكِينِ كُلِّ شَيْءٍ وَرَائِكِ وَتَخْذِلِينِ الْعَالَمَ لِأَجْلِيِ وَتَأْتِينِ  
لِتَضْعِي الْكَمَادَاتِ عَلَى جَبَنِي فَتَدْمُعُ عَيْنِيْ وَأَهْمَسُ لَكِ وَأَنَا غَارِقٌ فِي  
الْحَمَّى وَالْأَلْمِ : هَلْ أَخْبَرْتِكِ مُسْبِقًا بِأَنِّي تَشَبَّهِينِ أُمِّيْ ؟ ! تَضَعِينِ أَنَّا مَلِكُ  
الْمَلِيَّةِ بِعَطْفِ الْعَالَمِ فَتَخْرِسِينِ هَمْهَاتِيَّ الْمُتَعْبَةِ ، فَأَهْمَسُ مَرَّةً أُخْرَى : لَقَدْ  
فَقَدْتُ الْحَيَاةَ فِي الْحَيْنِ الَّذِي فَقَدْتُ أُمِّيْ ، أَيْرَضِيْكِ أَنْ أَفَقَدُ الْحَيَاةَ مَرْتَينِ ،  
أَلَا يَحْقِلُّ عِيشُ الْوَهْمِيَّةِ عَلَى الْأَقْلَى ؟ !



ولأنهم لا يحبون رؤيتي سعيداً أبعدوه عنّي، ولأن ابتسامتي تخنقهم قرروا أن يقتلوها إلى الأبد، ثم تركوني لُحْنِي، منزلاً عن وجه العالم المخيب للأمانِي، خائفاً قلقاً، وفي الوقت ذاته مطمئناً مليئاً بانشراحِي، في الحقيقة لم أعد أملك شعوراً دعيني أكون صريحاً ولا أكذب عليكِ، لذا أنا شبه إنسان، شبه حيٍّ، شبه مساعر. كل الحياة أصبحت شفافة، أرى عبر ستارها نهايتي الحزينة، أعبر وحيداً لأجي، ولا أحد من الذين أخبروني بأنهم سيبقون معي إلى الأبد بجواري. لقد قررتُ الاختفاء إلى ثمة منفي. لممْتُ أشلائي، وحملتُ جثتي على إحدى كتفي، وحقيقةي المليئة بلا شيء على كتفي الآخر، أقيتُ نظرة أخيرة على شرفتي التي كنت أطل عليكِ منها كل صباح حين أراك تحلقين كالعصفورة إلى وجهاتِك التي أغارت عليكِ منها ومن فيها. ألقي نظرة أخرى أيضاً للمنزل الذي أيقن بأنني حقاً قد مت لأنعدام صدى صوتي وتماهيه، وقبلة لرأس أمي التي أهلكها حزني أكثر مني، ودموعة سمعت ضجيجها على أرضية محل العِم (علي) الكفيف، الوحيد الذي كان يحدثنِي عن جمال الحب، ويخبرني بأنه وإن كان قاسياً فإنه ابتلاء ولكن من أللّا ابتلاءات، ولطالما حدثني: إذا أرادكِ القدر لها فلن يمنع ذلك شيء، وإن لم يرد فأيضاً لن تحدث هناك أي معجزة، لا بأس بأن نحب ونعيش ذلك الشعور بكامل جوارحنا، ولكن ينبغي علينا أيضاً الاستماع إلى صوت المنطق الذي يخبرنا

بأن ليس كل التوقعات قابلة للتحقيق، أي أنه لا يجب علينا إهلاك أنفسنا بالتوقعات المفرطة لأنها تخلق خيبة أمل كبيرة عندما لا يحدث منها أي شيء، الحياة يا بُني لا تسير حسبي نريد، ولا نحن بالذين نمضي حسبي هي تريده، كلينا معتقدون لدى حكمة القدر، حتى وإن لم نقبل بها تقرّه علينا فإنه يتوجب علينا معايشته قسراً عنا" لقد دعّت كل شيء في ذلك اليوم حتى نفسي، وتركت كل شيء ورأيي حتى ابتسامتي التي كانت تصرخ كطفل غادر والده مسافراً إلى عالم آخر بعيد، ولكنه لن يعود هذه المرة. لقد غادرتُ كل شيء لعلك تغادررين ذاكرتي. بالنسبة لي أنتِ بعد الآن عبارة عن خيبة. خيبة ولا شيء بعد ذلك. عمتِ أمّا.

## 12 | آب

بعض الأمنيات وإن كانت بسيطة لا يمكننا تحقيقها، كأمنيتي الصغيرة التي أخبيتها في جيب قلبي لثلا تصريح بين زحمة الأحزان. أن التقييك ولو كان ذلك بالصدفة. مراجع، هل أنت تشعرين بها أشعر، قبل أيام قرأتُ بأن القلوب المحبة تشعر ببعضها، هل تأتيك وخزة في قلبك كلما راودتني وخزة، دموعك هل أصبحت روتينية تحيء وتذهب على سطح وجهتك كما يفعل ساعي البريد كل صباح، خصلات شعرك هل بدأت في التساقط، جفناك يولد من رحمهما الليل، قلمك أصبح عاًقاً، كلما حاول الكتابة عنك أو عنني اكتفى بالبكاء. لقد ماتت مشاعري يا مراجع، الجزء هذا الذي يثرث بخفاقه في داخلي ليس إلا جزءاً أصبح من نسلِ العدم. لا تقولي يجب أن نرضى بالواقع، وأن نرمي أوراق الماضي خلفنا ونمضي ونحاول فتح صفحة جديدة. لا تقولي: عش أيامك ولحظاتك لا تقتل اللحظات الجميلة بي، فإني لا أود رؤيتك إلا سعيداً. أساساً لم يعد هناك ما نعيشه، إننا هنا نستشعر فقط، وقد يأتي ذلك اليوم الذي يزهق ذلك الشعور منا ويغادر، ثم نقول مرة أخرى: ليس هناك ما نعيشه أو نستشعره! لا تقولي: لا تشتق لي، انس مراجع، واقتلاها من قلبك. فإن قتلتك من قلبي فأين سأدفعك؟ في قلبي أليس كذلك، أرأيت بأنني لن أنجو منك، كلما حاولت الفرار منك عدت إليك. ولا تسأليني كيف حالني فأنت حالى، وأنا المصاب بك، تفاصيلك تتفشى في وتنهش مني

كفيروسٍ تراوده رغبة التخلص من وقع عليه. يقول محمود درويش يا مراجع: "لقد استنزفَ الطريقُ الطويلُ مشاعري وتوقعاتي.. لا أشعرُ الآنَ بشيءٍ ولا أتوقعَ شيئاً" يتتبّعني ما انتابه وربما أكثر من ذلك، لم أعد أؤمن بالتوقعات، ولا بالتخيلات البلياء التي تترجمها مخيلتي، لم أعد أتمنى شيئاً سوى أن أنام بعمقٍ كطفلٍ في الثانية من عمره. على كل حالٍ يا صاحبتي، إن كنتِ تفكرين بي كثيراً فرقاً بي وبكِ، لأن كل ما تشعرين به أشعر به، أعلم أنني قلتُ قبل ثوانٍ بأني لم أعد أشعر بشيءٍ، لا أدرى، ولتكنِ على حين غرة سأجن، وإن كان التاريخ سيكتبني مجنون مراجع فذلك وسامٌ سابقٍ على صدري حتى الفناء أو حتى ألقاكِ..

كتبت إليك رسالتي العاديَّة ذات يوم، وذكرياتك بها كتبتُه في إحدى مذكراتك، كنت أود إخباركِ بعد علامَة التنصيص أني قد حاربتُ مشاقِ الأيام حتى حققت ما تمنيَّته، انعزلتُ عن العالمِ كله، عن الأصدقاء، والعائلة سطحية التفكير، والجيران، والحرارة، والأصدقاء الذين تغريهم الحياة إلى حد أنهم متشبثون بها حد الجنون. بعد ذلك أتعلمين ما الذي فعلته، قررت بناء منزِلٍ بعيد على شاطئ بحرٍ حكيم، في عينيه أسرار، وفي لسانه نجاة، وقلبه كنزٌ، وأنا وأنت سنكون نُزلاً لديه ولكن إلى الأبد، أَتَوْدِين معرفة ما يكمن في صندوقِ الكنز، حسناً سأخبركِ ولكن ليس الآن، لأنَّي إن أخبرتكِ فلن تظل تلك مفاجأة، أعلم بأن تلك المفاجأة من الأساس قد فشلت، وتعانقتُ وإياها نصاحك تارة ونبكياتارات، مشاعر كلينا ممزوجة بالصدمة وقلة التحمل لأيِّ ألم آخر. بنيت ذلك المنزِل يا حبيبة، بيدِي هاتين، تعالى لأريكِ آثار الماسمير والمطرقة. أمنحُ، لا عليكِ من يديِ الداميَّتين المليئة بالخدوش والخدمات، تعالى أُرِيكِ ما نحْتُه على بابِ منزِلنا الخشبيِّ، لقد وشمْتُكِ، رسمتُكِ فيه، كي تنزاح كل مخاوفي حين أراكِ، وتتوردِ أيامِي حين يُنْبَلِّني حزن. وضعْتُ رفوفاً خشبية، ملأُّها بالكتب، اشتريتُ دراجة، زرعت ورداً، رسمت على المرأة الكلمة ذات الحروف الأربعَة، قرأتُ خلال سبعة ليالٍ عشرين كتاباً، وقررت أن أصبح كاتباً، لأجلكِ، السيناريُّو الذي رسمته في مخيالي، أدمعني بهجةً،

لكنه سرعان ما إن تلاشى، حين عدت إلى القرية بحثاً عنك كي أخبرك بأني حققت بعض ما تمنيته، فلم أجده، بل وجدت بعده خيبة قاتلة، حين قالوا رحلت مع رجل، ليس أنت.



## (رسائل)

في هذا العالم المُتقل بقصصِ الخائين، ثمة رسائلٌ تُكتب لتخدر  
الجراح أو تشفيها تماماً...

أصحاب القلوب المُتغاضية حديثاً يتماشون مع مفعولها فيتعارفون  
وينهضون من جديد...

أما أصحاب القلوب التالفة، الذين تغاضوا كثيراً، ورصفوا كل ما  
آذاهم ورائهم فحاولوا العبور دون التفاتة فلا تُعْنِي ولا تُسْمِن من  
أمل...

تزيدهم ذبولاً لا تورّداً، ضعفاً لا قوةً، خوفاً لا أماناً...

ولكن ثمة رسائلٌ تُكتب لكنها لا تصل، وثمة دموعٌ تعزف ولكنها  
لا تُسمع، وثمة بكاءً يُصْفِق ولا حياةٌ لمن تُنادي... يكتب الناس إلى  
بعضهم بعضاً، أما أنا فأكتب عنكِ مني إلى لأشفى منكِ، أو أنساكِ، أو  
ألقاكِ...

## (عابرة)

أغمضت عيني، فاستلقى على وسائل السكون قلبي... وجدتِكِ  
على رصيف الشطر الأول، اللحن صوتِكِ، والكلمات أنتِ، والموسيقى  
ضحكتكِ...

ترَبَّع الشَّطَرُ الثَّانِي، فوجَدْتُنِي دُونَ شَعُورٍ أَجُولَ بَيْنَ مَتَاهَاتِ  
شُرْفَتِي، أَحَاوَلَ مُحَارَبَةً تِلْكَ الدَّمْعَةَ الَّتِي تَشَحَّذُ اسْتَبَسَاهَا ضَدِّي...  
...

وَحِينَ تَعَالَى مَوَالِ الشَّطَرِ الثَّالِثِ، تَوَجَّهْتُ نَحْوَ بَابِ شُرْفَتِي الَّذِي لَمْ  
يُفْتَحْ مِنْذُ شَهْوَرَ لِأَفْتَحْهُ وَأَغَادَرْ، وَبَعْتَةً رَأَيْتُكَ عَلَى لَائِحَةِ الْعِيَادَةِ،  
وَتَنْظِيمِينِ سِيرِ الْمَرْوَرِ، وَتَقْوِيدِينِ الشَّاحَنَاتِ، وَتَبِيعِينِ الْأَيْسَكَرِيمِ  
وَالْعَصَائِرِ الْمُثْلِجَةِ... حِينَهَا تَهَتْ حَقًّا، أَينَ سَاجِدَكَ مِنْ بَيْنَ كُلِّ تِلْكَ  
الْوُجُوهِ الَّتِي أَرَاكَ بِهَا، الْعَابِرِينَ أَنْتِ، وَأَنَا التَّائِهُ بَيْنَ كُلِّ أَوْلَئِكَ الْعَابِرِينِ  
يَا عَابِرَةً!

## (شوق)

أَنَا الْلَّيْلُ الَّذِي نَالَ الصُّبْحَ مِنِّي، أَسِيرُ مَوَاسِيًّا ظَلِيلًا الَّذِي اشْتَاقَ لِعِنَاقِ  
مَعْ ظَلَلِكِ... تَرْفَرَفَ أَجْنَحَةُ شَعُورِي بَيْنَ أَفْلَالِ الْأَزْقَةِ، بَحْثًا عَنْ رُزْنَامَةِ  
هَمْسَكِ، تَارَةً أَمْضَيْ وَأَقْفَ تَارَاتٍ لِيَأْخُذْنِي تِيَارُ الْهَوَى إِلَيْكِ، آهُ، مَا أَقْسِي  
أَنْ أَجْدُ نَفْسِي وَحِيدًا، فَارْغًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى مِنْكِ. وَكَمْ يَطْحَنْنِي أَلْمُ  
الْأَمْلِ الَّذِي يَبْكِي فَأَعْجَزُ عَنْ مَعْرِفَةِ مَا يَشْتَكِيهِ، جَلَّ مَا أَعْرَفُهُ هُوَ أَنَّهُ يَحْنُّ  
إِلَيْكِ، فَلَا دَفَئًا سِيَّاً وَيْهِ إِلَّا دَفَءُ أَحْضَانِكِ.. عَوْدِي إِلَيْهِ وَمِنْ الْوَجْعِ  
انْتَشَلَيْهِ...

## (أهواك)

دوائي حضوريٍّ ورحيلكِ دائنيٍّ، أهواكِ قدر محبة الأرض للشمس،  
والعشاق للقمر، وطني الذي أنتمي إليه أنتِ، كم أبدوا غريباً دونكِ لأنني  
وضعتُ هويتي في جيب عينيكِ، والآن أنا بلا هوية، بلا تذكرةٍ أو تعويذة  
سحرية، تأخذني إلى حيث تطأين فأخطفكِ فأهرب بكِ، إلى حيث لا  
أدرى... المهم أن نكون معًا، وإن كان ذلك العالم ليس عالماً.. كم أودُّ  
إدخال يدي إلى فؤادي فأنتزع قلبي ثم أقوم بتعقيمه منكِ فأعيده نظيفاً  
من تفاصيلكِ التي تضيّبُ صفوتي... وكم أودُّ إغلاق صنبور عينيَّ  
الذي لا يكُفُّ عن الخير والبغاء الحزين... وفيَّ أنا إلى حدٍّ أَنَّ رغم  
معرفتي بخيانتكِ العُظمى.. أهواكِ

## (عودة)

قررتُ أعود إلى ملبي، أُعانق أحلامي مجدداً، وأطرق نافذة صديقي  
(الشغف) صباحاً، ثم أنتظره على درجة الإصرار، فنمضيا سوياً، نُغنى  
بين عوالم (المغامرة) الملونة، نحتسي القهوة على طاولة العُمّ (نسيان)،  
ونأكل الرغيف من أكفَّ الأم (إرادة)، ثم نذهب إلى حقل الجدّ  
(تجاوز)، نقطفُ وردة (أمل) ونرقص رقصة (التفاؤل) بين أغصان  
(الحُبّ)، قررتُ أخبيكِ في روحي حتى تعودي، ليس لأنني لم أشعر  
بخيتكِ، بل لأنّي بآني لم أنكِس بعد غيابكِ...

إنما ازددتُ قوَّةً إذ قمتُ بخيانتكِ فوقعْتُ في حبٍ (ذاتي) من  
بعدكِ...

## (أنا أنتِ)

أنا التائه في صحراء وجنتيك، الغريق في بحر عينيك، العالق في مأزق غمازتيك، المخبوء في دفء كفيك، المتجول ما بين حاجبيك، النائم على نهارق رمشييك، أنا أنتِ منذ عرفتاك وتلامست روحي بتعومة يديك.

## (أوراق)

خاننا الأصدقاء، الوطن ونحن أيضاً...

قمنا بخيانة أنفسنا بعد أن منحنا الحب الذي تستحقه لغيرها...  
أويناهم، واسيناهم، تشبثنا بهم وإلى قمة الأحلام أوصلناهم، ومن هنالك تركونا، نقع إلى جحيم الألم (فغادروا)... تبأً لزيفهم!

لا القصائد أسعفتنا، أو النصوص ضمَّدتنا، بل كلما شفينا إلى المأسى أعادتنا.. فبكينا، ثم رقدنا تحت رفوف الأئنْ نُغَنِّي أحدوثة، فهمستنا (ستشرق الشمس من جديد يوم غدٍ) فابتسمنا ونمنا تائهين في بحر الأماني المؤجلة حدَ الانقراض...

ومن هنالك ما خبأ بوحنا سوى الأوراق، وما قبل الأوراق إلا بوحنا، على الخدين تماماً... بتواضع ودلال!

## (لستُ)

لستُ آسفاً أبداً على أي شيء، فقد كنت حريصاً على ألا أتسبب في حزنك يوماً كحرصِ الأم على صغيرها خشية أن يتناول قطع الشوكولا وهو مصاب بالسكرى، لستُ حزيناً لأنك غادرتِ مع شخص ليس أنا، أنا حزينٌ لأنني الآن أقوم بburial التخيلات التي رسمتها معلِّك في مقبرة قلبي بعفْنٍ لم أعهدُه من قبل، على الرغم من اعتمادى المفرط بها لأن كل تلك التخيلات كانت أنتِ... لستُ نادماً لأنني وقعتُ في شباكِ حبكِ، أنا نادمٌ لأنني كنتُ طيباً بإفراط، لدرجة أنني وقعتُ في فخٍ اعتقاداتي فعلقتُ هناك أستتجدكِ، لكنكِ لا تسمعيتني، لستُ منكسرًا، ضعيفاً أو مهزوماً لأنكِ لم تبقي معي، بل لأنني لم أبقَ أنا معي، رحلتُ فتركتُني وحيداً تائهاً دوني...



## (نافذة)

النافذ المغلقة التي تطرد خيوط الشمس المشاغبة كل يوم تُخْبئ  
خلفها قلوبًا مجحفة بالإعصارات المدوية... تلك التي أصبحت حَقًا لا  
تنتظر شيئاً سوى أن يمضي العمر سريعاً فتستريح من كدر الحياة العالية  
في زئبق ذكري... لم أعد قادرًا على مواربة نافذتي الوحيدة، ما الفائدة من  
ذلك طالما لم تكن هناك ابتسامة تتصنع فؤادي وتُلأئه بينما تطلين كالربيع  
على نافذتك (البرينسيس) ثم يُصبح لحزني الليلي خريفاً مُباغتاً، فيخر  
منسحباً بعد أن يراكِ...

أخشى فتحها فتصبحني امرأة تسعينية حلت مكانك تجاعيدها المسنة  
تشبه قلبي الذي تقدم إلى عمر الشيخوخة بألف خطوة بعده.. صباح  
الغياب، أحنُ إليك!

## (انخِمَاد)

الكثير من الأولويات التي لم أقم بتنفيذها بعدِ، كتب لم تقرأ، وفهوة  
لم تُرْتَشِفْ، وقميص لم يُرْتَدَ، وصديق لم ألتَقِ به، وقلب لم يُضْحِكْ...  
مبعُرْ جَدًا، أفكاري ممزوجة بالضجيج، أهدافي واهية، وشتابي صاحب،  
وعقلي يغرق، ربها في بحر التساؤلات، لا أدرِي... إِنِّي مصابُ بحمى  
الانخِمَاد لا صوت لشغفي ولا صدى. أُحَاوِل ترتيب شُرْفَتِي مراًّا مع  
أنها تخلو من الفوضى، وأُوَدُّ عَلَى آخر المطاف لو بإِمْكَانِي الهجوم على قلبي  
المُبْعَثِرْ فَأَرْتَبِه ...

كل شيء فيَ يعاني منِكِ، وكل شيء فيكِ يعاني منِي (ربها)... لا بارك  
في من حال يبَنِنا وتسَبِّب في كل هذا يا مواجه!... قولي: أَمِين، وأَطْفَئي  
الشَّمْوَعَ ونَامِي... ولا تبكي!

## (مراجع)

استيقظتُ صباح يوم الدمعة، مُبتسماً بشأقل، أكذب الحقيقة وأصدقها في الآونة ذاتها، ثم أضحك قليلاً، أضع اللحاف على وجهي فأهمس للنوم: متى يتنهي هذا الكابوس... لا شيء يبشرني بالسعادة، كل ما حولي يحذق بشراسة، حتى الحيطان والمزهرية، وصورتك التي علقت في زنزانة إطارها المصنوع من الفِراق الصلد، قمت أنقر على خودِ شاشة هاتفي، كانت أنا ملي توسل: قولي لها بأن مريض، ولن يعافيوني سوى صوتها، أتأمل سقف شُرفتي كم هو يرتعش، والنواخذ كيف تبكي، والستائر كيف تولول، وحينها أعيد النظر إلى شرفة وجهي، مليئة بالغوضى والتراكمات، مُغبَّرة، مهجورة كأنها..... كأنها كل شيء فارغ!

## (أغبياء)

يمارلون إقناعي بأنك لم تليقي بقلبي لذا أبعدك الله عنِي، وأحاول إقناعهم بأنني لا أعني لهم شيئاً لذا لم يفهموا معنى أن أفارقك وأفقد من بينهم وجهك... لا يدركون مراة أن تلصقني ما أملكه من مشاعر على جدار قلبك فترحلين حاملة معك ذلك الجدار، وأن توثقي كل ليلة بأنك لي وأنا لك فتصبحين لشخصٍ ليس أنا، بالله ما شعورك حين تعرفي بأن امرأة قد حلّت مكانك، ألن تخترقني، تغضبني، وتبكي داخليا خارجياً، تحاولين الفضة إلى أي أحد يفهمك فلا تجدين أحد...

## (انكسار)

استطاعوا وببراعةٍ أن يكسر وني باكٍ يا مراجع ...

ألف انكسارٍ وشموه في قلبي ، وألف قنبلةٍ وضعوها داخلي ، أستمع إلى الكثير من الانفجارات التي تُمزق قلبي كُلما استيقظ إحساسني وذكريني بأنكِ تضحكين مع غيري ، وأنا هنا أبكي مع ذكرياتٍ تدغدغ لا مبالاتي ...

حزينٌ يا مراجع ، يتيمٌ دونكِ ، ألم أخبركِ بأنكِ أمي بعد أمي ، كل الأصدقاء ، وأنتِ عائلتي ، عالمي بأكمله أنتِ ... أنا الغريبُ هنا ، وأنتِ وطني الغائب ، إلى من أنتمي وأنتِ انتهاي ، وإلى من ألوذ وأنتِ ملاذي ، وإلى من أشتكي وأنتِ صندوق أسراري ، أمام من أبكي دون خجلٍ كطفلٍ صغيرٍ فقد أمه وأنتِ لي كل شيء ، كنتُ لكِ كل شيء ، والآن لستُ شيئاً لأحد حتى لي !

(أرق)

بُتْ مُتَلِّئًا بِالْحُزْنِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى تَشَاقَّلَتْ حِيلَتِي ...

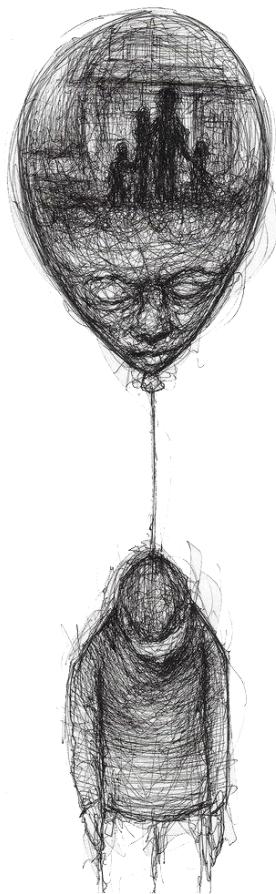
هُنَا أَحَاوَلْتُ تَضْمِيدَ جَرَاحَ حَرُوفِيَّ التِّي تَنْزَفُ عَلَى الْأَوْرَاقِ إِذْ تَوَاسِيْنِي  
فِي جَلْسَةِ عَزَائِي ...

آسَفُ لِأَنِّي أَعْزِيْكِ وَأَنْتِ مَا زَلْتِ عَلَى قِيدِ الْحَيَاةِ، وَلَكِنَّ أَلَا يُعَدُّ غِيَابُ  
مِنْ نَحْبِ مَعَ أَشْخَاصٍ لَيْسَ نَحْنُ مَوْتًا، تَرَكْتِنِي بَعْدِكِ جَثَّةً تُحَاوِلُ  
الْوَقْوَفَ رَغْمَ بَشَاعَةِ الْمَشَهَدِ، أَجْبَرْتِنِي عَلَى تَقْلِيْبِ أَنْفَاسِيِّ الْمُبْتَوَرَةِ الْغَارِقَةِ  
فِي وَابِلِ الدَّمْوَعِ كَمَا يُقْلِبُ الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ بَعْدِ اِنْخِمَادِ الْمَعرَكَةِ ...

كُلَّمَا حَاوَلْتُ الْبِقاءَ قَوِيًّا صَافَحْنِيَ الْأَرْقُ بِحَرَارَةِ، وَعَانَقْنِيَ الْعَنَاءُ،  
وَرَكَلْتِنِيَ الْآلَامُ تِبَاعًا .. فِي الْلَّيلِ، الْكُلُّ يَضْعُونَ رُؤُوسَهُمْ عَلَى الْوَسَائِدِ  
وَيَنَامُونَ، أَمَّا أَنَا فَتَوَضَّعُ وَسَائِدَ التَّفْكِيرِ الْمُتَنَاقِضِ عَلَى رَأْسِيِّ وَيَرْقَصُ  
الْلَّيلُ رَقْصَةَ الْبُكَاءِ بِرَاءَةً .. وَأَنَا أَسْتَسِلِمُ !

## ( مجرمة )

قيل لي ذات مرّة: أنت شخص حسّاسٌ وهذا سيلحق بك الضرر مستقبلاً، قلبك طيبٌ وهذه كارثة كبيرة، لأنك سوف تحذل إذا ما بقيت هكذا... لا أدرى هل أضحك من قائلها أم من نفسي، أم من حساسيتي الغبية وقلبي الأبله، ولكنه قد كان على الصّواب وتلك هي المشكّلة، مؤمّن جدًا أن يكون ذلك الشخص أنت ثم تكونين أول من ينفذ قرار الخيانة لمؤكدي لي بأنني حقًا حساس وها أنت قد ألحقت الضرر بي، ومستقبلٍ، وحاضرٍ، وماضٍ.. يالله من مجرمة! حسبتك ستُحاولين المجاهدة لأجلِي ولكنك استسلمتِ من أول المحاولة، أزعجني ذلك أكثر من خيانتك لي... أيقنتُ صدقيني بأن من لا يحاول لأجلك لا يستحقك!



I. Reles 17

(جَلِيد)

وأصبحت ساكناً، كُلْمٍ سارِحٍ في أُجَاجِ أفكاره العذاري..

لا طرافة تُضحكني، أو حادثة مؤسفة تيكيبني، أو مُفاجئة رائعة تُثِيرُ من بشاشتي. أنتظرُ عبور الوقت فقط، أتسلقُ عقاربُ الساعة بلهفة أُناشدُها للوصول إلى ثمة نهاية، أقف عندها وينتهي هنالك كل شيء، وأنتهي منكِ قبل كل شيء، يا سارقة مُهاجتي أين سأجدكِ، لاقطع يديّ حبكِ التي استأصلت عبقي مني فهربتُ باختفاء مُريع!

عليكِ اللهفة كم أودُ العثور عليكِ صدفة دون إنذار، لكي تري تلك الدمعة التي تُرافقني في كل وجهة كم أنها تُعثري و تُضعفني، في الحقيقة أنا لا أود أن تشفقي عليّ أو تعتقدني بأنني ضعيفٌ دونكِ، فقط أود أن تشعري بحجم اكتراشك و يأكلكِ صدى ضميركِ كما يأكلني اشتياقي إليكِ!

(أَبْلَهُ)

فَوْضَعُوكَ بَيْنَ أَحْضَانِ رَجُلٍ أَبْلَهُ، غَبِيٌّ وَجَاهِلٌ...

لَا يُشْنِي عَلَيْكِ قَصَائِدَ قِيسِ لَلِّيلِي، وَلَا يُحَاوِلُ طَمْئِنَتِكَ بِأَنْكِ غَادَتْهُ  
وَهُوَ غَسَانِكَ، وَمِنْ ثُمَّ يَتَوَسَّلُ إِلَيْكِ كُلَّ لَيْلَةَ بِأَلَا تَخْوِينِهِ كَخِيَانَةِ رِيَّاتِهِ  
لِمُحَمَّدِ دَرْوِيشَ. رَجُلُ أَبْلَهُ، لَنْ يَعْنِيَهُ سُوَى فُسْتَانِكَ الْمَزْرُكَشِ أَكْثَرُ مِنْ  
عَقْلِكَ الَّذِي يَتَسْعَ لِلْأَلْفِ حَقْلٍ يُبْنِيُّ الْأَلْفَ فَكْرٍ تُشَمِّرُ الْأَلْفَ أَنْشَى نَاضِجَةِ  
تُضَاهِي مَائِتَيْ رَجُلٍ مُّثْقَفٍ أَدِيبٍ وَوَاعِ مُفْكِرٍ. سِيَجْعَلُكَ تَحْتَكِرِيْنِ فِي  
الْمَطْبَخِ بَيْنَ الْأَوَانِي بِدَلَّاً عَنِ الْمَكْتَبَةِ بَيْنَ رُفَوْفِ الْكُتُبِ، وَإِذَا مَا طَهُوتِ  
الْطَّعَامُ لِحَضْرَتِهِ سِيَوْبَخِكَ وَيَغْضُبُ مِنْكَ، لَنْ يُغْرِيَهُ طَهُوكَ لِلْحَرُوفِ عَلَى  
الصَّفَحَاتِ السَّاخِنَةِ، سِتُّغَرِيَهُ حُمْرَةُ شَفَاهِكَ أَكْثَرُ مِنْ الْقَلْمَ الَّذِي تَضَعِّفُهُ  
بَيْنَهَا، وَعَطْرَكَ أَكْثَرُ مِنْ حُبِّكَ، وَجَهَالَكَ أَكْثَرُ مِنْكَ.. أَبْلَهُ جَدًا!!

## ( عَيْنَاكِ )

كُنْتُ وَكُلُّمَا خَذَلْنِي هَذَا الْعِلْمُ أَتَيْتُ إِلَيْكِ فَأَخْبَثْتُ بَيْنَ أَحْضَانِ  
عَيْنِيْكِ فَأَشْتَكِيْتُ مِنْكِ إِلَيْكِ ...

عَيْنَاكِ قَصْتِي التِّي لَا تَنْتَهِي، بَل كُلُّمَا التَّقْتَتْ بِعَيْنِيْ تَعْانَقْتَهَا وَبِدَأْتْ قَصْةَ  
جَدِيدَةَ فَصْلَهَا طَوِيلَ لَا نَهَايَةَ لَهُ كَحْبِي لِكِ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ وَلَنْ يَنْتَهِي ...

عَيْنَاكِ قَصَائِدِي الْفُصْحَى، وَأَغَانِيَّ نُصُوصِي الْبُهْمَةِ، وَحُبِّي الَّذِي لَمْ  
يُولَدْ إِلَّا مِنْذُ ارْتَطَامَهُ بِلِمَعَانِهَا ... عَيْنَاكِ قَهْوَنِي الْبُنْيَةِ، أَجَدُ فِيهَا رَائِحَةَ أَمَّ  
الْبُنِّ، وَحَرْبَ أَبِيهَا، وَصَرَاعَاتَ أَبْنَائِهَا ...

عَيْنَاكِ مَدِينَةَ لَا تَتْسَعُ إِلَّا لِي فَقَطَ ...

## (كابوس)

ما زلتُ أنتظُرُ من يوْقظني من هذه الأَيَّام الْغَرِيبَةِ...

هَذِهِ الأَيَّام لَيْسَتْ أَيَّامِي، وَالْوَاقِعُ لَيْسَ وَاقِعِي، وَالْوَقْتُ لَيْسَ  
أَنْتِ...

أَينَ أَخْبَئُ ضُعْفِي، وَدَمْوعِي، وَبُكَائِي، وَشَهْقَاتِي، وَحُزْنِي..

أَينَ أَدْسُّ أَحْلَامِي الْجَاهِشَةِ الَّتِي ذَابَتِ فِي عَفْرِ الصَّقِيقِ!

لَقِدْ أَدْخَلَتِنِي إِلَى مَتَاهَةِ كَابُوسٍ، أَبْحَثُ فِيهِ عَنْ مُخْرَجٍ يُخْلِصُنِي مِنْهُ،  
فَلَمْ أَجِدْ حَتَّى الْآنَ مُخْرَجًا أَوْ خَلَاصًا يُخْلِصُنِي مِنْكِ... بَتُّ أَنْدَثَرَ بِالْآلامِ،  
وَأَنْتَظَرَ مُخْضُ صِدْفَةَ أَمْلٍ، تَأْخِذُنِي إِلَى جَزِيرَةِ الْحَيَاةِ الْعَادِيَةِ... لَمْ أَعْدِ  
أَبْحَثَ عَنْ أَيَّامِ فَائِقَةِ الْجَمَالِ وَالرَّوْعَةِ فَالْعَادِي أَحِيَّانًا يَدْوِيْنَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِ  
الْعَادِي... أَرَأَيْتِ كَيْفَ أَصْبَحْتُ هَزِيلَ التَّفْكِيرِ لِدَرْجَةِ أَنِّي لَمْ أَعْدِ  
عَظِيمًا... عَادِيًّا فَقَطْ!

## (قلبي)

مُثُلْ طَبِّيرٍ وَقَعَ فِي هَوَّةِ الصَّحْرَاءِ مُبْتَوِرًا إِلَيْهَا، مُثُلْ طَفْلٍ فَقِدَ أَمْمَهُ ثُمَّ  
يَشْعُرُ بِفَقْدِهِ لِوِجْهِهَا بَيْنَ مَلَامِحِ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ يَكْبُرَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ  
رَؤْيَتِهِ لَا فِي الصَّغْرِ إِلَّا فِي إِطَارِ صُورَةٍ تَبَسَّمَ لَهُ وَتَحْكِي لَهُ قَصْةً قَبْلَ أَنْ  
يَنْامَ، مُثُلْ سَفِينَةً أَبْرَحَتْهَا الْأَمْوَاجُ الْغَاضِبَةُ صَفْعًا عَلَى الصَّخْرَاتِ حَتَّى  
تَحْطَمَتْ وَتَاهَتْ بَيْنَ الْبَحُورِ مُجَادِيفَهَا، مُثُلْ قَهْوَةً انتَظَرَتْ صَدِيقًا يَرْتَشِفُهَا  
فَلَمْ يَسْعُهُ الْوَقْتُ لِتَقْبِيلِ فَنْجَانَهَا، مُثُلْ مَغْرِبًا كَانَ يَبْحَثُ عَنْ وَجْهِ وَطْنِهِ  
بَيْنَ شَوَّارِعِ وَطْنِهِ، مُثُلْ كِتَابًا تُرْكَ عَلَى آخِرِ الرُّفَوفِ فَأَصْبَحَ نَسِيَّاً  
مَنْسِيًّا... مُثُلْ نَجْمَةً وَحِيدَةً فِي السَّمَاءِ اخْتَفَتْ بِقِيَةِ النَّجُومِ حِينَ عَلَمَنَ  
بِأَنَّهَا حَزِينَةٌ وَتَعْانِي وَقَدْ كَانَتْ بِأَمْسَى حَاجَتِهَا إِلَيْهِنَ..

## (وحدة)

الوحدة لا تعني الجلوس بمفردك، مُوَصِّدًا عليك بباب شُرفتك  
ونوافِذك، مُسْدَلًا ستائر عينيك ومُلْحَفًا قلبك بلحاف أرقك وإرهاقك،  
ولا تعني الكُتُّنان، والهدوء، والسُّكُوت العجيب وقلة الإثارة لأي أمر  
يطرأ...

إنَّا الوحدة هي أن تشعر بأنك مليء بالكثير من الكلام ثم لا تجد من  
يستمع لفضفتك، و يجعل الإصغاء إليك من أهم أولوياته...

الوحدة هي أن تُصبح غريباً في موطن ذاتك، متکورراً في زِفاق  
خوفك، راغباً في أن يأتي من يقودك إلى آخر النَّفق فترى النور و تُفعم  
بالحياة كما يحب...

الوحدة هي أن تخسر الأشخاص الذين حاربت لأجلهم فيتركونك  
في منتصف المعركة مُناصرين غيرك...



## (تشبُّث)

لم أكُن أعي يا مواجهُ بأن تَشَبَّثي المُقرط بكِ هو نفسه التشبُّث بالألم  
والعناء، لقد كنت أعتقدُ بأنكِ أ ملي، سندي، حُبّي، شمسي، قمري، ليلي،  
نهارِي، طِفلتي، بالونتي، زهرقي، أوراقِي، وحبري، وهواجسي وكل  
أشيائي الجميلة...

هَانَتِ الْيَوْمُ تُصْبِحِينِ، نِسِيَانِي، غَمَوْضِي، هَدْوَئِي، موْتِي، غَرْقِي،  
انْطَفَائِي، ذَبْوَلِي، حُزْنِي، وَجْعِي، ظُلْمَتِي، جَفَافِي، أَمْلِي، وكل أشيائي  
القاتلَة...

كَنْتِ بِالْأَمْسِ درَّعًا لي من الأَحْزَانِ، وَالْيَوْمُ تَخْتَرِقُ سَهَامَهَا صَدْرِي  
في كل ليلة لأنكِ لم تعودِي لِحْيَاتِي منها مثل ذي قَبْلِ، كَنْتِ شَمْسًا تُضَيِّءُ  
كل وجهَهِ مُعْتَمِةً وَالْيَوْمُ كُلُّ درُوبِي وَمَسَالِكِي حَالَكَة، كَنْتِ أَنَا وَأَنَا الْآنُ  
لَسْتُ مَعِي...

## (انتشال)

تعالي وانتشلني من مزامير لفتي إلى أحضان حديثك، واغمسي أنا ملي بين خصلات شعري حتى أنام كما كانت تفعل أمي في طفولتي الرمادية، غني لي أغنية وصفقني لابتسامتي كي تراقص على منصة شفاهي دون توتر أو قلق، أخبريني بأن القادم أجمل لأنك معي، وأرشديني بأن أطوي صفحة الماضي وأعيش اليوم بكل سعادة وأمل، أهمسني لي باني مهم جدًا بالنسبة لك، وابتسمي أمامي حتى تختفي كل أحزاني من قلبي ...

أغمضي عينيك وتنني أمنية، ولا تفتحيها حتى أسمح لك، لأنني أود الترثُّث بين عشب رموشك وأحلق كالفراش سعيدًا.

## (شعور)

لَا أَحَدٌ يَشْعُرُ بِمَا أَمْرُّ بِهِ سُوَى أَنَا، لَا الْمُنْصَتُ لِفَضْفُضَتِي وَلَا الْقَارِئُ  
لِأَسْطُرِي الْبَاكِيَةِ...

لَا الَّذِي يُرِبِّتُ عَلَى أَكْتَافِي وَيُخْبِرُنِي بِأَنَّ هَذَا الْمَرْسِيمُ، وَلَا الَّذِي يُسَرِّدُ  
لِي عَبَارَاتٍ تَحْفِيْزِيَّةٍ حَوْلَ قُوَّةِ الْذَّاتِ وَتَنْمِيَتِهَا... مَا حَدَّثَ لَمْ يَكُنْ فِي  
الْحُسْبَانِ أَبْدًا، لِذَلِكَ مَا زَلْتُ أَظُنُّ بِأَنِّي وَسْطٌ كَابُوسٌ سَأْفِيقٌ مِنْهُ،  
الْخَيَّبَاتُ الَّتِي تَأْتِيَنَا مِنْ أَقْرَبِ الْأَشْخَاصِ إِلَى قُلُوبِنَا تَسْتَهْدِفُ سَعَادَتِنَا  
أَوْلًا وَالْأَحَلَامُ ثَانِيَاً وَالشُّغْفُ ثَالِثًا، وَالْابْتِسَامُ إِلَى مَا لَا نَهَايَةٌ.. شَعُورٌ  
غَرِيبٌ يَا مَوَاجِعُ، لَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ صَنْفٍ وُلِدَ، أَشْعُرُ بِالْوَحْدَةِ كَأَنِّي أَتَيْتُ  
مِنْ عَالَمٍ إِلَى عَالَمٍ يَذْكُرُ الَّذِي أَصْبَحَ غَرِيبًا كَئِيْبًا دُونِكِ، كَأَنِّي وُلِدْتُ لِلْتَّوْ  
وَلَكِنْ قِسْرًا عَنِّي وَأَمِي !

(مَتَى؟)

نصلُ إلى مرحلةٍ مُخيفةٍ جدًا بعدما يُقصِّم القلب بعنة، ممزوجة بالقوة  
وعدم المبالاة حتى للأمور الأعظم التي كنا نقدسها مُسِبِّقاً... نتخلَّ  
عن كل ما سعينا وقاتلنا من أجله وبمتهنِّي السهولة، لا شعور هنا في  
الداخل يبدي اهتماماً أو غريزة تؤدي مهمتها كما يُحب... تصبح الأمور  
سخيفة والحياة بحد ذاتها حلقة نصلُّ تقويم بقطعِ أي حلم يود التحرر  
من زنزانة الوجع المزمن...

لا نستيقن أو نعاتب أو نبكي أو نضحك بإفراط، إنْ أتوا كان الأمر  
عادياً وإنْ يأتوا أياً ما يكون عادياً، هناك شعور في الداخل يموت يا  
موجع بعد فقدنا لمن نُحِبُّ، شعور يركد على الفؤاد ويميت رغبته  
لخوض أي لحظة!

(بَعْثَرَة)

لم يكن ذلك الرحيل عادياً، فقد امتصَّ قواي مني سواء العقلية أم  
القلبية، بعثري، سحقني، طحن روحي، فصلني عن عالم الألوان كُلِّياً.  
موجع، أنا الغريب في موطن ذاتي، التائه في مدينة حلمي، المنبوذ من  
أرض بهجي. أنا ديك أنا، هل تسمعيني، أحبك أنا، هل تفهميني؟!

(هياً)

يقول فاروق جويدة يا مراجع:

"أعد الليالي ربيعاً ربيعاً، ويمضي الزمان ولا ترجعين"

كم ربيعاً يحب أن أعد، مضى العمر وأنا أنتظر عودتك، أذهب إلى  
البستان لأسقي الوردة التي قمنا بغرسها أنا وأنتِ، وغرستنا معها الحب  
والوعود والأحلام الوردية...

تلك الدمعة الملاحة التي تنزلق من عيني كلما شمتها وتذكرتِك  
فتحول لونها إلى شاحب يشي بالاحتضار، لم تأتِ من عيني بتاتاً يا  
مراجع. تلك الدمعة ربما تسربت من ثقبٍ في قلبي أحدهذه فراقك... أعد  
الثواني، الدقائق، الساعات، الأيام والشهور والسنين! ومع كل دقة  
تمضي ولا أراكِ يمضي في العمر سريعاً فأشيب مبكراً، يمضي الربيع كل  
عام ومعه تمضي تفاصيلي وأنتِ...

(مداهمة)

ليتنى أعرف كيف يداهم الأشخاص غيرهم في أحلام المنام  
لداهتمتك كل مساء كلما أغمضت عينيك كما تداهمنى كلما استضفتُ  
حضره الغفوة بعض وقت... يشفيني قليلاً..



(ملاذٍ)

في أجاج الانتظار، أداعب أحري الملتاعة وأحارب الاستحالة التي  
تتمايل أمامي كراقصةٍ تنغمُسُ في سكرِ الضباب كلما حاولت إقناعي بأنك  
لن تأتي إلىَّ، وتحملي عن أكتافي أحمال الاشتياق. يا صاحبة قلبي ماذا  
فعلتِ بي، كنتُ شخصًا هادئاً لا يُثير الانتباه منذ طفولته، أما الآن ومنذُ  
ارتسام ملامح حبي لكِ على وجهي وأنا مجnonُ لا ينبع من حروف  
الأبجدية شيئاً سوى اسمكِ، أغرقُ في أحداق الحنين وأستنجد تلوحة  
منكِ، تنجيني من موج الهوى، أقحمتني بكِ، ومزقتني إربًا إربًا، ماذا  
فعلتِ بي! أتعرفين بأن الأعذار كلما أوهنتني بها، عذبتني أكثر، إن كنتُ  
منسيًّاً لديكِ فاعترفي وأنني الأمر حالاً، سئمتُ أنتظركِ يا شمس روحي.  
ولكونكِ تعلمين بأنني مظلومٌ دونكِ تصطبغين بالدلال وتعرقيني في مرأةِ  
التشظي والهشاشة.. تتأخرين عنوةً لتركتلني اللهفة على خاصرة قلبي  
الذى رانَ سهواً. أتراءكِ تُرْفِقين وتهرين إلى أحضاني التي لا تتسع إلا  
للكِ، وتملئين ذاكرتي بالحروف التي أشعر بأنكِ وحدكِ تحدثين بها.

أنتِ لعني التي أتمنى ألاً يتوجهها أحدُ غيري، ووردي التي أخشى أن  
يشتمّها غيري، والحياة التي لا أرحب أبداً أن يعيشها غيري؛ لأنكِ أنتِ  
كنتِ تعيشين في الحياة فأنا لا أعيش إلا فيكِ. فإن غبتِ ماتت نبضات  
قلبي، وإن أتيتِ استفاقت وغنتَ أغانيها مرةً أخرى، لكِ.

## (أنت لي كل شيء)

أنتِ الضحكة التي أستفتح بها تفاصيل يومي والأمل الذي على سبيله أمضي دون اعوجاج والأغنية التي تحملني إلى مجرات النعيم مرحًا، والقصيدة التي دوّنها أحدهم غرق في بحرِ الهوى، والنصل الجميل الذي اقتبسته من كتاب الحياة، والشمس التي تُبلغني وجهتي وتضيء وجداني والقمر الذي يعانق في المساء أسراري المخبوعة، والزهرة الاستثنائية التي تُنافس كل زهور البساتين فتفوز دائمًا.. والقهوة التي أحتسيها بعشيق لا ينتهي، والوجهة التي لا أمضي إلا إليها لأنكِ فيها أنتِ لي كل شيء، وكل شيء أنتِ..

## (لا تنسري)

أن تبقي كما عهديك.. قوية لا يحيل بينكِ والسعادة أحد، هذا العالم خائن ومحاط بالغدر لا يليق قلبكِ الطيب ببشاورته، كوفي على حذر من أصحاب الأقنعة! فليس كل من ابتسم لكِ نقيٌ وليس كل من أثني عليكِ أو مدح يُعد صادقًا، غوصي في العيون قبل الكلام لأنها لا تقول شيئاً كاذبًا وإن بدا لكِ صدق الألسنة، حاري المشقات وابتلعي ما أصابك بالضجر إياكِ تبقي واهنة العزم إن راودتكِ خيبة، خيبي ظنون أصحابها بعزيزتك.. ثم انهضي من جديد.

حتى وإن كان من بينهم... أنا!

## ( لا ذنب لك )

سوى أناك غرفتِ فيَ ولفرط محبيِ لكِ.. نسيتُ كيف يتسللون  
الغارقين من الغرق، بقيتُ على وضعية العناق مع حروفكِ مغمضًا  
عينيِّ، أزهَر قلبي من رحيم رائحتكِ وأعيد إلىَ الحياة من همسكِ وأرسم  
على عينيِّ السلام من عينيكِ، كانت لحظة هادئة تغذَّت بالسكون وفي  
الوقت ذاته تغذَّيتُ أنا بكِ استمدتُ منكِ الحب ومني استمدتِ الحب  
أيضاً، غرفت واحتنت أنفاسي، لربما شوقًا إليكِ، على الرغم من أنني  
كنتُ بين أحضان حروفكِ، يا أنا، أنا القديمة.

## ( لن يؤذيكِ أحد )

وأنا بالقرب منكِ، أنا درعكِ من أسمهم الأحزان المتناثرة. ومنديلكِ  
إذا بكت غيوم عينيكِ. وصوتكِ إذا جثم الكلام على صدركِ فعجزت  
الحروف عن إسعافكِ. وأنفاسكِ إذا أخنقتكِ الحياة وحاولت مواراتكِ  
من أمامي. كل من يحاول أن يعيث بقلبكِ الذي أحبه سأحاول أنا أيضًا  
أن أعلمك دروس العيشية كيف تكون، وكل من قال عنكِ سوءًا، سيمتنى  
مليون مرة لو أنه لم يقل عنكِ شيئاً، سأصبح وحشًا أغرس براشي على  
عيون كل من تسبب في احمرار عينيكِ. سأصبح حارسًا لكِ من كل شيء  
يؤذيكِ!

## (كيف؟)

ما أقسى أن أجُدُّ نفسي وحيداً

فارغاً من كل شيء... حتى منكِ

أحاول تبادل الخطابات مع عقلي تارة

ومع قلبي المشحون بحمى التفكير تارات

كيف أنساكِ؟!

## (لا شيء)

كانوا يتحدثون أمامي عن فقدكم هو شرسٌ عنيف، حينها لم أتذكر أحداً إلّا، فجأة قمت أصرخ بينهم أن يكفوا عن الهراء فانسحبتُ من بينهم أبحثُ عن وجهكِ الذي أخشع ضياعه. إياكِ تعقدي مع فقد علاقه وتودد فلا أحد يستحق قلبكِ غيري، ولا يستحق قلبي غيركِ، وإن كان هناك من يود كسر عهود ذلك الاستحقاق فأغلقي الأبواب في وجهه سريعاً قبل أن ينقضّ عليكِ. إني لا أرى إلا بعينيكِ، ولا أنفس إلا بربتئيكِ، ولا أتحدث إلا بصوتكِ، ولا أغنى إلا بحنجرتكِ، ولا أكتب إلا بأناملكِ. حذاري تغبي عنى فأنا دونكِ لا شيء.

## (ذكرى)

كتبت لي ذات مرة: لم أكتب لأحد من قبل بهذه الطريقة الصادقة، غالباً ما كنت أكتب للخيال، أصبّ حبي في أقداح الفراغ، وأهمس بآلا تخبر أحداً عما قلت.. معاقة خيوط الود المتبخرة في السواد مقبلة غصن الغياب المحاط بالأشواك. أرسم القصائد من بُن عيني، وألحن الأفكار بدمع حنجرتي، وأناديك حتى يُشيع النداء ولا تأتي..

صدقني ليس بأمر سهل أن تعرف بكمال جوارحك أنك وقعت في شباك أحدهم، أن تختار من بين الجميع شخصاً واحداً تقولها له بلا ميعاد. وتحاف ألا تقولها، وتحاف أن تقولها، وتحاف بعد أن تقولها. أن تترسب تلك الكلمة يوماً ما، وتضي مرصعاً بالثقوب حتى تلهمك الحشيات التي تتسرب عبر تلك الثقوب. وبعد أن قررت طيلة عمرك ألا تتشبث بكف أحد حتى لا تسحقك مشاعرك حين يغيب هذا الكف، وأن تضع رأسك على كتف أحد بكمال ثقتك واطمئنانك أنه لن يخيبك يوماً ولن يتركك فريسة الأيام والصعاب. وأن تبكي أمام ذلك الشخص فقط، لأنك تعرف تماماً أنه الوحيد الذي سيمحو دموعك بحبّ بود، وليس شفقة! وبأنه وحده سيحرق الدنيا ليطفيء ما أشعل روحك..

أمراً ليس سهلاً أن تبقى طيلة العمر خائف، مبتعد على الدوام، لأنك لم تجد حقاً من يلائم قلبك.. شخص أنا يحلى ما يقوله قبل أن يقوله، كي لا يُداس تحت أقدام الندم، يفكر كثيراً، مرة، مرتين، عشر مرات، يتدرّب

عليها قبل أن يقوها حتى. ويندم حتى بعد أن يلفظها خوفاً من التائج.. ولكنني هذه المرة قلتها نعم، ولأول مرة منذ أن خلق الله هذه الروح، وهذا القلب النابض، وهذه المشاعر التي لا أعرف إلى مدى ستؤدي بنا. لا أدرى، لكنني بما أقوى العظماء من قوة أحببتك، حبّاً يفوق أي حُبٍ، حبّ العالمين كلهم، كحبّ الأرض للسماء، والعطر لعنقك.. لم أتوقع يوماً، ولم أرسم في مخيلتي أبداً أبداً، أني قد أكتب شيئاً كهذا لأحد ممّا، كحقيقة لا زيف. أكتبه لأنّي حقاً أشعر به، وليس لأنّ ظاهر بهذا، أنا لست كاتبة مثلك، لا أجيد صياغة الأحرف ببهاء كما تفعل، لكنني حاولت، لأجلك!.. أعرف بأنّي سألوم نفسي كثيراً على ما كتبت، وأعاتبها جدّاً، بأنّه ما كان يجب أن أعترف بشيء كهذا، إنه يخالف قواعدي في الحياة. إنّها مجازفةٌ ليست هينة. وإنّه ليس من السهل أبداً أن أحب أحداً بهذه البساطة، قلبي ليس فندقاً يسكنه أي أحد، إنه شرفة صغيرة لا تتسع للجميع، شرفة دافئة تمنع دخول أي أحدٍ إليها بسهولة.. ربّما قد لا يتم حبّنا، كما يحدث في الروايات والأفلام.. وقد تحسّب أنّ طيشاً، وآسف إن قلت بأنّك ربّما تحسّب ملء فراغ كبّقية الرجال. لا أدرى لكن معظم الرجال يفكرون هكذا، هذا ما تقوله الكتب والروايات والواقع. حين يفكّر بالزواج يتزوج امرأة لم يرها ولم يتحدّث إليها، يعتبرها أكثر أماناً من امرأة أحبته وأحبها وتحدثاً طويلاً معاً.. هذا ما أقرّه وأخشاه، أن تنظر إلى بمنظور كهذا.. لا أدرى كيف وصلت إلى هذا الموضوع، ولكنها

الحقيقة. قد تجذبني كئيبة أحياناً، لكن صدقني هناك جانب مضيء فيّ. لكنه ليس كضوء الجميع، لا يمكنك رؤية هذا الضوء. ستتحسسه فقط..

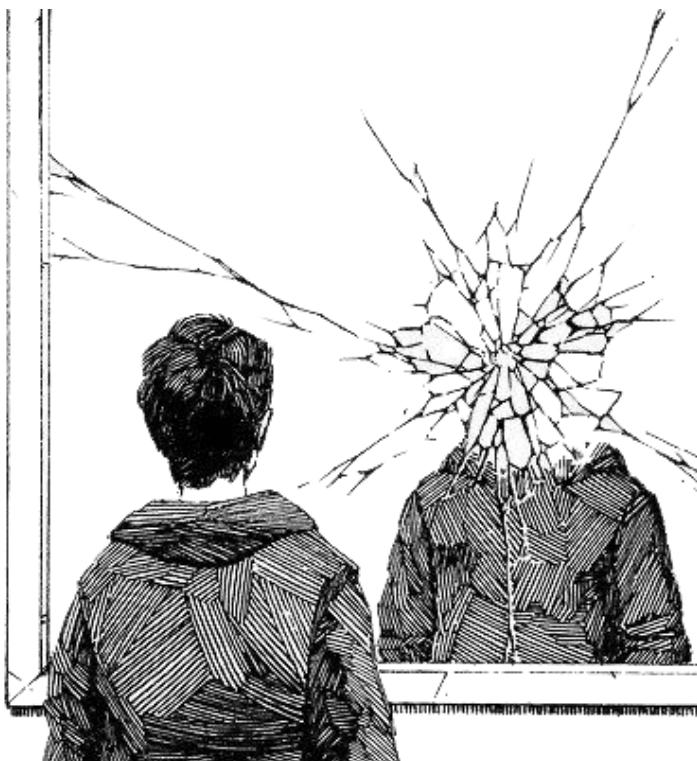
تقول بأنني سلبية الشعور غالباً، لكن صدقني هناك روح مرحة فيّ، بإمكاني أجعلك تضحك حتى يُغمى عليك. وبإمكانني فعل العكس.

أخبرتك مسبقاً أني متناقضة، وهذا فعلاً ما أعيشه مع البقية. التقلب المزاجي المفاجئ، الأمر الذي لا يحتمله أحد. ولكن لا بأس إن كان هناك لونين، ألا يعتادني الجميع تعسة، وألا يعتادني الجميع سعيدة، فإن رأواك تعيساً تشمتوه، وإن رأوك سعيداً حقدوا، وحاولوا أن يدمروا تلك السعادة. قل بأنني "نفسية" سأقبلها برحابة جسور، ولكن صدقني، أنا لا أغفر، إن خُذلت لا أغفر، ولا أعود، ولا اعتذر، ولا أنسى. أصبح أكثر تجّبراً من ذي قبل وأحدّر. أنا حذرة بشأن قلبي لعلمك. لا يمكن أن أوقعه بمازق يمكن أن يحطمها. أفكّر كثيراً قبل أن أضعه بين أحضان أحد، عشرات، الآف، ملايين المرات.. لا تسألني لماذا كتبت هذا، ولكنني كتبته وانتهى الأمر. ولا تنسى بأنني إذا غادرت لا أعود مجدداً، ولا أغفر!



## العزلة الثانية

لقد كنتُ أنسى الكثير من الأشياء، أين وضعت مفاتيحي وكوب قهogi، هل أغلقت الباب أم لا، والكثير من الأمور التي تساقط من أغصان النسيان حين حلَّ علَيَّ (خريف الذكرة)، ولكنني كنتُ أتذكُّر بوضوح أنني ما زلتُ عالقاً، غادرتُ شرفتي أم لم أغادرها، خلف الجدران أم من الداخل، ما زلتُ منعزلاً تماماً، وما زالت تلك الخيبة تنهشني حتى اليوم، وتشعرني بالوحدة في كل مكانٍ أتجه إليه، وبرغبة كبيرة في تقيؤ ذاتي المُتعبة، أشعر بالغثيان من كل شيء، لماذا أرتجف؟



### مدخل:

لقد بدأتُ أنجح في شيء مَا، بدأتُ أتخلى، أنسى، أتراجع،  
وأنسحب. بدأتُ أستوعب!



شَهْمَةٌ!

لم تكن دموعاً، كانت مطافئاً للحرائق التي تضطرم في داخلي..

\*\*\*



Fran Biñó  
[www.lafabricadelos.com](http://www.lafabricadelos.com)

"أنا لا أنتقم، أنا أعيد الشخص غريباً كما كان."

مارك توين

ثم تتحدّث مع جدرانك، كمسنٌ تخلّى عنه أبنائه، كي تكون نهايته بين المسنين في دار العجزة، ليبقى وحيداً يصارع مأساه.. بمفرده!

\*\*\*

في مسائق تعبو على أوجاعك بانكسار، تصبّها بين أحضان قهوة مُرّة، وعلى مرسى القلم تبعثُرُّ أشيائك المكّدة في ميناء شوّفك، ينهشك فقدُ الوجهُ التي تلهمك الحب، تأسرك الحروف، وترثيك أوراق الخريف حين وأدّتَ حبّاً في مقبرة قلبك تزوره كل يوم بألم، وأنت الذي وأدّته بيديك، تضع وردة باهتة على ضريحه الجاف وباقية دموع رحيقها بحّة ملوءة بالحنين تلظى على صفة وجعك، مهمّهاً بالاشتياق باحتراق!

\*\*\*

بومة الأفكار تلازم هذا الحنين المتّقد تحت نفق الخيال، تلازم هذا الصداع المستلقي على رأسٍ ثقيل، حتى أقراص "باندول" لم تعد تجِد نفعاً... لافتراس كل تلك الفوضى.

\*\*\*

أضغاثُ ضحّكات ترغُبُ القفر إلى عشبِ أسفل نافذة مفتوحة وتحتبي خلف شفاهِ حُرّة الابتسام لكنك تبكي ملصقاً على وجنة الجدران في شرفتك العاشقة رنين العتمة المستمرّ، إنها مفقودة تلك النافذة.

\*\*\*

في حبّ صحراء وقعتَ مِزْقاً، وَدَدَتْ مصادقة الجفاف فيها كونك  
متصرّحاً منذ بكاء، وألقيت محبتك بكل رحب متظراً ذلك العناق كي  
يأوي هشاشتك، على متن دمعة، تسافر إلى عالم البائسين لتروي ما يثير  
الضحك في لُبِّ الحكاية..

\*\*\*

تروح منهر ماً بين عقارب الرصيف تسلسل أسرار الشحوبة لقمر  
باht، وكم تبدو أمسيتك هادئة ترتدي سكوناً يوحى بالانطفاء، تبلغ  
الأحاديث، خشية من كل شيء: يمطر بغنة!

\*\*\*

على ضفة النافذة: تجلسُ موضّباً أوراق الهروب، موّدعاً المنضدة،  
والسرير، والخزانة والجدران، تنتظر إشارة النجوم لتسلل بحذر دون  
صوت، ثم تعود من متصرف الطريق لأنّك نسيت "مشاعرك" فوق  
المنضدة، وحين تتفضّل إلى تلك الشرقة تجدُ كل مافيها يعزّي تلك  
المشاعر: لأنّها انتحرت بعد هروبك بدقايق قليلة. ثم تبقى بعدها  
مسجوناً، تعانق رائحتها في اللحاف.. تبكي.. ويموت بعدها كل شيء!

\*\*\*



و تبقى غريبٌ في وطنٍ تنسب إليه حسب بطاقتك المدنية، كئيبٌ لا  
مأوى، أو مسرّات، يرفرف العبوس فوق أسطح الضياع، وأنت تسير  
باتجاهك نحو مجھول، تقتنش في جزيرة الذاكرة عنك، تحاول إقناع نفسك  
بأنك لستَ غريباً وبأنك تنتمي إلى هذه الأرض بينما لا تعرف بك،  
تعاتب شمسك عن تھميشه لتيھك، وقمرك عن هذيانه في قت تودُّ به  
تقىء هذيانك..

\*\*\*

في ذاكرة منفى تسبح بين أوراقك المتساقطة مناديًا أحدهم، وبصوت  
مرتفع: أنا هنا، ثم لا يأتي إليك، فتنغمس تحت أنغام المياه الباردة خجلاً  
من صداك حين أجابك بالتأجيل، تحضر على محطة قطار تنهيدة  
والانتظار بات يُحدث ندباته بين جيوب وجلك، وعبر حديثك المثقوب،  
تنزلق دمعة: تلوّح بالرحيل .. إلى الأبد!

\*\*\*

ولكن ثقتي كانت مفرطة، ونسيّت أن الإفراط بالثقة  
حماقة أحياناً.

\*\*\*

في جدار قلبك حكايات الصّقتها أيامك العاتية، تنحُّ التفاصيل  
القاتللة بين شرخ وآخر، تنتحر مشاعرك بفضلك وما علّقته من صور،  
كلّما أفاقتك شمس الربيع، خمدّتها ألوان البؤس العالقة في ياقه مبسمك،  
تناغي ذاكرتك لتهدّي من صراخها، علّها تكفّ عن البكاء، ثمّ تغفو  
وشهقاتها تتلو شيئاً من الوجع، وتنهض متّجهًا نحو نافذة الخلاص  
مبتهلاً بضعة من نسيان.. لتشعر بالربيع.

\*\*\*

من حزنٍ حظٌّكَ أَنَّكَ تختسي قهوتَكِ.. وحيداً تغوض في التفكير بأحدِهم وقع في حبِّ قلبٍ غير قلبك، تبتسم بحسنة وتلقي للحياة تحية توحِي بالكثير من العتاب.. حين أصابتك بلعنة الحبِّ، وحين أيقنت بأنَّ الحبَّ ليس له تاريخٌ نهايةً مهما اعتصرك بالكثير من الحرقَة، ولأنَّه لا ينتهي يبقى مقيماً في موطن قلبك، وموطنك مليئاً بالكثير من أصوات القذائف يقاوم الشظايا دائِماً.. لأنَّه وقع في حبك أيضاً!

\*\*\*

لا تنسَ أَنَّكَ وُلْدَتَ وأَنْتَ تبكي فلا تندَمَرَ من نوبات البكاء، عِشها، وأفرغ ما يثير اختناقك، لا تسجن العبرة في حنجرتك، أو تعيد الدمعة من حيث جاءت أو تبحث عن مناديلٍ تجفّف بلال وجنتيك، ابك حتى يقف من نفسه مهما طال ذرفه، سينتهي ويسعُر قلبك بحرية مطلقة كطيرٍ حلق من القفص بفرحة، فابك متى ما شعرت بأنَّكَ ت يريد التحررَ: من شيءٍ ينوح بداخلك!

\*\*\*

تفاعُلٌ بلحظة اللقاء، لكنَّكَ تخشى أن يكون كل شيء رسمياً، تتفاجأ ببرودِ الملامح، وضالة حجم الاعتذار تعنِّك بحدَّة، ثم تومئ فقط وقلبك أشعثُ كبحَّة في صحراء الحنجرة يتوهَّ مغنىًّا مواويل العناء، تستسقي الهواء بلحظة سكون باعْتَدَتُ الحديث في صفحة الاعتراف، ثم تُغادر قبل أن تعلن عيناك حربها، وتمطر ما خبأته منْدُ خيبة، فتزيدُ من حجم الاكتئاب.. وتبلغك حزنك.

\*\*\*

أَسفل سريرك مخبئاً ارتجافك وتخرس صوتك: اوووش لا تبِك تكتب  
أَسرارك الحزينة بملح عينيك بين دفّتي شفاه الصفحة، تضع سرّاً على  
هيئه لففة غير مرئية، ثم تنام دون شعور وهم يبحثون عنك لتقوم بقطع  
كعكتك الخاصة بعيد ميلادك بينما كنت ترصد ذكرى أخرى أطفائك،  
قبل أن تطفئ شموعك ثم تخيب ظنَّ الجميع بكَ فينامون بحسرة منك،  
كما نام قلبك تماماً!

\*\*\*

للمساء قصائد! تسبح في انعراجات القوافي، حيث تتساقط الأوزان  
من جارية الاشتياق، ثم ترقد أسفل ماء اللهفة الموقته، وما يثير من  
احتراق قلمك، هو أشيائك التي تخُرُّ باكية إلى منفى الهروب، ثم يتدرك  
حتى تعود وإيّاهَا، ليرصدك، تعود فتجد نفسكَ هاوياً على ضفة ورقة،  
مرسوم بحروفٍ باهته، ملوّن بأهدايب السراب.

\*\*\*

كل شيء كان رائعاً، لكنّ (كان) فعل ولّ في لحظتك الحاضرة، ترتوى  
من بئر أمسك الكثير من شراب النساء، والنداء لمنادى بعيد لا يُسمع، كل  
ما في الأمر أنّك ستتنقر قلبك بالتفكير حول كل شيء: كان.. ومضى،  
ولكنّ الأمر الذي سوف تفكّر به، هو كيف تريد أن تكون، وكيف  
ستكون بعد كان الذي شد رحال السفر ولم يكن.

\*\*\*

رُبَّ صفعة توْقِظُكَ مِنْ وَهْمِ انتظارِكَ بِلَطْفٍ، تُلْكَزِ إِيمَاءَكَ  
اللَّامبالية لِلرَّحِيلِ، خَلْفِ سِيَاجِ لَهْفَتِكَ: تَتَوْقِي لَوْجَهِ أَحَدِهِمْ.. قَرَرَ الْعُودَةُ  
إِلَيْكَ لِتَكْمِلَا خَرِيفَ الْعُمَرِ سُويًّا فِي حَقِيقَةِ حُبٍّ، ثُمَّ تَؤْمِنُ بِتَوْقِعَاتِكَ رَغْمَ  
إِخْبَارِكَ أَنَّهُمْ رَحَلُوا وَلَنْ يَعُودُوا، فَتَنْضِجُكَ صَفَعَةً تَبَاغِتُكَ مِنْ عَقَارِبِ  
سَاعِتِكَ، مُخْبِرَةً أَنَّ الْوَقْتَ تَأْخِرَ، وَمَا كُنْتَ تَتَنْتَظُهُ لِيَأْتِ لِأَجْلِكَ، لِأَنَّكَ  
لَا تَعْنِي لَهُمْ شَيْئًا.. رُبَّمَا هَذَا كُلُّ شَيْءٍ..

\*\*\*

يَقْنِعُكَ النَّسِيَانُ أَنَّهُ لَا يَقْوِي عَلَى ذِكْرِيَاتِكَ رَاحِلًا بِخَيْبَةٍ مُحَاوِلَةٍ، قَائِلًاً:  
ابْحُثْ عَنْ طَرِيقَةِ أُخْرَى، فَتَبْقَى فِي مِنْتَصَفِ شَارِعِ تِيهِكَ، مُحَاوِلًا لِلْزَّحْفِ  
إِلَى رُوحِ الْذَّاكرةِ، لِتَهْدِمْ مَبَانِيهَا وَتَحْطِمْ أَسْوَارَهَا، وَأَنْتَ غَاضِبٌ مِنْ كُلِّ  
شَيْءٍ تَبْقِيهِ فِيهَا بَعْنَادَ، تَجْيِيءُ مَطْعُونًا بِشَهْقَاتٍ عَدَّةً، بَعْثِرَهَا بِكَائِكَ أَثْنَاءَ  
الطَّرِيقِ الطَّوِيلِ ثُمَّ تَرْكِضُ هَائِلًا بِالْأَنْهِيَارِ لِتَفَجُّرِ فِيْضَانِ قَلْبِكَ بَيْنَ  
أَحْضَانِ أُمِّكَ، لِتَخْبِرُهَا بِأَنَّكَ حَقَّاً تَعْبَتَ!

\*\*\*

آخِرَ حَلٌّ قَدْ تَأْوِي إِلَيْهِ هُوَ أَنْ تَبْحُثُ عَنْ عَلَاقَةٍ تَوْقِعُكَ فِي: حُبِّ الْأَهْلِ  
مَا يُرِمُّ، تَكُونُ بِخَيْرٍ بِمَلِءِ مَعْنَى خَيْرٍ تَسْتَنْزِفُ شَيْئَكَ الْمُفَضِّلِ مِنْ بَيْنِ  
كَوْمَةِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَرَاكِمَةِ بَيْنَ أَنْفَاقِ الْفَوْضِيِّ، وَتَبَسِّمُ طَوِيلًا دُونَ أَنْ يَهْمِسَ  
جزْءًا فِي دَاخِلِكَ لِيَمْنَعَكَ عَنْ شُقِّ ابْتِسَامَتِكَ، تَشَاهِدُ أَفْلَامَكَ وَتَقْرَأُ كِتَبَكَ  
الْمُفَضِّلَةَ، وَتَحْتَسِي قَهْوَتِكَ بِرُوقَانٍ لَا تَطْفَئُهُ ذَكْرِيَّ عَابِرَةٍ!

\*\*\*

لَوَدَدْتُ يَا صَدِيقِي أَنْ يَتَهَيِّي كُلُّ شَيْءٍ، أَنْ أَلَدَّ مِنْ جَدِيدٍ، وَأَرَى الْحَيَاةَ  
بِوْجَهِ الْوَضُوحِ. أَلَا أَقْفَ أَمَامَ هَذِهِ النَّافِذَةِ طَوِيلًاً لِأَعْدَّ دَمْوَعِيَّ الْمَسَاءِ،  
بَدَلًاً عَنْ كُلِّ تِلْكَ الْإِنْجَازَاتِ الَّتِي رَسَمْتَهَا فِي مُخِيلَتِي وَدَفَافِتِيَّ الْمَدْرَسَةِ.  
لَوَدَدْتُ أَنْ أَقْتَلَعَ هَذَا الْقَلْبُ وَأَضْعِفَ مَكَانَهُ قَبْلًاً لَا يَقْعُدُ فِي فَجُوَّهُ حَزَنٍ،  
يَكُونُ حَذَرًاً دَائِمًاً مِنْ أَجْلِي كَيْ لَا أُعْنَى، ثُمَّ يَقُولُ لِلْحَزَنِ دَائِمًاً: اهْجُرْهَا  
مَلِيًّاً فِيهِ جَرْنِي.. إِلَى الْأَبْدِ.

\*\*\*

قَرَبَ مُحْكَةِ الْلِّقَاءِ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ يُوحِي بِالْجَمَالِ، وَلِلْحَظَةِ، تَغْيِيرٌ كُلِّ  
شَيْءٍ، بَعْدَ أَنْ مَضِيَ الْمُتَظَرِّنُونَ حَوْلَ آخَرِينَ فِي جَهَةِ أُخْرَى، وَأَنْتَ فِي هَاوِيَّةِ  
الصَّفْعَةِ.. تَهْرُبُ مَكَابِدًاً دَمْعَتَكِ، فَتَخْتَنِقُ فَاهْكَ كَيْ لَا يَنْجُبُ صَوْتَكِ  
وَيَصْرُخَ، تَضْيِيقُ بَكِ الْأَرْضُ ذَرْعًاً، وَكَانَ الْعَالَمُ تَوَقَّف.. سَكَنَ بَعْثَةً، كُلِّ  
شَيْءٍ أَصْبَحَ جَامِدًاً.. لَا شَيْءٌ عَلَى قِيدِ الْحَيَاةِ فِي تِلْكَ الْلِّحَظَةِ سَوْيَ  
تَنْهِيَّاتِكِ الْخَائِثَةِ! وَعَتَابَكِ لِقَلْبِكِ حِينَ أَمْرَكَ بِالْإِتِيَانِ وَعَتَابَكِ جَرْسِ  
سَاعِتَكِ، حِينَ أَفَاقَكَ بَاكِرًاً.

\*\*\*



تجشو حنيناً فوق رصيف أورافاك، متأوحاً في جعبه النّصوص، غارقاً  
في بحر كلامٍ قصمتَكَ وقلبك إلى شطرين، لتواسي كل شطٍ بكلمةٍ  
أخرى فتقسمه إلى أجزاء "عدة" ثم تمتلئ الشرفة بأجزاءِكَ المُبعثرة، وماءُ  
الحبر الذي يطفو بها، وأنت بين أمواجٍ تيهك تستسلم للغرق في بحرٍ  
حبرك، فتطفو خامداً مُثقلًا بالأبجدية، مهدّباً بالكثير من الأرق!

\*\*\*

لا تسمح لنفسك أن تُلزِمَك الركض وراء من يركضون وراء غيرك،  
فلا يليق أن تكون في الوراء أبداً، استدر إلى الخلف، ثم غادر من حيث  
أتيت، مهما كان قلبك يترنّح بين شوارع دموعه، ويشهد ك طفلٍ أخذت  
منه لعبته، واسِه بقناعتك أَتَهُم لا يليقون به، لأنَّه أشدُّ منهم، نقاءً..  
سيهداً!

\*\*\*

مقبرة ذاكرتك المليئة بالأموات الذين رشّحُهم قلبك بالزوال  
وأرواحهم تستفيق كل مساء، مهمهمين بلغة الراحلين.. على هيئة نسيان  
تتجاوز أغنيهم وأصواتهم اللازائلة من تاريخ العبور، تغمض عينيك  
هرباً من أشكالهم المشؤومة، ويبداً شريط الأفلام السوداء: في حياة ما  
وراء النهاية، ثم ترقد وقلبك يستجدي شيئاً من نهاية، ليتهي كل شيء  
يعاني منه.. كل ليلة.

\*\*\*

موَّدُّ كشجرة في أرض أمس، تمنَّى السير إلى عالم يشبهك وتفكيرك،  
تنمو فوق جفاف أحلامك، وأمانيك تساقط من أغصان قلبك كل يوم،  
تأوي الكثير من العابرين المحملين بالملووم، وأنت بحاجة إلى أحدٍ  
يأويك، يأتونك في يوم آخر لانتشالك بفأسٍ صُنع من جذعك فتصبح  
موقداً لشقاء أشواقهم تماهى بينهم.. وأنت الذي ماهيتَ أحزانهم، ذات  
عناء.

\*\*\*

لُجّ ليك ينزوّي في صدر عباءة السؤال، وحين يلطاً حديثك في قعر  
الشروع، تبُرُك شظية اعتراف عابرة في ساحة حربك، حين حشر الراءُ  
أنفه بين أحداث الرواية لتخوضها في وعكة لففة، تفيفُ حنيناً في لحظةِ  
الانتصار، لأحدّهم يعانق بهجتك، وينبّرك أنك قويّاً أنميت أعداءَ  
حلمك، تتشبث بكفيه وتتضيا معاً فتكملما ما تبقى من عمرٍ مُنتظرٍ سوياً  
على بساط السلام، الذي رسمته الحياة (لكما).

\*\*\*

ويرسمك البكاء على شطآن الغرق، ملؤّح بتعاويذ النجاة من بحرِ  
رماديتك، ثم لا يستدير لصدى صوتك أحد، فتقع في حبّ حوريّةِ  
تحديثك عن حياة البحر، وترافقك لؤلؤة تدفتك في حضن محّارتها كي  
تعتني بك وتخبرك أن قلبك يُهايلها في النقاء، لذا هو بحاجة إلى محّارة تبقيه  
فيها، تقيه أوجاع الحياة، مأسيها، صفعاتها، ومواقفها الجالبة للكدر.

\*\*\*

كالعادة! تناه مكبلّاً بأوجاعك، متشابكُ الأفكار كخيوطِ  
العنكبوت، وإن أوهنَ الخيوط خيوطها، إلا أفكارك ما أصعب فصلها  
عن بعضها، حيث تجثو فوق بعضها، كأرواح وطنٍ سكته حربٌ لا تفگرُ  
في الغروب، تبحثُ عن خيطٍ آخر، لإغلاق فتقك، وإبرة لمهمة الخياطة،  
ثم تقع منك في ساحلِ الظلام.. فتسوّع فتوشك مع كل تعّرٍ يوقعك..

\*\*\*

موسم الدُّموع يعلن بالهطول في قحط وديان الذاكرة لينبت مشاعرًا  
لا ثمار فيها، والذكريات أنهكها الانتظار، تبحث عن مخرجٍ أخيرٍ إلى عبق  
التللاشي للرحيل مؤبدًا، فقد أثار انهايارك من شفقتها ومزقها حزنك  
كثيرًا، لكنك تسجنها بقيود التشبث، دون أن تدرك بأنك تتشبث  
بالللاشيء، لأنها ذكريات والذكريات مجرّد بقايا: بين جدران الذاكرة.

\*\*\*

وتمرُّ أيامٌ شهورٌ وأعوامٌ، وأنت تحاول جاهدًا أن تنسى ثم يصبح ذلك  
الأمر روتيناً، اعتادت عليه الذاكرة، محاولة التناسي المزيفة كلما جرّعتك  
تفاصيلك المبادرة بالبقاء، تحاول أن تخلّق من أعلى تلٍ سُجنت فيها دون  
أن تصاب بأي خدش حتى ضئيل إن وقعت، وتضحك بصدق، وليس  
لإخفاء حزنك، أن تكون الحياة صريحة معك، وتبادلها ذات الصراحة  
فقط.

\*\*\*

اشتقتُ إلىَّ، عندما كنتُ مُغامراً لا أضيع في زوبعة الأفكار  
والذكريات، مشمسٌ لا يعترف قلبي بالانطفاء، خفيفٌ من أي همٌ، أسيير  
مثقلًا بالحمس لا الحزن، عندما كنتُ أضحك في اليوم مراتٌ كثيرة،  
وأتناول أطعمةٍ دون أن أبقي شيئاً في الصحن، وأتناول المثلجات كلما  
رأيت العربية مارّة، اشتقتُ إلىَّ جدًا، ثم لا أدرى متى سألتقي بي من جديد  
وابتسם بشكلٍ غير مزيف، كما كنت أفعل!

\*\*\*

لحظة ألم، تستوقفك بين شروخ الماضي ! بعد أن هرعت إليه بأقدامٍ ملطخة بالنّدم، بالحسرة، تقف على محطة إنزامك، فتعيدك أدراج الرياح إلى موقفِ جعلك هكذا، باهتٌ كإنارةٍ عتيقة في شرفة مُزارع، تكبو على قاعك المليئة بالعبارات المتدحرجة من زاوية إلى أخرى، ثم تبدأ في سرد كل شيء بدءاً من: أمّا قبل، يُسدل ستار المسرح، ينتهي كل شيء قبل أن يبدأ..

\*\*\*

ورغبة بقائك تتضاءل مع كل نسمة تهّبها الذكريات، ترغبُ في الرحيل إلى عالمٍ ينسيك كل شيء، لكنك لا تدرِي أين ذلك العالم، العالم الذي سيسلِي لك سلاماً مغايِراً لعالنك المليء بالكثير من الأحزان المتهاصرة. تبحث عن خارطة وحيدة تأخذك إلى أماكن لا بشر فيها، سوى الهواء الطّلق ورائحة النبات والبحر، فتعود من ذلك العالم شخصاً جديداً.. حتى قلبك.

\*\*\*

تتسنّى للغياب لكنك واهن التصدّي، ترتدِي ثوباً من اللامبالاة لا يرادفعك وعماهه تفكيرك تشدّ بأزر إيابك، وذهابك يبقى في المنتصف تائهاً في مأزق الرجوع إلى حكايات جدتك، وقهوتها ورغيفها وضحكاتها التي تشعرك بأنك مازلت حيّاً.. ثرّزق.

\*\*\*

كتبيِّ السجلِ للكتب، تُطوى من قلوبهم، ينسونك، دون سابق عذر  
مبيِّجل لوفائك معهم، تختاز بقاياك في اللهيِّ الأخيِّر من اختناقك، محاولاً  
إعادة دموعك إلى روح الوعاء كي تبكي لأجل شيء أثمن منهم بكثير،  
تأوي إلى كرامتك منسحباً دون التفاتة، تاركاً كل شيء.. فوق طاولة  
اللقاء: من مشاعرك حتى وفائك، حاملاً حقيتك وقلبك، ملوحاً  
بالرُّحيل الّامُستأنف، الّامُعلن بعودة!

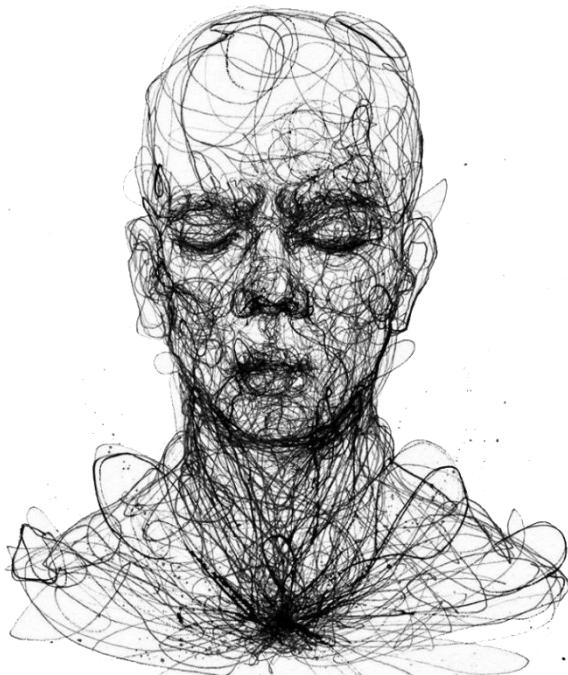
\*\*\*

تشدّ خاصرة مشأمتك، فتصفعها كرّات وكرّات تصرخ في وجهها:  
متى يتحسن حظي؟!؟ تضحك بسخرية: عندما تستحق ذلك، ثم تغادركَ  
بتمايلِ الراقصات، تغنيك بشفقة وأنت تنظر إلى تلاشيهَا بشقّ عبرة، تلكم  
الجدار بيديك فتؤملك، وتركله بقدميك، فتستسلم للبكاء: كالأطفال  
الأحرار في تلك الأغنية!

\*\*\*

أمّا مناءاتك لحزنك من أبلغ الفكاهات التي تكترثها، حين تقف  
معه، كلها سخرت منه سعادتك وأقنعتك بأنّه يسلبك منك دون إدراكك،  
ويتسلّك من بذور عمرك، دون أن تلاحظ أبداً، فتاويه عن الجميع لأنّه  
الوحيد الذي ترجمك: حين جثوت.. لا حول منك ولا قوة مسلوبٌ من  
بهجتك وبهجتك سُلبت منك.. فتبقى باهتٌ كقمرٍ حزين.

\*\*\*



ذراك السانع شرها في حلق بحثك، تنهنحت على إثرها أوراقك  
المخبأة تحت أسرّة الدموع.. وأصواتهم تحول حولك دون أن تراهم،  
فترتمي معانقاً خفّتهم لتفعم بالحياة، يحيئون في ذاكرتك ثم يرحلون عندما  
تفيق من نومك العميق من التفكير بهم مابين ليلة وضحاها، وأدليت دلو  
الانتظار في بئر الإياب، ليعودوا فتعود إليك، لأنهم أنت.

\*\*\*

ألبوم الصور الذي اجتمعتم بها، فتجمّد كل شيءٍ منذ لحظة التهيّئ للقطة، فتحمله مسنداً رأسك على حائطك البارد، بعد بلعك للكثير من الغصات مع كبسولات الصداع، تقلّب الصور بحسرة، بألم، تستنزفك دمعة حنين مصبوّبة من عينٍ تاقت للقاءٍ مُباغت بعد فراق طويلاً.. جداً، تغلّقه والصّداع يعيّد دوره في مسرح قلبك.. فتنام مبللاً بالوجع.

\*\*\*

احترافك في الصمت، يمثّل شيئاً من قوّتك إذ تهذّل مآسيك على قصاص التجاوز، تتوخّى سعال النشيج أمام من يتّضرر ذلك منك، تبسمُ طويلاً ب بشاشة لم يلحظ أحدّهم مخالف قضبانها وتدسّ جميع أحزانك بين دفّتي ضحكة ثم تؤكّد لمن يتّضرر انطفائك، أنك لن تنطفئ أمامه أبداً، مهمّا اعتصرتك أشيائك المملوّة بالألم، في صدر المقاومة..

من ضجيج مدّيتك، تهرب إلى صحرائك الملقيّة في واحة النسيان تسلّك تنهيداتك المجاورة على ضفة قصتك التي أمطرتها عينيك في فصل الحزن، تُصاب برغبة الانغماس بين غيوم النوم هرباً من حنحنة الذكريات وصهيل أصواتهم إذ ترعد في ذاكرتك!

\*\*\*

من سطح دمعتك تقفز بكل ما تملك من عجز مرهلاً متأهلاً  
للانقراض، ترفض وساطات المحيطين بك لتبقى، فتتجه بمشاعرك  
العرجاء وقلبك مصاب بالكثير من الرضوض، لعلك تجد نجمة أمل تقع  
في حبك للأزل، فتُبرح كل ما يتسبب في حزنك ضرباً، حتى يهرب دون  
عوده، فيزول مؤبداً وتعود أنت إلى أحلامك بقلب رحب ومبسم عتيق..  
لا يزول دهراً.

\*\*\*

مع الجدران جالت أحاديث الليل، خاطبتنا المرايا الساخرة عندما  
عزفت دمعة في متصرف ضحكة، محملة بأصناف الكلام الذي لا يقال،  
ثم ابتسمنا بحسرة من وجوهنا حين خطف الحزن جمالها، حتى أصبحت  
لوحة، مُثيرة للذبول.

\*\*\*

بين الدَّمْع والصَّمْت طُفنا، باحثين عن رسالة كمأوى، يأوي تيهنا.  
التيه المركون في شرفة الذاكرة، المسجون في زنزانة الهروب.. وبين  
أحضان عزلتنا، بحثنا عن بقايانا أيضاً، تلك التي هشمتها لحظة لم يتوقعها  
القلب الحالم مطلقاً.

\*\*\*

لكنَّ فقد موجع كجمرةٍ في القلب لا تنطفئ، كوجهٍ مات مع  
الراحلين، يجول بِمَأساته كل يوم، ولأنَّ الرَّاحلين إن ماتوا لا يموتون من  
قلوبنا: يؤلمنا فقدهم، وجوههم التي تمرُّ أطيافها بين الحين والآخر،  
وأحاديثهم، توجعنا أشيائهم عندما نراها تنبُّ عنهم، لأنَّهم رحلوا  
مؤبداً إلى عالم النهاية دون رجوع.

\*\*\*

صباح اللهفة، لأصدقاءنا الذين لطالما احتسينا معهم أفضل أنواع  
القهوة، وتقاسمنا الرغيف على طاولةٍ صغيرة، وأخبرنا بعضنا بأننا معاً  
سنبقى، فتلاشى كل شيء، فأكتب هذا قرب قهوةٍ وحيداً، وكل في فلكه  
يسبح بمفرده، هجرنا بعضنا أو نسينا بعضنا، ذلك أخرى اعترافاً! فانتظر  
كل واحد منّا أن يأتيه الآخر مبادراً، ومضى العمر والجميع خلف سياج  
الانتظار، يتظر!

\*\*\*

ربّما اعترافك لقلبك بأنّهم قد رحلوا عنه مع غيره، يشبه النصل الذي  
ينغرس ببطءٍ ثم يبقى عالقاً فيه، تخشى نزعه وتخشى تركه أيضاً، وتخشى  
أنْ تمنك، أن تصاب بنوبة بكاءٍ متزوج دموعها بدم قلبك، فتغرق في  
حديث السَّراب وملوحة الألم، بعد أن بعثرتها رياح شوفك على الجرح  
الحادي، لتعزيزك في اللحظة الأخيرة.

\*\*\*

كل شيء على مايرام، فقط أعاني، زكام التيه، وصداع الحنين، وحmine  
الحزن والكثير من ارتعاش الحروف، في جسم القلم، تحت لحاف  
الصفحة.

\*\*\*

ما الذي منعهم! أن يأتوكَ رغم معرفتهم بذبولك، بانطفائك  
ومشاجراتك مع نفسك واضطرباتك المتناوبة وانهيارك، واعترافك  
بعجزك، بسقمك وافتقار رغبة عيشك. ما الذي منعهم، أن يأتوكَ  
للسؤال عنكَ، للاعتذارِ منكَ لاحتوائك لانتشالك من غيوبك، ما الذي  
منعهم من كل ذلك!

\*\*\*

لوددتَ أن يُطمئنك، أحدهم تفكّر فيه طويلاً برسالة نصيّة، يخبرك  
أنّه قد اشتاق إليك كثيراً وأن فراقه عنك أمرٌ كارثيٌ بالنسبة له، وأنه يشعر  
بالغرابة دونك، بالوحدة والفراغ، وأنك تقتتحم المساحة الأكبر من قلبه،  
ثم يختتم رسالته بقول: انتبه لقلبك جيداً.. فإني مختبئ داخله.

\*\*\*

مالم تعرفه عنّي هو أتنّي خبأت بعضاً من دموعي في قفص المستقبل  
لأسكبها حين أصبح وحيداً فتواسيني بينما أندحرج بين دهاليز أسطورة  
مأسوية بمفردي، ومالم تعرفه أيضاً هو أتنّي أنسج عامة من الصمت  
بهدوئي، كي أرتدّها عندما يحلّ شتاء الفراق فأخفّي كل ما كنت أخشاه  
تحت صوفها على رأسِ مشاعري تماماً، وأعبر دون اكتراش، دون التفات  
حسناً.. دون روح!

\*\*\*

كل الأشياء التي كنت أخشي خسارتها، خسرتها وانتهى الأمر،  
الأحلام، والأصدقاء، والابتسام، والبهجة، وكل شيء يشعرني.. بالحياة  
لا أعرف إن كانوا قد شعروا بخسارتي فانطفأوا كما شعرت بخسارتهم..  
فانطفأْت.

\*\*\*

وبعدما أموت!، أهناك من سيتذكّر ملامحي، كل يوم، كل شهر، كل  
عام. ويكتبني وهو يتأنّه من فرط الوجع، ويقرأ ما كتبه في ثم ينام وهو  
يبيّكي ويبقيني في ذاكرته حتى يموت، يتذكّرني في لحظة ضحك فتلاشى  
ابتسامته فوراً، ويغادر المكان، متسعكاً بين الأرصفه غارقاً في حزنه  
لفقدي!

\*\*\*



كل الوجوه شاحبة، تموت في أرض الاشتياق.. ذابلة، كبستان ماتت  
وروده في حرب العطش .. يئيمة البهجة، كطفل افتقـد صورة والدته من  
بين المحيطين به بائسته، كقصة تراجـدية، انتهـت بالحزـن كما بدأـت به..

\*\*\*

وـ حين أـخـبرـوكـ! بـأنـكـ تعـنيـ لهمـ ذـلـكـ الـكـلـ منـ كلـ شـيءـ، وـبـأنـكـ  
قـلـبـ لـاـ يـسـتـغـنـيـ عـنـهـ، الـجـزـءـ الـمـكـمـلـ لـحـيـاتـهـ، ثـمـ غـادـرـوكـ فـورـ إـيجـادـهـمـ  
أـشـخـاصـاـًـ غـيرـكـ، وـاسـتـغـنـواـ عـنـكـ حـينـ لـمـ تـتـوقـعـ اـسـتـغـنـائـهـمـ يـوـمـاـ! رـبـماـ أـرـادـواـ  
أـنـ تـحـفـظـ بـفـضـلـهـمـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمـصـطـلـحـاتـ كـمـصـطـلـحـ الرـحـيلـ وـالـغـيـابـ  
الـمـعـلـنـ بـبـنـسـيـانـكـ، لـتـصـبـحـ أـكـثـرـ قـنـاعـةـ بـأنـكـ الـوـحـيدـ الـذـيـ بـقـىـ وـسـيـقـىـ  
معـكـ!

\*\*\*

خلف الكواليس، ضعفاء، ضعفاء جدًا، أعتذر كثيراً رفاقي  
المتقمصون دور الأقوياء وأنتم عكس كذلك، أعتذر عن إفساء هذا الأمر  
بوضوح، لكنني أردت أن يرافقوا بنا قليلاً فقليلًا سكيفينا ربّا لأن الاعتبار  
بأنّنا أقوياء على الدوام لا نشعر بشيء، سيزيد من كل تلك المأسى دفعة  
واحدة.

\*\*\*

لطالما تمنّيت أن يأتيك أحدهم لترتيبك للشعور بك، فكريًا، عقليًا،  
عاطفيًا، تفسيًا. أن يكف عن عتاباته وبيادر في صقلك من جميع  
الجوانب، أن يفهمك، يسمعك حتى تتهي دون أن يتذمر أو يومئ بملل،  
أن يشد بكفيك وأنت تغرق في دموعك فيقول لك: أنا هنا معك، لا تخش  
شيئاً.

\*\*\*

أسوأ شعور هو عندما تفهم في آخر اللقاء أن الجدار قد فهم عليك  
أكثر بكثير من الكائن المقابل، وأن القهوة قد شعرت بمرارتك، والوردة  
الموضوعة في المزهرية على الطاولة قد ترجمت مدى ذبولك، والكأس  
الزجاجي المنصف بالماء، قد اكتشف، هشاشةتك وجفافك، والنافذة  
الزجاجية القرية، قد عكست ملامح وجهه التي تشي بجهله لما يحدث  
معك، بينما كنت تعتقد أنه (قاموسك) الذي لا يترجمك غيره من بين  
البقية.

\*\*\*

ترتجف من الشتات بعد هدوء غيمتك اليتيمة حين شنت مع الرياح  
معركة في داخلك، ثم تنهمر عبراتك فتمضي مبللاً خائفاً من قدومن شيء  
آخر يوقعك في زوبعة حزن لا نهاية له، تخبيئك بين شروخ البقايا حين  
يغفو منهاج الخارطة بالقرب من شقوق منزل طيني خرت الأمطار  
العارمة سقوفه ليصبح متذلياً تحته مقلصلة الزوال معلناً انهياره بأي  
لحظة..

\*\*\*

عجزٌ في سجن ذاتي، وحيدٌ يعزفني الليل مقطوعة توحى بالكثير من  
الاستياء، أكتبني بكلفة، وكأن الحروف تنجها حنجرة بوحي حتى  
بدوتُ شاحب الكلام، وكل مابي أكمهُ في وحل دموعي، تحرق في موقد  
اللاشيء عيناي، رواية تعيسة مات فيها البطل وجنتاي، مسجون في  
هديل الذكريات، قلبي!

\*\*\*

في هذه اللحظة! أحدق في سقف الشرفة، رغم إطفاء الإنارة ربّما  
أصبحت عادة ككل مساء، وخلف هذا الحائط أسمع صوت والدي، إذ  
يحاول بها يملك من طاقة: أن يجعل أخي الصغير ينطلق في القراءة ولطالما  
أردت الخروج إليهم فأترى بينهم وأخبر أبي بأنني أميّ، لا أجيد قراتي،  
عجز عن نطق حروفي، أريد أن يضع فوق المجهول في.. النقاط.  
المجهول المسؤول بين أروقة قلبي..

\*\*\*

تفقدك لهاتفك قبل أن تخلد إلى عالم النّوم، خيبة تُنار من قِبلك، فقد لا تجد من يفتقد أحاديثك، إنني الآن أقوم بمواساتك، لأنني فعلت ذلك قبل قليل، وكان الأمر محزن جدًا، لم يقل أحد هم بأنه: يفتقندي، أبدًا.

الأمر المُرِيك! هو أن يصبح كل شيء قاسيٌ معك دفعه واحدة، الحياة، الأصدقاء وذاتك أيضاً! فتجدُ بأنّها تسيطر في كل أو طان الجفاء، تصبح تائهةً في مرأى التجوّل، بين مرات ضياعك، باحثًّا عن ركينٍ يحتويك ليقيك بلال القسوة، من أجل الجزء المزهري فيك، العبق المحبوب في ذاكرتك.

ربما الجميع يعرفُ جيداً بأنك إنسان مثير للضحك والسعادة..  
ولكن شخصاً واحداً فقط قد يكتشف بأنك قادرٌ على إضحاك الجميع  
لكن أحداً منهم لم يستطع فعل ذلك لك من قبل، بعد مُدّة يُؤكّد بأن قلبك  
مُتعب واللامح المزيفة التي توزعها على من هم حولك ثبت ذلك ولن  
يعني ذلك جيداً إلا من يعنيه أمرك جيداً.

أفيض ألمًا! من ذلك الحنين المخباً في ثكنا شفاه الاختفاء المنتظر،  
وأفيض تلاشياً، من ذلك الحزن الذي يتراءى باستمراية توحى  
بالتهدب، أطفو على نهر البكاء، حين أمرته أشیائی الحزينة في الداخل،  
وشق کآبتي يسیح في وجنة المأزق، أکاد أبتلعني لف्रط ما إن أدسّ بين  
جيوب الخنجرة اعترافاتي الموشحة بالاختناق.. دمعاً.

\*\*\*

رُبِّيَا سعيد لست متأكّداً من ذلك الشعور، فقد أدمت تناول كؤوس  
الشعور الفارغ كل مساء، وأن يأتيني أحدهم بكأس سعادة مُباغت، لأمر  
من الصعب الشعور به، أن تُسعفني في اللحظات الأخيرة وأنا أحضر  
فذلك يوحى کم أنك جبان، کم أتّي مغفل، حين انتظرتك من أول لحظةٍ  
هاجتني بالأسى. دعني أحضر، وأحضر مأتمي، وأعزّيني بنفسي اغرب  
عن ذبولي.. فقط.

\*\*\*

عندما تجهر بصوتك بغتة! فإنك لا ترغب أن يسمع أحدهم صراخ  
الطفل الباهي بين أحضان قلبك، تحمد شهقاته بضحكاتك المزيفة،  
وتحرس نشيجه بأحاديثك الفكاهية المقنعة، تتعالى بصوتك على صوته  
کي لا يدرك المحيطين بك أنك قوت في اليوم: ألف مرة.. ومرة.. ومرة  
أخرى.. وأخرى ثانية.. وثالثة.

\*\*\*

لو أنّ هذه الدُّموع تبَلَّ أرض القلب القاحلة، تُسقيها بشيء من  
مأوى، تزرع بستانًا نهرَب إليه منهم، ونخبئ أنفسنا بين أغصانه  
كالفراشات، نبكي بعلن، ونكتب نصوصنا الخاصة بالأحلام، نقرأ كتبنا  
المفضلة دون أن نخبئ وجوهنا بين دفتيها: حين تتعَرُّ بِنَصٍّ عزف على  
الوتر الحساس بجرأة.

\*\*\*

غضاريف المشاعر هشةٌ لينّة، قد تكسرها كلمة عابرة، ويسبب لها  
الخذلان التعasse، وحين تغفو على نهارِقِ الحنين، تُصبح هائمةً القوام،  
ملفوقة في رقعة العجز، مضمدة بلا شيء من عناء، مركونة في زاوية  
الهشاشة، تئنّ محاطة بأسوار الانهيار، مصبوبة في كأسٍ مجرّع بالمارأة، ثم  
يلكمها عابث، أوجعها باعتراف مؤسف فيرحل.

\*\*\*

أُريدُ ذلك الكم من الجرأة المحفزة على الهروب من هذا العالم إلى آخر  
باشت يواكب شحوبتي دون أن أجلب معي أي شيء سوى قلبي  
المنغمس بين شقوق الذكرى، دون أن أخبر أحداً برحيلي هذا أو أقول  
وداعاً، دون أن أكتب رسالة عتاب إلى أحد، دون إعلان مُسبق لذلك  
الهروب المباغت..

\*\*\*



أعلم يا أمي .. بأنّي قرأتِ ما كتبته ذات حزن دون علمي، وأحرقتِ  
نهيدة زفرتها شفقة بي، فحاولتِ مراراً اقتحام ما يقتضي، أو معرفة  
السر الذي قادني لمصادقة الوحيدة والانزواء، سرّ احتكاري بين رفوف  
الصمت واحتناقني في حقيقة الذبول بمفردي، حين شربتُ من الانطفاء  
جرعات مضاعفة حتى اختفيت.

\*\*\*

منذ تلك اللحظة، وأناأشعر بأنني أحمق، أحمق جدًا مغفل منحتمهم ذلك التبجيل والاحتراء، وما الذي أسدوه لي، صفة في متتصف الطريق هاربين مع آخرين غيري، وأنا أقف متحسساً أثر تلك الصفعة، لأنّه وسط منحدر الذهول، وأندحر إلى حفرة الاختباء كبلورة وحيدة، في عالم البلاهة..

\*\*\*

ونحنُ الذين ننام معانقين أحلامنا بأسفٍ، مخلخلين عيوننا بدمٍ لا تنطفئ له شمعة، نهمس في أذني الأيام: ما رأيك لو نأخذ قسطاً من هدنة لنصحو مبكراً ونحلق بين غيوم البهجة ببهجة نرتخي بين أحضان رذادة أنسدتنا على مسرح شفاف، عندما أدركت بأننا نكاد نختفي، تهاؤينا بما فينا من ألمٍ لا ينحو.

\*\*\*

حافي البسمة، أتسكّع بين شوارع اللامسّرات وأقدام ذاكرتي تلتهم أشواك العناء بينما أناجي الليل ليلتقط شيئاً تنحّى قبالة المنفى قرب محطة تنهيدة تكتظ بالسالكين نحو النهاية بلا مشاعر، عراة الملامح حاملين أوهامهم وسط الحقائب الثقيلة يسيرون نحو مجهول لأنّهم في ورطة المجهول وفعوا دون حذر ثم توارى كل شيء.. خلف غيمة وداع حزينة..

\*\*\*

— عَزْلَان

كَمْ أَنْهَا مُضْحِكَةً، فَكِرَةً أَنْ تَذَهَّبَ إِلَيْهِمْ لِتَخْبِرُهُمْ بِأَنَّكَ قَدْ نَسِيْتُهُمْ،  
أَوْ بِأَنَّكَ بَخِيرٌ دُونَهُمْ، وَلَمْ يَعُودَا يَعْنُوا لِكَ أَيْ شَيْءٍ حَتَّى جُزْءٌ مِّنْ شَيْءٍ  
ثُمَّ تَخُونُكَ دَمْعَةً، تَقَاطِعُ اِنْدِفَاعَكَ وَإِسْهَابَكَ فِي الْكَلَامِ وَتَحَاوُلُ مَسْحِهَا  
قَبْلَ أَنْ يَلْاحِظُوا تَدْرِجَهَا عَلَى أَجْفَانِكَ الْمَحْشُوَةِ بِالْمَهَالَاتِ ذَاتِ الْحِدَادِ  
وَوِجْتِيْكَ السَّاخِنَةَ الْمُتَخَنَّةَ بِالدَّمْوعِ، الدَّمْوَعُ الرَّاكِدَةُ عَلَى مَتْنِ مِينَاءِ  
الْمُلُوَّةِ!

Three small, stylized floral or asterisk-like symbols arranged horizontally, likely used as a section separator or decorative element.

كل شيء في المساء يتسلط الدموع، التنهيدات، رموش العين  
الغارقة، خصلات الشعر إذ تقوم بتنفسها بينما نغوص في أفكارنا. كل شيء  
يتسلط، الحروف، النصوص، البوح على قاع الصفحة المثقبة بجمل  
الدموع، تتساقط عبرها الحكايات الحزينة، لتتولى الرياح مهمة العشرة بين  
أرصفة السقم.. البالية.

هيا لنهرب، إلى جزيرة النسيان، نتسلق أشجار اللامبالاة بحرية  
ونصرخ بصوت مرتفع، نغنى والصدى نركض نحو الشلالات الباكية  
فنبكي تحت عيونها، نغسل قلوبنا بعائدها الجارف حين يهكها الحنين بتتابع  
غير منقطع ونجرفهم منها بهدوء، نلتقطهم برؤوس أنامل الاستغناه،  
ففرمي بهم، كما وضعناهم بود، نتشلهم بكرامة.

\*\*\*

إيماءاتي، تدل فقط، أني لا أرغب التحدث، لا أرغب اتخاذ أي قرار  
لا أرغب المزح أو الضحك، كل ما في الأمر أني أريد أن أطوّقني بذلك  
الدفء بنفسي، أتعالج من ذلك الجمود المزمن، أصبح بخير من وباء  
التفاصيل، أفهمني لو مرة واحدة، أسمعني عندما أنا ديني بعجز، أن  
أتلافاني في اللحظة الأخيرة من السقوط !

\*\*\*

ولطالما غسلتني ذكرى، في وحشة الليل الطويل من ليالي الشتاء  
الباردة الطويلة، متدارك ذلك الصراع اللعين بين القلب والذاكرة، بين  
أمس واليوم، بين اليوم وغد، يتساوق ربيي من قدوم العمر البطيء،  
وسرعة تدفق الشيخوخة على عمر الربع، من انتهاءك السّقم لمستقبلٍ  
مجهول، من اعتراض الصفعات لأحلامي عندما تسير حرة دون خوف  
بين مرات المستقبل !

\*\*\*

في دهاليز الذاكرة تسير هارباً من صوت طفلٍ يصرخ خلفك راكضاً  
بهلع، وفي آخر المطاف يوقفك حائط صلد ل تستسلم وينهار قوام هروبك  
فيقترب منك بلهفة وعيناه تهمهم بالأسى يرتعي بين أحضانك مخبئاً  
وجهه الشاحب في صدرك، يخبرك أنه لا مفر منه، لأنّه مأواك.. وأنت  
مأواه الوحيد.

\*\*\*

كنتُ أصرخ فيتتصاعد صوتي إلى السماء فُنمطر، قطرات رمادية، ما  
ذلك النوع من المطر يا أمي؟!

\*\*\*

وتبقى عاكفاً في كهف آهاتك، مستفرداً بدموعك، بنشيجهك،  
باختناقك، بصر أحل المتفاوت ما بين تنهيدة وأخرى، تستلهم ثمة حضن  
يعانقك به صديق لك، يلملم أشلائك المبعثرة من أرضك المغبرة بالهياق  
المتّقد، تصبّ حكاياتك البائسة في ودّ منديلك، الذي أهدوك إيه ذات  
بكاء لينوب عنهم اليوم!

\*\*\*

صفحات مخدرة أرددتْ أن تنوم وجعًا في ذاتي فقط لأنّه ضر وأتناول  
بهجتي مرة واحدة من كأس السعادة التي يتحدثون عنها، إِنّي أُرغُبُ في  
انزلاع هذا الألم الذي أرسّته الأيام في خاصرة مناي وأفنيتْ شبابي تحت  
قسّوته إذ بقيَ عالقاً منغرساً بحدة بينها أتاؤه بحرقة.

\*\*\*

دمعة اليوم تقول: أخفِ مواجهك قبل أن تتبرّك في شجون أيامك،  
و حين تلسعك الرياح بخفة قاوم عبرتك، حدق في السماء وقل: يارب  
أهمني، فقد ضاقت الدنيا على عبده، بعثر آلامك في ورقة بيضاء، و حين  
تنتهي مزقها ثم ارمها بعيداً، ستشعر بحرية بعد رصده لما سيسك،  
وطردها خارج قلبك المبتسس، لكن دون أن يشهدوا لحظات ضعفك.

\*\*\*

فتميل إلى من يشبهك في اهتماماتك، وتجاوزك وقلة مشاركاتك،  
لأنّهم يعكسونك، حيث تراك فيهم، سترغبُ في مجالستهم حتى وإن  
تبادلوا الأحاديث، كل ما في الأمر أنك ستشعر بالراحة لأن هناك من  
يشبهك.. واستثنائياً مادياً.

\*\*\*



تلك الطفولة، كانت خدعة لطيفة من الحياة، استدرجتنا بهدوء إلى  
وعكات الامتحانات، نقفز من أرجوحة الحديقة إلى مواقفنا الصادمة،  
نتناول آلامنا بدلاً عن قطع الحلوى والآيسكريم المثلج، نخشى كسر  
حاجز الخوف وسلسلة أحزاننا، نهرب من الأمهات كي لا يقلن من  
أجلنا بعد أن كنا نهرع إليهنّ كلما تذبذت دمعة قاسية بين رموشنا البريئة!

\*\*\*

أوْضَبْ دمْعِيْ وَأَحْكَمْ عَلَيْ حَقِيقَةِ النَّسِيَانِ فِي وَتَرِ الْمَهْرُوبِ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمَرْمُوقَةِ لَدِيْ ذَاكْرِيْ رَغْمَ اكْتِرَاثِهَا لِضِيَاعِيْ وَشَتَّاتِيِّ الْمَنْدَلِعِ كُلَّ يَوْمٍ دُونَ مَطْرَقَةِ تَعْلِنُ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ عَذَابِ الْأَلْوَقَهِ دُونَ إِجْرَامٍ أَقْتَرَفَهُ قَطُّ.

\*\*\*

دَعَنِيْ أَخْبَرُكَ بِأَنِّي لَمْ أَبْدِ اهْتَامِيْ لِتَلْكَ الْخَيَّاتِ الْكَبِيرَةِ الَّتِيْ طَعَنَتْ شَغْفِيْ وَمَزْفَقَتْ آمَالِيْ. عَبَرْتُ حَامِلًا وَجَعِيْ عَلَيْ أَكْتَافِيْ دُونَ اسْتَدَارَةِ. تَحْمَلْتُ حَرْقَةَ الْأَلْمِ وَصَبَرْتُ كَثِيرًا. حَاوَلْتُ بِالْأَقْعَدِ وَأَخْطَمْ، بِأَنْ أَبْقَى ثَابِتًا، صَادِمًا، قَوِيًّا، مَتْحَجَّرًا. لَقَدْ نَجَحْتُ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ وَاعْتَدْتُ كُلَّ شَيْءٍ. اعْتَدْتُ الْخِيَانَاتِ، الْغَيَابِ، الْخَذْلَانِ، الْخَنِينِ، وَهَمْشِيَّةِ الْأَصْدِقَاءِ. اعْتَدْتُ أَنْ أَكُونَ وَحِيدًا. مُسَالِمًا. خَالِيَّةِ حَيَاتِيِّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. حَتَّىْ مِنِي..

\*\*\*

تَتَمَنَّىْ أَنْ يَخَافَ أَحَدُهُمْ عَلَيْكَ، يَبْحَثُ عَنْكَ، وَيَتَنْتَرُكَ إِنْ تَأْخُرَتْ، يَقْتَلُقُ عَلَيْكَ إِنْ اخْتَفَيْتَ فَجَأَةً، يَجْرِحَهُ مَا يَجْرِحُكَ، تَوْجِعُهُ مَوَاجِعُكَ، يَحْزَنُهُ غَرْقَكَ فِي وَحْلِ دَمْوَعِكَ، يَحَاوِلُ الاتِّصَالَ بِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ مَرَّةٍ حَتَّىْ يَطْمَئِنَ عَلَيْكَ، يَضْمِمُكَ إِلَيْهِ، فَيَهْمِسُ فِي أَذْنِيْكَ: أَنَا هُنَا لِأَجْلِكَ.

\*\*\*

وَتَظَنُّ أَنَّكَ تَعِيشُ بَيْنَهُمْ، وَأَنْتَ فِي الْحَقِيقَةِ فِي عَالَمٍ ثَانِ لَا تَعْرِفُ كَيْفَ وَصَلَتَ إِلَيْهِ، وَكَيْفَ بِإِمْكَانِكَ الْعُودَةِ.

\*\*\*

على متن تنهيدة أتجول في عالمي المشحون من وحي الخيال مسطّراً  
نوحاتي في عمق شرنقة المجهول وأسير مهياً للانحدار نحو ركن السقوط  
باستسلام، لأنسحب مصطحباً حنيني لأحدهم تمنيتُ لو أنه قال لي ذات  
مرة: لا تتوقف، استمر. إنّي هنا أعدّ دموعي على متن تنهيدة: فلقت كل  
ما بني إلى أجزاء لا تُحصى!

\*\*\*

نخبُ الليل، في قدح الألم، تسكبُ دموعك الماحلة بهدوء فتشربها  
وتكون فقاعات ماحلة تتفرّق أمام عينيك لتقول: نخبك، تغمض  
مشاعرك بخطى ثقيلة ثم تتجه نحو فراشك وأنت ثقيل، ثقيل كان جلاً  
وُتّد فوق رأسك، تتحسّ جدرانك حتى ترمي بنفسك على سريرك الذي  
اعتداد تلقي.. انهيارك.

\*\*\*

مرحباً صديقي، كما هو الحال دائمًا، أداعب حكاياتي البائسة مستمعاً  
للحون المرايا حين تغّيّي ضعفي المستمر على دفّة النّافذة، أعزّي هذا  
الوطن وأواسيه كل ليلة بحرقتي، إذ تسامي الرياح على هشاشتي، تضع  
شيئاً من سخريّة فوق منضدي المتهالكة، ثم ترحل ضاحكةً من ذلك  
السقّم المعتمدي على قلبي، ذو الفصول الحزينة.

\*\*\*

كم مرّة حاولت إخبارهم بأنك تعاني كثيراً، تناهى فوق أدراج منيابك،  
لا تملك كم التحرّي للمواجهة، تحتاج الاختباء بين أسرارك، التفقد  
لبقيابك، الصقل الجديد لروحك الكيماوية الأكسدة، ثم تشهق رحيك  
بعمق، بعمق طويل لا يتوازى والقلق، وتلوح بيديك كي لا يقتربون  
منك، عندما أصبحت بالدوار، فتحملك بنفسك وتعقد معها صلحاً  
مؤقتاً، من أجلك ل تستمر.

\*\*\*

على ماهيتك المعتادة تشرب قهوتك بعد أن تركتها في المتصف تغادر  
شرفتك، للبحث عن وجهٍ أضعته وأضاعك في زحمة الحياة الواسعة،  
تفيضُّ فيهاً في دهليزك المعتم، متکورٌ في همسةٍ أثار بها ليلك، تنادي القمر،  
إذ يموت في صفحة السماء بامتناع.. مؤسف.

\*\*\*

أن أكون كالصحراء، لا أشبه إلا نفسي..

\*\*\*

سُئِّمَتُ الانتظار والجلوس أمام الطاولة أرى العابرين في سبل الحياة  
يتسكعون مع من تمنوا إفناء العمر معهم إلى النهاية، سُئِّمَتُ أكتبهم كم  
أُنْهِم سعادة، وأنا وقلمي نعاني التعاشرة وسُئِّمَتْ، أنتظركِ يا جحيلتي تأتيني  
إليّ باعتذاركِ الذي يذوّب حزني: كانت الطريق مزدحمة لذلك تأخرت  
عليكِ، سُئِّمَتْ إخفاء دموعي عن المارة، ووضع نظاري الشمسية  
لحجب احمرارها عن شفقة العابرين.. (أحدهم يعاتب سعادته).

\*\*\*

خائف مني كثيراً، أخشى أن أتركتني في منتصف دمعة، وأنا بحاجة  
إليّ كاحتواء يقيني ارتعاشي ولهلي، أن أودّعني على محطة نهاية، قبل  
تحقيق الأحلام التي لطالما رسمتها طويلاً في ذاكرة شجرة مُسَنَّة، أن  
أصفعني وأرحل، تاركاً قلبي بين أحشاء الاستفهام، أن أهرب بعيداً عن  
ذاتي، أو أبقى وحيداً على حافة العزلة، أداعب شهقاتي بهدوء.

\*\*\*

صَدَّقْنِي، ما غادروكِ إلَّا بعد تفكير، تفكير دقيق جداً، ربما طيتك لم  
تعجبهم، لذا هم بحاجة إلى من يصفعهم، ويركل مشاعرهم، يغرس  
الحزن في قلوبهم، يخذلهم كثيراً، ويخيب أملهم إلى حد اللاتوقّع في رحلون،  
 تماماً ليشعروا بما شعرت به.. وأكثر!

\*\*\*

قلبك ظمآنًا لذلك أنت تشعر بالشحوبة، بحاجة إلى ماء احتواء  
بروبي حنينك ويرطب وديانك المدفونة في جور الجفاف، يترس لفتك  
بالارتواء النهائي، وبعد انتهاءك من شرب ذلك الماء تبكي طويلاً، تزيح  
آلامك عنك، تسردُكُمْ أن خفقان وجعلك يطعنك، كم أنك بحاجة إلى  
وَدٌ غير مزيف، يدوم للأبد!

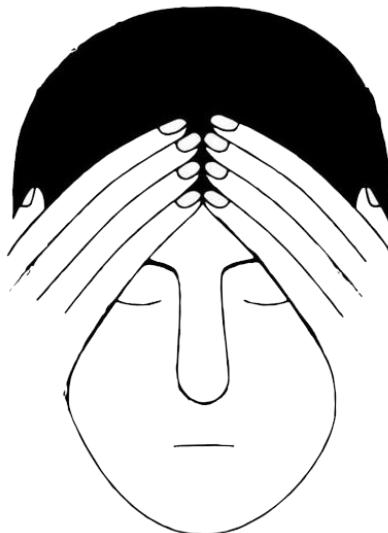
\*\*\*

بين زوابع أفكارك، التي تتناثر من فم هذيانك، في وسط فنجان يرتأدُ  
بقيّتك، أعدادته والدتك بحبّ، ثم تستنشق هوائك المفعم بالألم، وتزفر  
بقايا روقان في جوّ الضجيج الملتحم بُنْخبة الثالثة، بين إعصار دمعة  
تناهadt بفلسفة عاشق، بين زوابع أفكارك تروح ملتمساً شيئاً من مسراة  
تصطحب الأمان!

\*\*\*

للذاكرة مقهى على مقاعدها قلوب خُذلت، تحسي خيباتها بحسرة  
وترتجي الماضي أن يعود لتصقل كل شيء، ثم تعود إلى حضن الماهية،  
تشعل سيجارة لديها شغف، شغف التخلّص من صداع الأفكار  
المتناقضة، المحدثة كُمْ فظيع من الثقوب والفجوات، وبين ركني مقهى  
الذاكرة، عازف بيانو يواسي الجميع، المعلنون موسمهم الخاص.

\*\*\*



آخر ظهور كان ليلة ما قبل ليلة البارحة، حين انسحبَتْ من بينهم  
أداعبَ أدمعي، وأعاتبَ عبراتٍ رقصتْ في حنجرتي حتى أفاضتني  
بالاختناق وغادرتْ، غادرتْ متروساً بالوجع الحيادي، أزعجتني فكرة  
الانسحاب والاستجابة للبكاء على صفة رصيف فارغ، سئمتُ الخنوع  
لتلك الغصّات المتأرجحة فوق أغصان ضعفي وقلة حيلتي، سئمتُ  
أكذب على أمي، بأن عيني تعاني الحساسية لأنها قلقها علىِّ!

\*\*\*

حالوا بیننا حتی وضعوا حاجزاً لم نتجاوزه إلا بالكتابة!

\*\*\*

وأخشى أن تداهمني الشيخوخة قبل أن ألتقي بحلمٍ أصحي في قلبي،  
ولطالما ثُبت في سر ريشة تتناولها أكف الهواء إذ تقفز من كف إلى آخر،  
راغبةً بشيء من ضحكة تناغم سكونها، تحشر جه حتى تفضفض بعد  
ارتدائها للكتمان طويلاً بين صخبِ الجموع.

\*\*\*

ائتني بقناعك الحقيقي. فلدي ذاكرة ضعيفة قد لا أعرفك حين  
تزورني بقناع آخر.

\*\*\*

طاعن شعور الغربة بين أصدقائك وأهلك حتى مع نفسك، تشعر  
بغربة فظيعة غير مألوفة، ترغبُ معرفة ماوراء الشتات من تعليل، ماوراء  
القلب من بؤس، ما خلف جدران ملامحك من أسرار، ما بين سطور  
ذاكرتك من حكايات لا تُروي حتى لنفسك..

\*\*\*

أبحرتُ اكتفاء بك. غرقتُ في خوفي. كيف هان عليك تمزيق  
الأشرعة؟ وحسبتكَ مجدافي على قارب وحشتي في غيبيِ دهري الأعرج  
كيف هان عليك تحطيم المجاديف؟ تشبتُ بك لأنني كنت أحسبكَ  
النجاة لا طوق النجاة، كيف هان عليك إفلات يدي؟

\*\*\*

أين المفر من هذه الذكريات الطارقة أبواب هدوئي بكل سذاجة،  
حيث تهرب من ذاتها وإن كنتَ آهَا دخوها، تجول بين أركان قلبي بعشيةٍ  
شاملة، وحين تنتهي من بعثرة تفاصيل الذاكرة ترکل قوامي وترحل،  
ترحل سالبةً من خزنة مسرقى السرية القليل من مقتنيات السعادة التي  
خبتها لأجلِي منذ زمن طويل!

\*\*\*

أحاديثِك يا أمي، لو أن يتحدث الناس بمثلها لأصبحت الدنيا بخير،  
لاطمأنَت الكرة الأرضية، لأنقرض الحقد وتلاشى العناء وتبددتِ  
الأحزان وانتهت أدوار الضيق والحزن، لأن أصبحت الأرض جنة لأنّ  
قلبكِ جنة، وما تقولينه يلهم قلبي بالكثير من الإلهام يا الله! كم يحبكِ  
قلبي..

\*\*\*

الدنيا علمتني، أن الحبّ الأول هو الحب الأخير وأن الحب الآخر حكاية لا تنتهي، أن الحزن عابر حتى وإن خطف متنّاً الكثير من ملامح الحياة الزاهية، أنّ الأنقياء وحدهم ينضجون لأنّهم وحدهم سيخذلون من قبل الأصدقاء، أنّ التعرّفات بوصلة الإدراك وأن الإخفاقات خارطة للعثور على وجهاتنا، وأنّ الأصدقاء لا يدومون إلى الأبد، وأن الأوقات القاسية والشديدة هي التي تكشف الأقنعة وتبين جوهر الإنسان الحقيقي، أن أحاديثهم مزيفة، إلا أحاديث أمي.

\*\*\*

حسافة، على صدقِ بذلته ونقاء بعشرته براءة لا تنتهي، على حبٌ تلاشى والرياح، ورسائلٌ نُفِيت إلى موطن المهملات، ومقاطعٌ صوتية غرغرت العبرات في مضيقِ حنجرتك، ومحادثات مزّقت أوتار شغفك إرباً دون ضمير مُسبق، على كل شيء جميل قدمته وجزيت بعكسه!

\*\*\*

يُقال بأن القمر يستمد ضوئه من الشمس، لذلك أبدوا مظلماً منذ أن فقدتك.

\*\*\*

أن تحمل الريح صدى بحثي المقوبة إلى جيوب قلمك المحتضر. فتعاد إلى كنَصٍ فقا الجرح أسراره الخرساء.

\*\*\*

رَبِّيَا مَرْحَلَةُ الْلَّامِبَالَّةِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْهَا، كَانَتْ نَتِيْجَةُ الْضَّرَبَاتِ الَّتِي  
تَلَقَّيْتَهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً يَا صَدِيقِي.

\*\*\*

ظَلَّ بَعْضُ الْأَقْرَبَاءِ يُحَاوِلُونَ هَدْمَنَا، بَيْنَمَا كَانَ يَعِدُ بِنَاءَنَا الْغَرَبَاءِ.

\*\*\*

لَمْ يَتَظَرِ الْبَحْرُ أَحَدًا، وَلَمْ يَرْغَمْ أَحَدًا عَلَى الْبَقَاءِ، لَكِنَّهُ التَّهَمُ الْكَثِيرُ مِنَ  
الْأَسْرَارِ، لَا تَلْمِهِ إِنْ هَاجَ بَعْتَهُ، الْأَسْرَارُ لَأَذْعَةٍ، لِلْبَحْرِ جَوْفٌ لَا يَحْتَمِلُ  
ذَلِكَ، دَعَهُ يَتَقِيَّاً أَمْهَ، فَهُنَّاكَ أَرْوَاحٌ فِي طَرِيقَهَا إِلَيْهِ، تَنْوِي التَّقِيَّةَ، تَقِيَّوْهُ  
مَأْسَاءً جَدِيدَةً، إِلَى بَطْنِهِ، وَتَعْبُرُ !!

\*\*\*

أَنْتَ تَشْعُرُ بِالْخَنَقَ لِأَهْمَمِ بِسَاطَةٍ لَمْ يَتَرْجُوكَ وَلَمْ يَقْرَأُوا مَا تَقُولُهُ  
عَيْنَاكَ، أَوْ يَوْافِقُونَكَ آرَائِكَ، أَوْ يَفْهَمُونَ مَا يَصْهَلُ فِي صَدْرِكَ مِنْ أَحَلَامٍ  
لَا تَكْفُّ عَنِ الْصَّرَاطِ.

\*\*\*

سَيِّدُوْهُمْ أَنْكَ صَمَدْتَ، بَيْنَمَا أَنْتَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ فَرْطِ الْمَلِكِ..  
تَصَخَّرْتَ.

\*\*\*

وانتهى الأمر.. بقصيدة رثاء مثيرة للحزن تروي مالم يكن وتعاتب ما  
حدث فيها كان، أصابت القلب بجلطة اللاشعور، تحدّرت المشاعر قليلاً  
فتهنّدت حين انغرس سهم خذلان عابر بين أحشاء سلامها بغترة تلاشى  
كل شيء، ليلحن المطر قصيدة رثاء لقلبين: سار كل واحد منهمما في اتجاه..  
معاكس للأخر !

\*\*\*

يا صديقي، رُبما علينا أن نبقي في المتصف، البداية مأزقٌ، والنهاية لا  
تُخلّف النجاة دوماً.

\*\*\*

الوفاء الحقيقى للموتى هو أن نشعل نار الشوق لهم بالأبجدية كلما  
حاول التعايش خدها، وأن نُنْجَح عطور أصواتهم على ياقبة اللحظة  
السردية حتى لا تغرينا البهجة ونسى أننا يوماً ثقينا بفقدهم، وأن  
نعلقهم على عنق الذكريات كقلادة مودة أبدية كلما ازدحمت حياتنا بغيوم  
ود مزيفة، وأن نرسمهم على مرآة العين كلما حاولت أن تُعزي من لا  
يستحق العزاء، وأن نعتنق رواحه ماضيهم، كلما حاول الحاضر أن يُيهى  
تلك الروائح بلذة التناسى الجوفاء، أن يكونوا دائمًا الأولى في الخيال،  
والوصال، والتذكرة، والمحبة والدعاة !

\*\*\*



مُتَنُّ جُمِيعُ الْأَصْدِقَاءِ الَّذِينَ عَلِمْتُنِي الْأَتِكَاءَ عَلَى الْجَدَرَانَ  
لَا عَلَى أَكْتَافِهِمْ.

\*\*\*

تضحياتك، وتجاوزاتك لأخطائهم بحقك، غفرانك لزلالاتهم مراراً،  
كبحك لشعور الأسف منهم كلما خذلوك وهمشوك خدك لظنونك  
واعتقاداتك الصائبة بهم لأنك تؤمن بأنهم لن يطفئوك يوماً، أفكارك  
الخيالي بين ما اكتريوه وبين ما تشعر به من حسرة، كل تلك المشاعر  
المترادفة التي خُضتها سابقاً هي ما جعلتك تشعر بالأسف من نفسك  
اليوم!

\*\*\*

الطقس بارد، والجميع يرتدون أثقل المعاطف إلا أنت ربها ترتدي  
أثقل الآلام، تقرسك أحزانك بعنف حتى استحالـت التدفئة، أطرافك  
باردة جداً، ليس جراء الطقس كلاً، إنما طقس الشعور بداخلـك شديد  
البرودة، شديد جداً وما قد يدفع قلبك، اعتذار من صديقـك خذـك  
بقوـة، الصديق الذي يعاني منك بداخلـك.

\*\*\*

حدّثـني أيتها الأـرصفـة، كـم من الـباـكـين عـانـقـتـ، وـكـم من التـائـهـين  
أـوـبـتـ، كـم من الـبـارـدـين أـدـفـأـتـ، وـكـم من الـجـائـعـين أـطـعـمـتـ، وـكـم من  
الـمـأـوـهـين وـاسـيـتـ، أـنـتـ حـنـونـةـ كـأـنـكـ عـطـفـ الجـدـاتـ فـحـدـثـنيـ!

\*\*\*

لا تسأل عنِّي، بل اسأل عن نفسك كيف أصبحتْ بعد رحيل المؤبد!

\*\*\*

ما زلت أتعجب من الأثر الذي تركه بعض الكتب في دواخلنا، حتى أنها تجعلنا يوماً بأكمله تحت تأثير ما حدث، ولا سيما النهايات الحزينة، تجعلنا نعود إلى الوراء، كأننا نواسي أبطال الكتب بأننا قاسينا الشعور ذاته، فقط لأسباب مختلفة، وفي أماكن مختلفة، وظروف ومواقف مختلفة، ثم يسألنا من حولنا، عن سبب مزاجنا المُتعب، ونكتفي بإيماءاتنا فقط، فمن ذا الذي سيفهم عزاءك لشخص سُحق في الخيال وحسب.

\*\*\*

أوصل سلامي إلى (أنا)، أيها المساء الشقيّ، وأخبرها بأنني قد اشتقت إليها وأنني أدعوها لاحتساء القهوة معًا، نذكر المواقف الجميلة التي لطالما عشناها حتى ترنمت صافرة الفراق، ثم افترقنا بقناعة من كلينا، أخبرها بأنني أريد أن نصبح أصدقاء وحسب، وبأنني سوف أنتظرها حتى تأتي، في مقهى العزلة.

\*\*\*

في قهوة الْبُنِّ حكايات حزينة، تشبه بلدة اشتهرت بها ذات زمان،  
تكمّن تفاصيلًا عميقـة، مبـهـمة كـأنـها الحـرب المـبـهـمة في أـرـض السـعـيدة،  
تطـوـفُ بـي إـلـى عـالـم التـسـاؤـلـات لأـصـطـدـم بـأـكـافـ الـتـائـهـيـن مـثـلـيـ في عـالـم  
الـبـحـث لأـفـكـارـ لا جـدـوـيـ من إـقـامـتـها بـمـوـطـنـ قـلـوبـنـا المـشـوـهـةـ بـأـحـزـانـ  
الـفـقـدـ وأـوـجـاعـ الغـيـابـ، وـجـرـقـةـ الفـرـاقـ الـتـي أـصـدـرـتـها مـحـكـمـةـ الحـربـ!

\*\*\*

تـوـقـّـعـ أـنـ تـرـانـيـ كـيـئـيـاـ بـعـدـ عـودـتـنـاـ مـنـ حـفـلـةـ صـاـخـبـةـ. مـنـ اـعـتـادـ الـمـكـوـثـ  
فـيـ الـعـزـلـةـ، تـرـهـبـهـ الـأـمـاـكـنـ الـمـذـحـمـةـ..

\*\*\*

حـكـاـيـاتـ الـلـلـيـلـ تـنـهـيـهـاـ نـقـطـةـ ضـيـاعـ فـيـ بـحـرـ الـأـعـمـاـقـ الـمـتـراـكـمـةـ فـوـقـ  
مـنـضـدـةـ الـحـيـرـةـ، تـرـوـيـنـاـ لـذـاـ نـحـنـ نـخـشـيـ النـهـاـيـةـ كـأـنـ نـحـصـلـ عـلـىـ بـضـعـ كـفـٌـ  
فـيـ آـخـرـ الـمـشـوارـ.. فـنـتـهـيـ، وـتـنـتـهـيـ الـحـكـاـيـةـ!

\*\*\*

لـنـ يـطـيـقـوكـ حـتـىـ تـواـكـبـ سـطـحـيـتـهـمـ، أـوـ أـنـ تـكـوـنـ نـسـخـةـ مـكـرـرـةـ  
مـنـهـمـ، وـتـتـبـعـ الـقـطـيـعـ الـذـيـ لـطـالـمـاـ مـشـواـ مـعـهـ.

\*\*\*

هادئٌ كلونِ الليلِ.

\*\*\*

اختالت الأحزان علينا يوماً واغتالت ما تبقى من شعور لتفيض المشاعر بالعنصرية، بين حزب القلب وحزب الذاكرة، وكل حزبٍ يماري الآخر بصوابه ونحن في المنتصف، نراقب بقلة حيلة.

\*\*\*

العودة، هي أن تحمل ماضيك على أكتافك حين لم تستطع التخلص منه، وتستمر في السير نحو المستقبل لتحمل على كتفيك ماضٍ آخر بعد أن تعبر من محطته..

\*\*\*

المنعزلون منطقة مغلقة، يحبون التأمل في كل شيء، لكن عن بعد!

\*\*\*

كُنتَ الليل الذي فقاً عين شمسي، والعاصفة التي دهست صوت شموعي.

\*\*\*

وَحِينَما بَزَغَ فَجَرُ يَوْمِي بَدُوتُ مَعْتَمًا مِنْ بَقَايَا لَيلٍ، رَاوِدَتِنِي  
اِضْطِرَابَاتٍ مِنْ كُلِّ اِتِّجَاهٍ، عَلِقْتُ أَنْفَاسِي فِي خِيَاشِيمِ التِّيَهِ وَلَطَالَمَا حَوَّلْتُ  
السَّبَاحَةُ أَوِ التَّحْلِيقَ لَكِنَّ زَعَانِفِي تَخَدَّرَتْ وَأَجْنَحْتِي كُسْرَتْ!

\*\*\*

الْمَطَرُ، وَسِيلَةُ عِنَاقٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

\*\*\*

يَجِبُ أَنْ تَعْتَادَ عَلَى أَنْ تَخُوضَ غَمَارَ مَا يَمْزِقُ فَوَادِكَ بِمَفْرَدِكَ. الْإِتِّكَاءُ  
الْدَّائِمُ فَخْ!

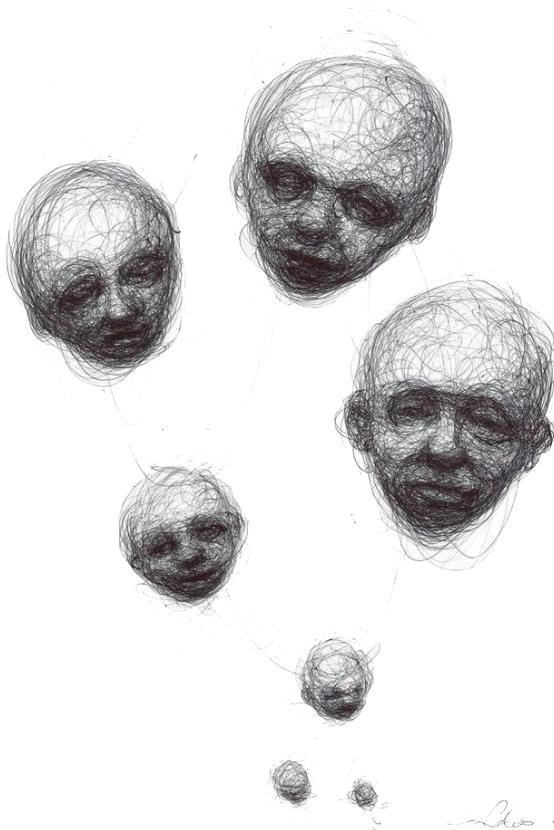
\*\*\*

قَارِئٌ تُحِبُّ الْكِتَبَ؟ لَا تَحَاوُلْ عَبْثًا، إِنَّهَا لَا تُهْزِمُ

\*\*\*

أَتَقْهَوَانِي فِي فَنْجَانٍ صَمْتِي بِهَدْوَءِ أَتَأْمَلُ مَشَاعِري كَيْفَ تَبَخَّرُ،  
وَتَنْزَلُقُ مَرَادَةُ التَّفْكِيرِ عَبْرِ الْقَلْبِ الَّذِي مَزَقْتَهُ الْعَبَرَاتُ، الْاِكْتَرَاثُاتُ  
الْمَغْفُورُ لَهَا دَائِمًا، الْمَوَاقِفُ الَّتِي تَجَاوِزَتْهَا، أَتَلَذِذُ أَلْمِي، وَأَلْعَقُ مِنْ نَهْرِ الْبَكَاءِ  
قَسْمَتِي مِنَ الدَّمْوَعِ وَنَصِيبِي..

\*\*\*



— 18 —

أَحَانْ آذَارْ المَزْوَجَةْ بِنْسِيمْ اللَّيلْ، عَنْدَمَا قَادَتْنِي نَحْوَ بَحِيرَةْ أَمْسْ،  
وَأَمْوَاجْ كُلْ شَيْءْ أَنْهَكَنِي، لَاطْمَتْنِي عَلَى صَخْرَاتْ الْأَسْى حَتَّى تَدَالَّتْ  
الْأَعْاصِيرْ بِقَيَّاَيِّ وَكَأْنِي رِيشَةْ وَقَعَتْ فِي عَمْقِ مَحِيطْ، غَرَقْتُ فِي هَثِّ  
الْمَنَاجَاهْ أَنَاهَدْ خَيْبَتِي بِلَطْفِ مَتَغَطَّرْسْ وَأَحْفَرْ قَصْتِي الْبَائِسَةْ عَلَى وَجْنَةْ  
صَخْرَةْ صَدَّعْتِنِي دُونْ ضَمِيرْ.

\*\*\*

أنا القطار الذي فاتني، والمحطة التي انتظرتني.

\*\*\*

وبينما تلقى على رفوف خيالك الجذل تُنادي الطيور المهاجرة، أنك ولدت في أرضٍ لا تليق بأفكارك عن طريق الخطأ.

\*\*\*

في لحظة انطفائي، لا تسألني مابك فقد انطفأت وانتهى الأمر، ها أنا حوزة شهيقٍ أراقب شمس حلمي كيف تغيب، تاركاً قلبي لفحى الليل، وزرعْتني في أرضٍ يمر منها الأموات فقط، كلما سعل القمر وتنحنحت حنجرته بغيره الكلام، في لففة الظلام وأسفِ الختام!

\*\*\*

عاقة حروفي حين اعوجت على رصيف اعتراف أوى إلى ورقٍ حزينة تجول في شارع ساكن يتقافى والرياح بعنفٍ جبار، حتى تدحرجت هاربةً من فمي، وأنا الذي حاولتُ التشبث لكنّي فشلتُ في قضية التشبث بسهولة، فأدركتُ بأن الأقدار كالرياح، تأخذ ما تشبثنا به طويلاً بغترة.

\*\*\*

ويُذكِّر المطر بهم وكأنه رائحتهم التي يحدثك عنها موسم الذكريات، تلك لففة لقاء تحت مظلة واحدة، ترثيك غيمة صرخت تحت هطول أشواقك وحيداً، والناس يخرون هروباً من الغرق، وأنت تغنىك تحت عزف المطر؛ لأنك قد اعتدت الغرق.

\*\*\*

أواسيك أيها المعَرَض للألم على حساب وفائقك، أيها المهمش في رحاب السراب، المُطَوَّى فوق رف الضياع، المنسي والمنسوب إلى لحظة احتراق لا مرئية، أواسيك بقهوةي الماحلة من كأس عيني الرائبة، بنصٌ بائس، أضعت دفتراً كتبت فيه ذلك النص!

\*\*\*

وكانت الناس تناديه: يا مجنون ليلي، فيحب ليلي أكثر!

\*\*\*

إني بحاجة إلى منزلٍ آخر، مقعد آخر، شرفة أخرى، مدينة أخرى، موطن آخر، وإليّ أيضاً!

\*\*\*

خاب ظنّي فيّ كثيراً خاب، غروبي معادياً لشروعي، وحزني حاجز  
فأصل يفصل بيني وبين جزء من سعادة، أستيقظ مناديًّا بأسمائهم  
وأسمائهم تُنادي من قبل آخرين لستُ منهم، تهدمني أفخاري كلما همت  
النهوض، تغتليني عبرة كلما قررت الضحك، فأهرب إلى بحر حكاياتي  
لكتابة اللانهاية!

\*\*\*

كلما قل الأشخاص من حولك كلما أصبحت أكثر قدرة على عيش  
الحياة كما ينبغي، دون مزاحمات لأفخارك وأشيائك، وأوقاتك التي  
ترغب قضائها بمفردك.

\*\*\*

بُؤسَاء كنجمةٍ وحيدة في سماء دامسة، يحاوطنا الشتات من كل حدٍ  
وكل الجهات معجونة بالخوف المللّ بالبكاء، ضعفاء والقلوب يتيمة  
البهجة نائمون فوق صدر العنااء غفوّاً والحزن فوق صدورنا وهي  
المملوءة بالأسى حين طوّقنا الجفاء..

\*\*\*

سينعتونك بالمجنون عندما تضحك بإفراط بالانطوائي عندما تهرب  
من سخافاتهم بالمريض نفسياً عندما تخبي نفسك عنهم طويلاً، بالثرثار  
عندما تسرد بهجتك بصوت عالٍ، بالمعقد عندما لا تبالي لسفاسف  
الأمور، إنها وظيفة الفارغون يا صديقي فلا تعجب.

\*\*\*

في رحاب الروح بحثت عن أنا القديمة، كنت بحاجة قصوى إليها،  
أفتشر بين ريش مخباً في قش عزلة لم أجده شيئاً سوى رائحتها، كم هو  
حارق فراق الروح، البحث عنها طويلاً، ثم لا تجدها لأنها هربت مع  
أصدقاء الليل إلى كهوف البكاء..

\*\*\*

كان الأمر أشبه بانتظار الأم طويلاً لعوده ابنها المحارب فتعانقه  
وتعانق فيه رائحة الوطن، ثم يقبضها الشعور الأمومي لاقتراب أجل  
الفرق فتراوغ ذلك الشعور، حتى تراه بعينيها في الصحف ووسائل  
الإعلام يحترق في سكون الموت بيضاء فلا يعود إليها لتحتضنه ولا  
لتحتضن فيه رائحة الوطن، فتوقن حينها وإلى الأبد أنه قد رحل أبدياً  
ورحل معه الوطن!

\*\*\*

لهفةُ المساء لمعانقة هشاشتنا لا تقل عن هفتنا لأصدقائنا الذي  
ودعنهم على محطة فراق أبيدي، الفراق الذي نهش ربعنا، الربيع الذي  
حجب انطفائنا بيننا وبينه وبين حياة مليئة بالمسرات، المسرات التي  
أخذوها معهم في حقائبهم!

\*\*\*

يُلفتهم أنك تغيرت فقط لكنهم لا يتساءلون لماذا طرأ ذلك التغيير  
المفاجئ، أو ما العواصف التي سحقتك حتى أصبحت شخصاً آخر..  
ليس أنت.

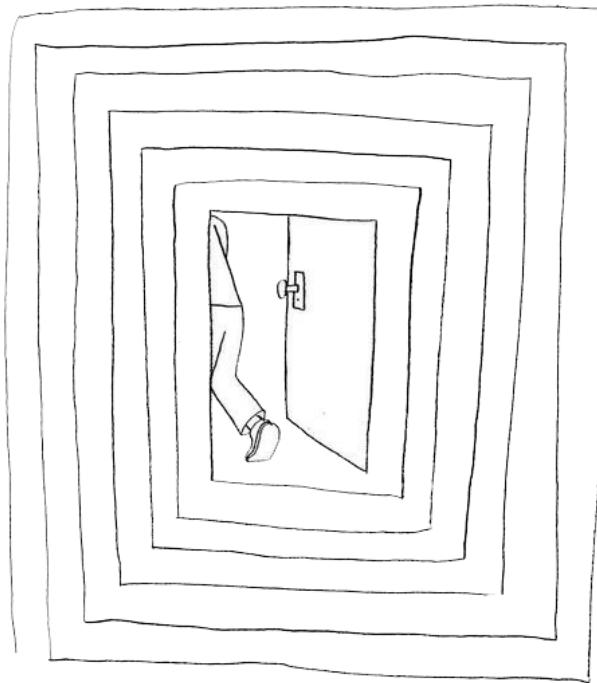
\*\*\*

المواقف كفيلة في كشف أمر مهم للغاية.. أن أعداء اليوم قد يكونوا  
أصدقاء الأمس.

\*\*\*

قد نبوح للأمهات بعضاً من تلك التنهيدات التي يقرأها تنزو في  
وسط أحضان أجفاننا الخائفة المتأهبة للسواد، أو نعرف للأصدقاء عن  
مدى شعورنا بالكآبة المزمنة، لكننا مع كل ذلك نشعر بأننا ما زلنا  
متخمين بالكثير من الكلام، ونشعر بأننا فاشلين جداً في شرح ما يدور في  
قلوبنا، ثم نكتفي بالجلوس طويلاً مع أنفسنا محاولين عقد الصلح معها!

\*\*\*



بعض الناس يتواجدون في حياتك ليعرفوا أخبارك ليس بدافع  
الاطمئنان إنما بدافع التشمت.

\*\*\*

الكثيرون أداروا لك ظهورهم حين كنت بحاجة إليهم... تمني  
فقط لو أن يدور الزمن، ليس لتدير ظهرك كما فعلوا، بل لتدير ذاكرتك..

\*\*\*

انتظرتك كثيراً يا صديقي، لكنك تركتني أنتظر عبشاً، كنت أعتقد  
بأنك منهمكاً بشيء ما لكنك كنت تقضي الوقت معهم وأنا هنا وحيدُ  
أواسي قلبي وأقوم بخياطة الفتوق التي توسيع بفضلك فيه، أشحذُ  
ابتسامتي ليوم غد كي أجتاز تساؤلات المحيطين بي عندما يقولون:  
ماياك!

\*\*\*

- المكان الذي تُخُذلُ فيه غادِرِه.

- ماذا إن كنت قد خُذلْتُ في كل الأُمكْنَة؟

\*\*\*

سألني أحدهم: أنت تحب الجلوس في المقاعد الأخيرة، وبمفردك  
 تماماً لماذا يا تُرى؟ ... قلت: يكون الإنسان محفوفاً بالأمان أكثر كلما صار  
 وحيداً، الوحيدة حياة العظماء..

\*\*\*

الأمر الذي يزعجك أنك وحيدُ، تريد أحداً يشارطك حرقتك، لكنك  
 أيضاً لا تريدين!

\*\*\*

كُلَّما تنازلت حصيلة الأشخاص من حولك، كلما تصاعدت حصيلة نضجك! يكمن نضجك في الاكتفاء بنفسك لأنك تومن بأنك قادرٌ على عيش حياتك بمفردك ولا حاجة لك بأحد، وذلك النوع من الاكتفاء لا يتقنه إلا قليل.

\*\*\*

في فقصٍ تائه بين أيدي الظلام، يتداول المساء هشاشتك، وأنت مصدعٌ بالأسواق الخياري، أما الدموع فتغرقك، وأما البكاء فيخنقك والصوت مكتومٌ في غربة الأوجاع، تقاففهم باللحن المشيد بالنشيج، بيد الحنين الذي عزفته آهاتك المنسوجة بالألم، رب اقتراحٍ يتشكل روحك إلى قلب الوداع، وتنتهي.

\*\*\*

إنني أعاني من لفتي لأشياء لم تدعلي من شوقي لأصدقاءٍ رحلوا من انتظاري لأحلامي على حافة: المستحيل. من انهيار جسور الشغف في داخلي.

\*\*\*

إنني أشبك يدي في يدي ما عدت أطيق الانتظار لأكفٌ تماماً كفوفي نهضت من مقعد رجائي لإتيانهم، متوجهًا نحو عزلتي بكل خيبة، متشبث في البقايا الضئيلة مني كي تبقى معي.

\*\*\*



ما زلتُ أحمل رمحَ الأمل على أكتافِ المتهالكة وإن كان ثقيلاً، أتوق  
لغرسه في خاصرة واقعي السفاح هذا، لعل شيئاً من هواء السلام يتسلل  
شغفي!

\*\*\*

إلاً عشرين دمعة توقيت هذا القلب وعقاربه المسائية المتطفلة  
بالضياع، أرافقُ نافذةٍ مغلقة مقابلة لنافذتي تماماً وأفكر طويلاً في من  
يسكن تلك الشرفة، أحياناً ما يجتاحني، أهو هاربٌ منهم كما أنا هارب،  
حيث لم يفهم تقلباتي المزاجية أحداً، أهو يبكي مراراً كما أصبح المرار هذا  
روتيناً لي..

\*\*\*

صنبور المساء يقطر الأوجاع فوق إماء ذاكرتي الموشومة بالصدأ، وأمّا الحنين فيقزح بباب قلبي ثلاثةً وأربعاءً، والعاشرة تخلعه، هذا أنا معلق في خيطٍ غصة، قابعٌ في أراضي وحدتي، محملٌ بالكثير من الكلام، تسبقني غصةً، وتعثرني دموع حنيفي إلى قلبي القديم..

\*\*\*

علمتني الوحدة أنَّ الأصدقاء سيشعرونك بالحياة إن كنت متواجداً معهم فقط وإنْ تكن متواجداً، فلست موجوداً أساساً ليشعروك بها، أنَّ البكاء ترثيتك لطيفة لكتنِي الكثير من الآلام التي تجمعت فوق رصيف القلب الهشّ، وأنَّ النسيان، لا يتوافق مع ذاكرة عنيدة.. البتة!

\*\*\*

نعم الصديق أنت أيها الصوت المكسور في وعثِ مراتِ الحديث الباهت، المنادى بالبائس كلما لمح العابرون شارداً قرب نافذتك الصغيرة، النائم على بساطِ انهيار، ملفوفاً بنقطةٍ سوداوية تحت غيمة عناق مع الماضي، نعم الصديق أنت، فأنت تواكب انطفائي تماماً!

\*\*\*

إنها الأحلام يا أمي، أحلامي الكبرى، طمست تفاصيل السلامِ  
أعيشُ أو أتعايش كالبقية، لكنني لا أريدُ أن أكون البقية، فأنا أنا، أريد أن  
أكونُ أنا، لا أريد يا أمي أن أكون البقية..

\*\*\*

أنا فخورٌ! لأنني حبكتُ مسرقي بيديّ، واسيئتُ لفتي لأحلامٍ  
تلاشتُ، وكبحثُ رغبتي للبقاء مع أشخاص يرغبون البقاء مع آخرين.

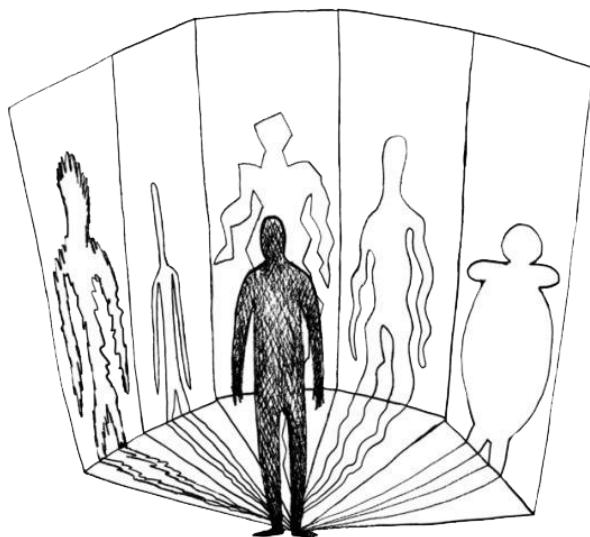
\*\*\*

لقد تغيرت الأمور، لم يعد القلب يتحقق حين يراهم، لم تعد حدقة  
العين تتسع، أو تبتسم الدنيا ويضحك الزمن وتتوقف الريح وعقارب  
الساعة تكف عن النقيق، ضمن العابرين أصبحوا، لا يؤثر بنا غيابهم أو  
تواجدهم حتى، سقطوا من قلوبنا قبل عيوننا، تلاشوا من ذاكراتنا جداً،  
نسيناهم والحمد لله..

\*\*\*

كانوا يعتقدون بأنهم سيهزمونك برحيلهم مع غيرك وإفلات كفهم  
عن كفك. وأنت تجلس بعد ذلك تتحسر على شيء واحد فقط. هو أن  
الحظ لم يسعفك لتخبرهم بأن رحيلهم من حياتك بالنسبة إليك انتصار  
وليس هزيمة. ومن أعظم الانتصارات التي نلتها على مر الصدف التي  
خضتها!

\*\*\*



وعزاًوك أن تولد بأجنحةٍ في أرضٍ ثكل، بلا سماءٍ!

\*\*\*

ليس الجميع يوثقون هزائمهم فقط مع أشخاص آخرين، ربما قد تكون تلك الهزائم نتاج عن حروبٍ خاضوها مع أنفسهم.

\*\*\*

التلويحة الأخيرة كانت بداية جديدة بالنسبة لي، بداية جديدة لاختباراء جديد.

\*\*\*

## مخرج

كم مرة بدت لك الحياة قاسية، كأنها أنججتك قسراً، لا ترغبُ في رؤية وجهك أو سماع صوتك، لا تروقها نجاحاتك أو محاولاتك، تشعر بها تتجول كل ليلة حول سريرك ترحب التخلص من عيئك، كلما نهضت مجدداً تتحسس أنفاسها تزار من خلفك، كأنها تقول: لا يليق بك النهوض، الدنيا تسود أمامك، وكل العالم يبدو لك خاذلاً، وكل محاولاتك تبوء بالفشل، وكل أنواع الكآبة تطرق بابك واحدة تلو الأخرى وحين ترفض فتحه تخلعه لتقتحم شرفة روحك، لديك الكثير من الأفكار والتخيلات والأحلام، لكنك تشعر بأنها حبيسة صدرك، لا تجد ضالتها في سمومية واقعك، فتقصدُ سبل الزوال لتسافر إلى غيرك، لأنك لم تستطع احتواها أو إخراجها إلى النور، لا أحد يؤمن باستثنائك، وكل أحلامك معرضة للتلفير، وكل آمالك العظيمة تُناشدُ الاستقلال ليجيئها الاستقلال أنه ما زال يبحث عن استقلاليته..

تحتسيك الكلمات من عقبِ المساء بهدوء يحاوط مقلتي الشعور، كأنها أنججت لترضع الظلام من ثدي الظلام وتتبلور بين أحضان الأمومة الحياتية القاسية، وكان الحلم لقيطاً لم يعترف به أحد، يتوه بين أرصفة الوجوم حتى أيقن أنه مأوى لنفسه فآمه وضعته قرباناً لأرصفة الخطيبة. ولا يدرى إن كان له أبٌ أم أن أمه قد نكحت الظلام فأنججت كهلاً صغيراً يتقيأُ السواد كلما اصطدم بالنور بعنة!! هأنذا أخبرك بما أوتيت من

انهيار، بأنني قد حاولت، حاولتُ أن أكون عادِيًّا، أتخطى الأمر، أغادر هذه الزاوية، وأخلع قميص خوفي، لكنني أعود، في كل مرة أتحلى بالشجاعة وأجاذف، أعود من متصرف الطريق، وأتشل نفسي من الصخب، بصعوبةٍ بالغة، أعود ملوثًا بالضجيج، مليئة ذاكرتي بالكثير من التفاصيل، قتلتني التفاصيل، إني فريستها والأفكار المفرطة، كل الأشياء من حولي، تحدق إلي، كأنها تنفيسي عن هويتي، عن ذاتي. الأصوات، الضحكات، العابرون، كانوا كجبل ضخم يحتم علي صدري، حاولتُ أن أكون بينهم، أن أصفق الباب في وجه الوحدة، وأعيش كالبقية، لكنني كنتُ وحيدًا، حتى في الحين الذي كنت أتواجد بينهم، كنتُ وحيدًا، لذلك قررتُ العودة، مصطحبًا ذاتي المرقطة بالشروع، لأكون وحيدًا، بملء معنى الوحدة!

## مقدمة متأخرة

كنت أحاول زيارته ما بين الفينة والأخرى، لكنه لم يكن يسمح لأحد بالدخول إليه أو التحدث معه، وعلى الرغم من أنني كنت أبعث إليه الرسائل، فقد عثرت عليها مترافقه فوق طرف منضدته، ما تزال في ظروفها وأعتقد أنها لم تفتح بعد. قرر فجأة أن يصفق الباب في وجه العالم، ويختبئ خلف جدران شرفة، كنا نعتقد جميعاً أنه يريد أن يستريح قليلاً فقد كان شخصاً نشيطاً يعمل في استمرار، ولكننا لم نكن نعرف أن روحه كانت مكيدة مشحونة بكل تلك الأفكار والمشاعر، إلا حين دخلت إلى شرفةه بعد عودتنا من مأتمه وإتمام مراسم الدفن. شعرت بقلبي يحترق وروحه يختنق. وأنا أرى تلك الشرفة وكل ما بها مقلوبًا رأساً على عقب، الكثير من الأوراق الممزقة، والكتب المتناثرة، رائحة الظلام النفاذه دهنت الشرفة بالكامل. عثرت على مذكرةه هذه مترافقه فوق المنضدة، بشكلٍ مرتب، لقد كانت الوحيدة التي عثرت عليها مرتبة، وضع فوقها ورقة مكتوب فيها: كنت قد أخبرت ذاك ذات مرة بآني أنوي تأليف كتاب في التنمية البشرية، ولكنني لم أستطع فعل ذلك، كلماتي هذه قد لا تشفى صدر أحد أو تبدد مأساته، ولكن ربما هناك من تمنى أن يجد من يحده بها في داخله فلم يجد، وقررت أن أكون ذلك الأحد، لا أطبطب بل أترجم، وأشرح له شعوره الذي يتکبد بمفرده، دون أن يستطيع شرحه للآخرين ولنفسه، أو يستطيع الآخرون فعل ذلك له. أترك الخيار لك، إن كنت

تستطيع نشر مذكراتي هذه وتخلد اسمي البائس وسطوري المتبعة، فلا  
بأس، وإن أردت إحراقها فافعل بها ما شئت، قد تقول لا أريد العالم أن  
يقرأ حزنك، لا تقلق، هذه كله ليس حزني وحدي، لقد رسمت أنا ملي  
خيالات وألام الجميع نيابة عنهم. لم أكن يائساً من رحمة الله، صدقني لم  
أكن كذلك، ولكنك تعرف أن الاكتئاب مرض، مثله مثل أي مرض  
عصبي يفتك بالإنسان، ولكن هذا المرض ينخر النفس، ويقضي عليها،  
قررت محاربته بمفردي رغم شرسته، ستجد بعض حروفي وكلماتي  
متناقصة، اعرف حينها بأني كنت أكتب وأنا أصارع نفسي تحت وطأة  
النوبة!

لقد دعوت الله كثيراً في صلوات كثيرة، في السجود العميق، أن  
يحرفي من نفسي ويأخذني إليه، وأن تكون خاتمي هي أن أموت على  
السجادة.. إياك تظن بأني يوماً طويتها، بل كانت الصلاة أقوى من أي  
مسكن يصرفه أطباء الأمراض النفسية.

هذه المذكرات، نتاج عن صراع نفسي دام لليال طويلة، الحمد لله  
الذى اختارنى لهذا الابلاء، عسى أن يكون أحبني لهذا ابتلاني، أو أراد  
تحفيف عنى بعضاً من ذنبي.

أعتذر عن عدم قراءتي لبرقياتك، لأنى كنت أعرف جيداً بأنك ستلحّ  
علي لغادره هذا المكان المظلم، وأنا لم أكن مستعداً لأبرر لك سبب  
انغماسي فيه.

كن بخير يا صديقي، ولا تحزن لموتي، لا أعتقد بأنك ستقرأ هذه الرسالة إلا بعد موتي، أشعر به يقترب نحو بيته، إياك يوماً تتصور بأني قد أفكر في الانتحار.. بل إنني كررت دعائي لإلهي أن يأخذني إليه، في كل ليلة، لعله استجاب. وصيتي الأخيرة، اعْتَنِ بِأُمِّي وَأَخْبِرْهَا أَنْ تَغْفِرْ لِي، حين كنت عبئاً ثقيلاً عليها، ما إن بدأت تستند على توهجي وتفتخر به، حتى خذلتها بسحق ذلك التوهج، أخبرها مراراً أن الأمر كان خارجاً عن نطاق السيطرة، لم يكن بيدي كبحه. قبلها عني وأخبرها أنها الشخص الوحيد الذي لن أندم على مغادرتي للدنيا إلا لأنني سأغادرها، عسى أن يكون لنا لقاء في الجنة، إن أكرم مني الله بها"

انهارت قواي وأغرقت دموعي تلك الورقة المجعدة، لم يكن صديقي يعرف أنني انتظرته كثيراً، وساعت أيامي بدونه كثيراً، وتلاشت نكهة الحياة بدونه كثيراً، ولكني ما زلت على أمل انتظر خروجه عن العزلة، لم أكن أدرِ أن ذلك الخروج لن يكون إلا إلى القبر !!

لو أنك أخذتني معك يا صديقي، أي حياة سأعيشها من بعد فقدك  
الآن !

ُخِيفَةٌ فِكْرَةٌ أَنْ تَجِدْ مُخْطُوْتَةً مَكْتُوْتَةً بِرَسَائِلٍ مُّتَنَاقِضَةٍ غَزِيرَةُ الْعُمَقِ  
وَالْإِسْهَابِ، ثُمَّ تَكْتُشَفُ فِي النِّهَايَةِ أَنَّ الْمَقْصُودَ فِيهَا وَكُلُّ تِلْكَ الْأَسْطُرُ  
كُتُبْتُ لِتُرْسَلَ إِلَى نَفْسِ مُرْسِلِهَا...



# عَزْلَانَ

وعزاًوكَ أَنْ تُولَدْ بِأْجَنْحَةِ فِي أَرْضِ ثَكْلَى، بِلَا سَمَاءِ!

نعمَةُ الْخَالِد

@ne\_alkhalid